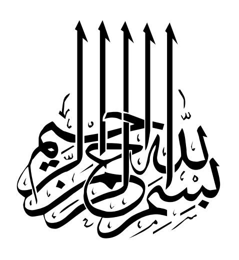
الأربعون المتواترة في فضائل إسطنبول الفاخرة



جزء حديثي من تصنيف

الشيخ أ.د. حاكم المطيري



بين يدي الموضوع:

الحمد لله الواحد الأحد، الملك الصمد، القائل: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾[1]، ظهورا بالقوة والبيان، والحق والإيمان، والفتح للبلدان؛ حتى يعلو الإسلام علوًّا حقيقيًّا على كل عواصم الأديان.

وصلى الله وسلم على نبيه محمد الهادي البشير، والسراج المنير؛ الذي بشّر أمته بالفتح، وملك الأرض، وظهور دينها على كل الأديان، فقال ﷺ: (ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين؛ بعز عزيز يعز الله به الإسلام، وبذل ذليل يذل الله به الكفر)[2]، وقال ﷺ: (إن الله زوى لي الأرض؛ فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن ملك أمتي سيبلغ ما زوي لي منها)[3].

فأظهره الله وأظهر دينه ظهورا عظيما بفتح مكة عاصمة مشركي العرب الدينية في حياة نبيه ﷺ ، ثم بفتح القدس عاصمة أهل الكتابين الدينية،

(١) التوبة:٣٣

(٢) كما رويناه في مسند أحمد وصحيح الحاكم.

(٣) صحيح مسلم.

وبفتح مدائن المجوس في عهد الخليفة الراشد عمر حتى لم يبق لهم راية إلا خضعت لراية الإسلام وحكمه وسلطانه، ثم بفتح باميان مدينة البوذية الدينية في أفغانستان في عهد الخليفة الراشد عثمان، ثم ما زال وعد الله يتحقق تباعا في كل عصر ليظهر دينه على الدين كله ولو كره المشركون؛ حتى تحقق في القرن التاسع الهجري - على فترة من ضعف الأمة - فتح الفتوح الذي ادّخره الله للأمة في آخر عصورها؛ بعد ضعفها وانهيارها وغزو التتار المغول لها، فجاء فتح القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية النصرانية البيزنطية الأرثوذكسية -وهي أول عاصمة مسيحية بناها قسطنطين أول إمبراطور مسيحي- بعد ثمانية قرون من أول محاولة للصحابة لفتحها للفوز بالبشارة، وهو الفتح الذي ادخره الله لمحمد الفاتح، والذي طالما طمحت له النفوس، وتشوّقته القلوب، حيث كانت القسطنطينية حين بشر بفتحها النبي ﷺ عاصمة الدنيا كلها؛ ليؤكد صدق وعد الله ورسوله بظهور دينه على الدين كله ولو كره المشركون، ولو كذب بوعده الكافرون، وبقي بعده الفتح العظيم لروما عاصمة الصليبية الكاثوليكية، وهو مما تواترت به النصوص النبوية؛ ليكمل ظهور الإسلام على كل عواصم الأديان العالمية!

فصلّى الله وسلم عليه ما ذكر الله الذاكرون، وما شكر لنعمه التي لا تحصى الشاكرون؛ وبعد..

فهذا جزء حديثي فريد في موضوعه؛ جمعت فيه فضائل إسلامبول (القسطنطينية)، والأخبار التي بشّرت بفتحها، وتواترت في فضلها، وفضل أميرها وجيشها وأرضها؛ حتى أنه لم يرد في البشارات النبوية والأخبار المصطفوية البشارة بفتح بلد أكثر مما ورد في فتحها، حتى ذكرت الأحاديث كل محطات الفتح الرئيسية، وذكرت صور الفتح العسكري الأول، والسلمي الثاني، والنهائي قبل قيام الساعة؛ وذلك لعظيم شأن هذه المدينة في العالم، وما يحدثه فتحها من تحول دولي عادة كل مرة؛ وهو ما تحقق حين فتحها محمد الفاتح؛ فجدد الله به روح الإسلام وأمته من جديد، وبعثه من هدأته، واستيقظ من غفوته، حتى عُدّ فتحه لها بداية العصور الحديثة، وانتهاء العصور الوسيطة، فقد دخل الإسلام أوربا من بابها، واجتمع للخلافة العثمانية شرف الولاية على قارات العالم القديمة الثلاث: آسيا وأفريقيا وأوربا، وهو ما لم يجتمع لغيرهم من خلفاء الإسلام؛ ليتحقق فيهم وعد الله

الذي لا يخلف وعده ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾[1]!

كما توعّد من أعرض وتولّى بالاستبدال؛ وهو وعيد عام للمؤمنين في كل زمان ومكان إذا تولوا عن أمر الله استبدل غيرهم، فكانوا خيرا منهم؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم ﴾[2]، قال القرطبي في تفسيره[3]: (وفي الآية تخويف وتنبيه لجميع من كانت له ولاية وإمارة ورئاسة؛ فلا يعدل في رعيته، أو كان عالما فلا يعمل بعلمه ولا ينصح الناس، أن يذهبه ويأتي بغيره).

ولم يشرف أحد بالخلافة بعد العرب وقريش كما شرف بها الخلفاء العثمانيون؛ حتى لم ينازعهم فيها أحد أربعة قرون؛ وهو ما لم يحدث مثله في تاريخ الإسلام!

---

(١) النور:٥٥

(٢) محمد:٣٨

(٣) ٥/ ٤٠٩

فتحقق وعد الله لهم بأوضح صوره تحققًا جليًّا لا يكابر فيه إلا جاحد لفضل الله على الناس ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾[1]؛ وذلك حين ضعف العرب وتوّلوا عن الجهاد وتخلّوا عنه؛ فحلّت بهم سنّة الاستبدال ﴿إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾[2]؛ فأتى الله بالترك وخصّهم بهذا الشرف العظيم؛ فسادوا العالم بالإسلام، ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم﴾[3]؛ وهو ما تحقق للترك فعلا مدة أربعة قرون من تاريخ الإسلام بالخلافة، وقبله مدة قرنين بالسلطنة، لم يتوقفوا عن القيام بالجهاد في سبيل الله وسبيل المستضعفين من الرجال والنساء والولدان!

حتى إذا تولّى الترك عنه كما تولّى العرب قبلهم، وتخلّوا عن هذا الشرف الباذخ بالقومية الطورانية؛ ذهبت ريحهم وزالت خلافتهم!

(١) النساء:٥٤

(٢) التوبة

(٣) محمد:٣٨

لقد كان سقوط القسطنطينية هذه المدينة العظيمة في الحرب العالمية الأولى أمام جيوش الحملة الصليبية البريطانية الفرنسية الروسية نهاية الخلافة الإسلامية، وانتهاء استخلاف الله للمؤمنين في الأرض، ودخول الأمة كلها عصر الاستضعاف والاغتراب الثاني؛ كما أخبر النبي ﷺ كما في الحديث الصحيح المتواتر معنىً: (بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ؛ فطوبى للغرباء) كما في صحيح مسلم، وفي رواية: (إن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا كما بدأ، وهو يأرز بين المسجدين، كما تأرز الحية في جحرها).

وسيكون الفتح الثاني لها سلما بالتكبير - كما بشر به النبي ﷺ - واستعادة المسلمين لها من جديد، وتحريرها من قبضة الحملة الصليبية: تحوّلًا عالميًّا مرة أخرى؛ وهو ما تعيش الأمة اليوم إرهاصاته، وتخطو في بداياته، بعد تحرر الشعب التركي من النفوذ الغربي؛ لتستعيد الأمة ظهورها الثاني، واستخلاف الله لها في الأرض بالجهاد في سبيل الله كما وعدها الله مرة أخرى؛ حتى تفتح روما!

ومن قرأ تاريخ العالم ودوله وحروبه وطغيان الإنسان بطبعه ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝٦﴾[1]، وشاهد ما جرى من طغيان الجاهلية الوثنية العالمية في الحرب العالمية الأولى ثم الثانية، ثم ما تلاها من حروب وحشية همجية؛ سواء شيوعية حمراء، أو رأسمالية صفراء، استخدمت فيها أوربا وأمريكا القنابل النووية، وقتلت الملايين؛ حتى تجاوز القتلى مئة مليون إنسان، وما جرى بعده في حرب فيتنام وأفغانستان، وما يجري اليوم في أرض الإسلام، وما تتعرض له شعوبه من ظلم وعدوان، يشنّه عليها طغاة العالم "المتحضر" -بزعمهم- بجيوشهم وطيرانهم على شعوبها الضعيفة المظلومة، والفقيرة المكلومة؛ ليقتلوا ويهجّروا الملايين من المسلمين المستضعفين؛ في أفغانستان والعراق والشام وفلسطين؛ علم كم كان وجود الخلافة الإسلامية رحمة بالأمة وشعوبها؛ بل رحمة بالعالم كله، وعلم حكمة الله من تشريع الجهاد في سبيله، وإيجابه على المؤمنين، وجعله ذروة سنام الإسلام؛ كما في الحديث الصحيح عند الترمذي عن معاذ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: (رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد)؛ رحمة بالإنسان ليدفع عن نفسه

(١) العلق

طغيان أخيه الإنسان؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾[1]، وقال جَلَّجَلَالُهُ: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾[2]، وكما قال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[3]!

ولقد كان الإسلام عزيزا منيعا بالجهاد في سبيل الله رحمة بالعالمين؛ لمنع الطغاة المجرمين من الإفساد في الأرض؛ كما قال الله عنهم: ﴿وَلَا يَزَالُونَ

(١) سورة النساء.

(٢) البقرة:٢٥١

(٣) البقرة:٢١٦

﴿يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ﴾[1]، وقال عنهم: ﴿كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارًا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا﴾[2]!

فلما تخلّى المسلمون عن هذه الفريضة الربانية -بدعوى الالتزام بقيم الحضارة الإنسانية والمعاهدات الدولية- ذهبت ريحهم، وزالت دولتهم، وغزاهم عدوهم، واحتل أرضهم، ودنس قدسهم، ونهب ثروتهم؛ فهو يغزوهم ولا يغزون، ويقاتلهم ولا يدفعون؛ خضوعا منهم لقرارات الشرعية الدولية المزعومة التي يفرضها عليهم عدوهم!

ولقد كان مجد الإسلام منذ كان بالجهاد في سبيل الله في عهد النبوة، والخلافة الراشدة، ثم الأموية، وصدر العباسية؛ حتى إذا ظهرت الفرق الباطنية، وتحوّلت إلى قوى سياسية ووصلت إلى السلطة في القرن الرابع الهجري، وتخلت الدولة عن الجهاد، ضعفت الخلافة، واحتلّ العدو أرض الإسلام؛ حتى إذا نهض بالجهاد يوسف بن تاشفين في المغرب، ومحمود زنكي وصلاح الدين في المشرق؛ استعادت الأمة وحدتها وسيادتها، وحررت القدس والمسجد الأقصى، وكذا حين اجتاح المغول المشرق

(١) البقرة:٢١٧

(٢) المائدة:٦٤

الإسلامي؛ نهض المماليك الأتراك في مصر بقيادة قطز والظاهر بيبرس والمنصور والناصر بالجهاد في سبيل الله حتى حرروها وحموها بالجهاد، وكذا نهض العثمانيون بالجهاد في سبيل الله؛ فأعادوا للإسلام دولته، وللحق صولته؛ حتى لا يعرف في الخلفاء أكثر جهادا منهم بأنفسهم، ولا يكاد يعرف فيهم خليفة لم يجاهد بنفسه، أو يخض جيشه الجهاد في سبيل الله؛ حتى فتحوا القسطنطينية، وأسقطوا الإمبراطورية البيزنطية التي طالما هددت العالم الإسلامي بحملاتها الصليبية!

حتى إذا سقطت خلافتهم حلّ بالأمة ما حلّ بها من قبل في القرن الخامس والسابع من ضعف وذل وهوان!

ولقد تحدث مؤرخ الإسلام ابن كثير عن ارتباط مجد الإسلام بالجهاد؛ فقال: (فكانت سوق الجهاد قائمة في بني أمية، ليس لهم شغل إلا ذلك، قد علت كلمة الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها، وبرها وبحرها، وقد أذلوا الكفر وأهله، وامتلأت قلوب المشركين من المسلمين رعبا، لا يتوجه المسلمون إلى قطر من الأقطار إلا أخذوه، وكان في عساكرهم وجيوشهم في الغزو الصالحون والأولياء والعلماء من كبار التابعين، في كل جيش منهم شرذمة عظيمة ينصر الله بهم دينه. فقتيبة بن مسلم يفتح في بلاد الترك، حتى

وصل إلى تخوم الصين، وأرسل إلى ملكه يدعوه، فخاف منه وأرسل له هدايا وتحفا وأموالا كثيرة هدية، وبعث يستعطفه مع قوته وكثرة جنده، بحيث إن ملوك تلك النواحي كلها تؤدى إليه الخراج خوفا منه... ومسلمة بن عبد الملك بن مروان وابن أمير المؤمنين الوليد يفتحون في بلاد الروم ويجاهدون بعساكر الشام حتى وصلوا إلى القسطنطينية، وبنى بها مسلمة جامعا يعبد الله فيه، وامتلأت قلوب الفرنج منهم رعبا.

ومحمد بن القاسم ابن أخي الحجاج يجاهد في بلاد الهند ويفتح مدنها في طائفة من جيش العراق وغيرهم.

وموسى بن نصير يجاهد في بلاد المغرب ويفتح مدنها وأقاليمها في جيوش الديار المصرية وغيرهم.

وكل هذه النواحي إنما دخل أهلها في الإسلام وتركوا عبادة الأوثان.

وقبل ذلك قد كان الصحابة في زمن عمر وعثمان فتحوا غالب هذه النواحي ودخلوا في مبانيها، بعد هذه الأقاليم الكبار، مثل: الشام ومصر والعراق واليمن وأوائل بلاد الترك، ودخلوا إلى ما وراء النهر وأوائل بلاد المغرب، وأوائل بلاد الهند.

فكان سوق الجهاد قائما في القرن الأول من بعد الهجرة إلى انقضاء دولة بني أمية، وفي أثناء خلافة بني العباس مثل أيام المنصور وأولاده، والرشيد وأولاده، في بلاد الروم والترك والهند.

وقد فتح محمود سبكتكين وولده في أيام ملكهم بلادا كثيرة من بلاد الهند، ولما دخل طائفة ممن هرب من بني أمية إلى بلاد المغرب وتملكوها أقاموا سوق الجهاد في الفرنج بها.

ثم لما بطل الجهاد من هذه المواضع رجع العدو إليها فأخذ منها بلادا كثيرة، وضعف الإسلام فيها، ثم لما استولت دولة الفاطميين على الديار المصرية والشامية، وضعف الإسلام وقلّ ناصروه، وجاء الفرنج فأخذوا غالب بلاد الشام حتى أخذوا بيت المقدس وغيره من البلاد الشامية، فأقام الله سبحانه بني أيوب مع نور الدين، فاستلبوها من أيديهم وطردوهم عنه، فلله الحمد والمنة) [١] انتهى كلامه.

---

(١) "البداية والنهاية" ٩/ ٨٧

وكيف لو عاش ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ ورأى السلطنة والخلافة العثمانية وجهادها وفتوحها في أوربا، وطول مدتها، وكيف خصّها الله بفضل الجهاد وقيامها به بما لم يقع مثله للدول الإسلامية من بعد الخلافة الراشدة!

فعسى أن يكون هذا الجزء في بيان ما ورد من الأحاديث في فضل فتح اسطنبول وفضائلهم؛ مما ادخر الله لهم من صالح أعمالهم؛ موعظة وذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد!

وقد شاء الله أن أصنّف هذا الجزء قدرا ليلة ١ محرم سنة ١٤٤٠ للهجرة بلا قصد في تحرّي هذا التاريخ؛ وهو أول يوم لي في تفرغي العلمي لمدة سنة في إسطنبول حرسها الله!

وقد صنّف أئمة الحديث في فضائل المدن التي وردت الأحاديث في فضائلها؛ كالمدينة ومكة والقدس والشام واليمن ومصر، ولم أقف على من جمع ما ورد في فضائل إسطنبول (القسطنطينية) مع كثرة ما ورد فيها؛ فرأيت أن أجمع هذا الجزء الحديثي من أربعين حديثا في فضائلها بين صحيح وحسن وحسن لغيره؛ وهو حد التواتر الروائي عند عامة أهل الحديث؛ بل الراجح عندهم أن ما رواه عشرة هو من المتواتر، مع أن البشارة بفتح القسطنطينية

وفضل فاتحها ومن شارك في فتحها من المتواتر القطعي من حيث العلم والمعرفة العامة بين الصحابة ومن بعدهم؛ وهو ما جعل الخلفاء والأمراء يتنافسون على فتحها، وإنما البحث هنا في المتواتر من حيث الرواية لا من حيث العلم عند غير أهل الحديث!

والتفريق بين الأمرين (التواتر العلمي والتواتر الروائي) لا يكاد يفقهه اليوم أحد من أهل العلم بالحديث -إلا من رحم الله- فضلا عن غيرهم!

ولا يشترط في المتواتر الروائي عند أهل الحديث صحة الإسناد، وإنما يشترط له كثرة العدد مع إفادة العلم؛ كما قال الحافظ ابن حجر: (لأن الهيئة الاجتماعية لها أثر ألا ترى أن خبر المتواتر يفيد القطع مع أنا لو نظرنا إلى آحاده لم يفد ذلك، فإذا كان ما لا يفيد القطع بانفراده يفيده عند الانضمام فأولى أن يفيد الانضمام الانتقال من درجة الضعف إلى درجة القوة... فإن المتواتر لا يشترط في أخباره العدالة)[1].

(١) النكت على ابن الصلاح ١/ ٣٢٢

وهو ما لم يتنبه له بعض من تصدى للحكم على الأحاديث من المعاصرين، حتى ضعّفوا بالنظر الجزئي للأسانيد؛ ما يوجب النظر الكلي تصحيحه؛ بل ضعّفوا من الأحاديث ما لم يسبقهم أحد إلى تضعيفه من قبل!

وما ورد في شأن القسطنطينية وفتحها وفضلها، متواتر تواترا معنويا؛ بالأحاديث الصحيحة فضلا عن الحسنة والمقبولة، مع أن الصحيح في حد المتواتر الذي يفيد العلم هو ما زاد عن المشهور -وهو ما رواه ثلاثة فأكثر ما لم يبلغ حد المتواتر- وأفاد العلم؛ وهذا يصدق على ما رواه أربعة فأكثر وأفاد العلم، وقد استعمل الشافعي التواتر بهذا المعنى في كتابه "الأم"؛ كما حررته في بحثي (دفاع ثان عن ابن حبان) المنشور في مجلة المشكاة سنة ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

كما لا يشترط في المتواتر الروائي على الصحيح أن يكون كله مرفوعا إلى النبي ﷺ؛ بل يضم الموقوف فيه عن الصحابة إلى المرفوع في إفادة المجموع العلم القطعي بثبوته عن الشارع؛ كما قال الإمام أحمد عن المسح على الخفين: (ليس في قلبي من المسح شيء، فيه أربعون حديثا عن أصحاب رسول الله ﷺ ما رفعوا إلى النبي ﷺ وما وقفوا)[(١)].

---

(١) المغني ١/ ٢٠٦

ومن لطيف ما وقع لي في هذا التصنيف أني أردته جزءا أربعينيًّا، ولم يكن يخطر على البال أن يكمل أربعين حديثا مرفوعا مقبولا، وقلت: سأكمله بالآثار عن التابعين، فما زلت أجمع ما ورد من الأخبار ولا أعدها؛ حتى لم يبق حديث على شرط هذه الرسالة إلا جمعته في مسودتها، ثم ما زلت أحذف منها وأحررها؛ حتى إذا كانت المراجعة الأخيرة، وأخذت أرقمها من جديد ولا أعرف كم سيكون ما بقي منها بعد التمحيص؛ فإذا آخر حديث منها هو الأربعون تماما بلا زيادة ولا نقص!

وقد رتبتها على الأبواب واختصرتها، وعلقت عليها في حاشيتها؛ لحاجتها إلى الشرح الذي يفسرها، إذ أحاديث الفتن من أهم أبواب الدين، التي قلّت العناية بها عند المتأخرين، مع عظيم عناية النبي ﷺ ببيانها، حتى كانت أطول خطبه ﷺ في الفتن وأخبار المستقبل، وتحديد طبيعة كل فتنة، والمخرج من كل فتنة؛ وهو من كمال هدايته ﷺ للمؤمنين، وشفقته عليهم، ورحمة الله بهم!

كما في الصحيحين عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (لقد خطبنا النبي ﷺ خطبة، ما ترك فيها شيئا إلى قيام الساعة إلا ذكره، علمه من علمه، وجهله من جهله،

إن كنت لأرى الشيء قد نسيت، فأعرف ما يعرف الرجل إذا غاب عنه فرآه فعرفه).

وفي صحيح البخاري عن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: (قام فينا النبي ﷺ مقاما، فأخبرنا عن بدء الخلق، حتى دخل أهل الجنة منازلهم، وأهل النار منازلهم، حفظ ذلك من حفظه، ونسيه من نسيه).

وفي صحيح مسلم عن أبي زيد عمرو بن أخطب الأنصاري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ قال: (صلى بنا رسول الله ﷺ الفجر، وصعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر، فنزل فصلى، ثم صعد المنبر، فخطبنا حتى حضرت العصر، ثم نزل فصلى، ثم صعد المنبر، فخطبنا حتى غربت الشمس، فأخبرنا بما كان وبما هو كائن. فأعلمنا أحفظنا).

وفي المسند عن المغيرة بن شعبة بإسناد حسن؛ قال: (قام فينا رسول الله ﷺ مقاما، فأخبرنا بما يكون في أمته إلى يوم القيامة، وعاه من وعاه، ونسيه من نسيه).

وقد كان عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يسأل عن هذه الفتن؛ كما في صحيح مسلم عن حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: (كنا عند عمر، فقال: أيكم سمع رسول الله ﷺ

يذكر الفتن؟ فقال قوم: نحن سمعناه، فقال: لعلكم تعنون فتنة الرجل في أهله وجاره؟ قالوا: أجل، قال: تلك تكفرها الصلاة والصيام والصدقة، ولكن أيكم سمع النبي ﷺ يذكر التي تموج موج البحر؟ قال حذيفة: فأسكت القوم، فقلت: أنا، قال: أنت لله أبوك، قال حذيفة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودا عودا، فأي قلب أشربها، نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها، نكت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين، على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسود مربادا كالكوز مجخيا، لا يعرف معروفا، ولا ينكر منكرا، إلا ما أشرب من هواه، قال حذيفة: وحدثته: أن بينك وبينها بابا مغلقا يوشك أن يكسر، قال عمر: أكسرا لا أبا لك؟ فلو أنه فتح لعله كان يعاد، قلت: لا بل يكسر، وحدثته أن ذلك الباب رجل يقتل أو يموت حديثا ليس بالأغاليط)!

هذا ولأحاديث الفتن والملاحم فقه دقيق، وتأويل رقيق، لا يحسنه إلا من آتاه الله فهما في كتابه وهداياته وسننه القدرية في الخلق، ومعرفة بتاريخ الأمة وواقعها السياسي عميق، وفيها من الإشارات ما يستبطن الأحداث العظيمة بألفاظ وجيزة؛ فهي كالمفاتيح لها، فإذا كانت أحكام الله وهداياته الشرعية

-في غالبها- ظاهرة المعاني تؤخذ من ألفاظ النصوص بشكل مباشر عادة، فإن أحكامه وهداياته القدرية خفيّة المعاني غالبا تحتاج إلى تدبر وإعمال عقل، وغوص في بواطنها؛ لأنها كالرؤى التي تستشرف المستقبل من وراء حجب الغيب، تحتاج إلى التأويل، وتقوم على الإشارة والتلويح، حتى إذا وقعت في عالم الشهادة؛ ظهرت فاستوى في العلم بها العالم والجاهل!

ومما وقع من اضطراب في هذا الباب ما وقع في شأن فتح القسطنطينية من خلط، وتصوّر أن فتحها يكون مرة واحدة فقط! حتى قيل: بأنها لم تُفتح بعد! وقيل: بل فُتحت زمن الصحابة! وقيل: سيكون فتحها قبل قيام الساعة فقط! وحتى نفى الجاهلون والخرّاصون أن يكون الأمير الذي بشّر به النبي ﷺ هو محمد الفاتح حسدا من عند أنفسهم وبغيا بعدما جاءهم العلم به!



مع ظهور فتحها على يديه ظهورا بيّنا كظهور فتح النبي ﷺ مكة، وفتح عمر القدس، وحتى جعل كنيستها العظمى "أيا صوفيا" مسجدا؛ لتصبح بعده عاصمة الخلافة الإسلامية ولمدة أربعة قرون من استخلاف الله للمسلمين في الأرض!

وكل ذلك الخلط بسبب قصور الفقه في باب الفتن من جهة، وخفاء إشارات أخبارها من جهة أخرى، وشيوع الأهواء فيمن تصدى لبيانها؛ ومن ذلك: الاضطراب في شأن الدجّال، وتصوّر أنه فقط الذي يخرج قبل قيام الساعة، مع أن النبي ﷺ أخبر عن ظهور ثلاثين دجالا بعده، وعن غزو المسلمين الدجال وفتحهم له كما في صحيح مسلم؛ عن النبي ﷺ قال: (تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله، ثم فارس فيفتحها الله، ثم تغزون الروم فيفتحها الله، ثم تغزون الدجال فيفتحه الله، قال: فقال نافع: يا جابر، لا نرى الدجال يخرج، حتى تفتح الروم).

فدلّ على أن الدجال أمة من الأمم تغزى وتفتح كفارس والروم!

وقد فصّلت فيه القول في غير هذا المحل، وسيأتي في حاشية هذا الجزء ما يزيده بيانا.

كما أن الأخبار الموقوفة على الصحابة في هذا الباب لها حكم الرفع؛ إذ لا يُقال مثلها في الرأي؛ لأنها من أخبار الغيب المستقبلي؛ بشرط أن لا يكون الراوي ممن عرف عنه الأخذ من أهل الكتاب، إلا أن يكون ما رواه موقوفا له شاهد مرفوع مقبول؛ ولهذا لم أورد من الموقوف هنا إلا ما له شاهد مرفوع

من حيث الجملة؛ بما يرجح أنه مسموع لهم عن النبي ﷺ، كما أن من مرجحات صدق هذه الأخبار وقوعها بعد عصر رواتها، وبعد تصنيف الكتب التي روتها؛ مما يؤكد أنها من البشارات والنبوءات الصادقة.

وقد اقتصرت على عزو الأحاديث عزوا مختصرا إلى الصحيحين أو أحدهما إن وجد فيهما، أو الكتب التسعة أو أحدها إن وجد فيها، مع الاكتفاء بحكم الأئمة على صحتها وحسنها؛ كالترمذي، وابن خزيمة في صحيحه، وابن حبان في صحيحه، والحاكم في صحيحه، والذهبي عليه، والهيثمي، وابن حجر، والسيوطي، والمناوي، وما لم أجد لهم عليه حكم اجتهدت في الحكم عليه متحريًّا قواعد أهل الحديث.

وقد أوردت في هذا الجزء من الآثار ما ليس على شرط الكتاب من باب الشرح للأحاديث النبوية المرفوعة الصحيحة والحسنة.

وربما أعدت الحديث، ورقمته رقما جديدا بالنظر لزيادة في إسناده أو لفظه تقتضي ذلك مع قلته.

هذا وقد قدّمت لهذا الجزء بمقدمة عن النبوءات المستقبلية، وكيف نزّلها الأئمة على حوادث عصرهم؛ بلا إرجاء ولا تعطيل. ثم أردفت بالتبويب

المختصر لهذه الأربعين؛ بما يفهم منه معانيها، وينبئ عن تأويلها ومراميها؛ حتى ييسر الله شرحها، وبيان فقهها، على نحو مبسوط، وقد ذكرت بعضه في الحاشية.

وأروي كل ما في هذا الجزء بأسانيدي إلى مصادرها من أمهات كتب السنة؛ كما في ثبتي (إتحاف الثقات بأسانيد الأثبات).

وقد أجزت كل من زار إسطنبول - حرسها الله - من أهلها وغيرهم؛ ممن عاصرني، إجازة خاصة برواية هذا الجزء عني، بأسانيدي المذكورة في ثبت (الإتحاف) بالشروط المعتبرة عند أهل الفن.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

مقدمة عن النبوءات المستقبلية وقواعد تأويلها:

إن النبوءات المستقبلية الصحيحة وحي، يجب الإيمان بها قبل وقوعها؛ لأنها من الغيب، وحين وقوعها وتحققها، وهي من دلائل النبوة؛ ليزداد المؤمنون إيمانا، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾[1]، في حين قال المنافقون والذين في قلوبهم مرض لما رأوا الأحزاب: ﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾[2]!

والنبوءات من حيث العموم؛ بشارات وهدايات تحدد للأمة معالم الطريق في مسيرة جهادها وحملها لرسالة الله إلى العالمين؛ لتتحقق بها الشهادة وتقوم بها الحجة عليهم.

وهي كذلك من دلائل الإعجاز، وتكون عادة في أحداث كبرى؛ فهي من النبأ العظيم الذي يختلف العالم فيه ﴿ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾﴾[3]! وكما لم يؤمن كل الناس بالنبي ﷺ ولا بالقرآن ولا بالدلائل في حياة

(١) الأحزاب

(٢) الأحزاب:١٢

(٣) النبأ

النبيﷺ مع ظهور أمره لكل ذي عقل؛ كذلك النبوءات لا يعقلها إلا المؤمنون!

فالنبوءات المستقبلية هدايات ودلائل إعجاز للنبوة، وتجدد للمعجزات الخبرية؛ فصرفها عند تحقق وصفها بالشك والريب؛ بدعوى عدم جواز الجزم؛ هو من تعطيلها وإهدارها!

والفقه في كل باب من أبواب الدين لا يؤتى إلا لمن اجتهد فيه بخلاف من لم يعتنِ به أو أعرض عنه؛ لذا كان أعلم الصحابة بالنبوءات: حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ لشدة عنايته بها، حتى كان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يسأله عنها!

كما في الصحيحين عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: (كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم. قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم، وفيه دخن. قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر.

قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم، دعاة إلى أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها.

قلت: يا رسول الله، صفهم لنا؟ فقال: هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا. قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم، قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة، حتى يدركك الموت وأنت على ذلك)، وهذا حديث عظيم - في الصحيحين - بيّن فيه النبي ﷺ الأطوار السياسية التي ستطرأ على أمته، والفتن العامة التي تعصف بها، والمخرج منها؛ وقد تحقق كل ما أخبر به ﷺ، فقد كانت بعده خلافة النبوة الراشدة وهي من الخير المحض بعد النبوة، ثم حدث بعدها الخير الذي فيه دخن حيث الأمراء الذين يُعرف منهم تارة، ويُنكر منهم تارة، يهتدون بغير هدي النبي ﷺ وسنته في سياسة الأمة من بعده، وهي الخلافة العامة بعد الخلافة الراشدة؛ حتى سقوطها في الحرب العالمية الصليبية الأولى، وإلغائها كشرط من شروط الحملة الصليبية لوقف الحرب!

وكما بيّنه النبي ﷺ في الحديث الآخر، في مسند أحمد بإسناد صحيح، عن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كنا قعودا في المسجد مع رسول الله ﷺ، وكان بشير رجلا يكف حديثه، فجاء أبو ثعلبة الخشني، فقال: يا بشير بن سعد أتحفظ حديث رسول الله ﷺ، في الأمراء؟ فقال حذيفة: أنا أحفظ

خطبته، فجلس أبو ثعلبة، فقال حذيفة: قال رسول الله ﷺ: (تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون ملكا عاضا، فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكا جبرية، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، ثم سكت)!

وقد دخلت الأمة بعد سقوط الخلافة العامة بالطور الثالث، وهو طور "دعاة على أبواب جهنم من أطاعهم قذفوه فيها"، وهم من العرب خاصة، فهم: (من بني جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا)، قال ابن حجر: (قوله هم "من جلدتنا" أي: من قومنا ومن أهل لساننا وملتنا، وفيه إشارة إلى أنهم من العرب... وقال القابسي: معناه أنهم في الظاهر على ملتنا، وفي الباطن مخالفون، وجلدة الشيء ظاهره وهي في الأصل غشاء البدن، قيل: ويؤيد إرادة العرب أن السمرة غالبة عليهم واللون إنما يظهر في الجلد، ووقع في رواية أبي الأسود: "فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس".. والمراد بالذين "تعرف منهم وتنكر" الأمراء بعده، فكان فيهم من يتمسك بالسنة والعدل، وفيهم من يدعو إلى البدعة ويعمل بالجور... قال الطبري:

والصواب أن المراد من الخبر لزوم الجماعة الذين في طاعة من اجتمعوا على تأميره فمن نكث بيعته خرج عن الجماعة، قال: وفي الحديث أنه متى لم يكن للناس إمام فافترق الناس أحزابا فلا يتبع أحدا في الفرقة ويعتزل الجميع إن استطاع ذلك خشية من الوقوع في الشر وعلى ذلك يتنزل ما جاء في سائر الأحاديث...)[١].

وهذا ما حدث تماما بعد سقوط الخلافة الإسلامية لأول مرة في تاريخ الإسلام، وكان للعرب دور رئيس في إسقاطها بوقوفهم مع الحملة الصليبية البريطانية الفرنسية ضد الخلافة العثمانية الإسلامية وإلى اليوم!

وقد تحمّل الشريف حسين بن علي –أمير مكة آنذاك– كبر هذه الفتنة العامة من أجل الملك بدعوى إعادة الخلافة العربية للعرب، وأنه أحق بها؛ لأنه من آل بيت النبي ﷺ، وتحالف مع بريطانيا التي وعده مندوبها السامي مكماهون بمساعدته لاستعادة الخلافة! فأدخل الأمة كلها في هذه المحنة التي لم تخرج منها منذ مئة عام!

(١) "فتح الباري" ١٣/ ٣٦

فصدق فيه الحديث الصحيح -كما في مسند أحمد وسنن أبي داود وصححه الحاكم- عن عبد الله بن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، يقول: (كنا عند رسول الله ﷺ قعودا، فذكر الفتن، فأكثر ذكرها حتى ذكر فتنة الأحلاس، فقال قائل: يا رسول الله، وما فتنة الأحلاس؟ قال: "هي فتنة هرب وحرب، ثم فتنة السراء، دخلها، أو دخنها، من تحت قدمي رجل من أهل بيتي، يزعم أنه مني، وليس مني، إنما وليي المتقون، ثم يصطلح الناس على رجل كورك على ضلع، ثم فتنة الدهيماء لا تدع أحدا من هذه الأمة إلا لطمته لطمة، فإذا قيل: انقطعت؛ تمادت، يصبح الرجل فيها مؤمنا ويمسي كافرا، حتى يصير الناس إلى فسطاطين: فسطاط إيمان لا نفاق فيه، وفسطاط نفاق لا إيمان فيه. إذا كان ذاكم؛ فانتظروا الدجال من اليوم أو غد)!

وهذا الحديث من المعجزات الخبرية التي جاءت على نحو ما أخبر عنها النبي ﷺ بعد ١٣٠٠ سنة!

قال الخطابي: (شبهها بالحلس لظلمتها والتباسها، أو لأنها تركد وتدوم، فلا تقلع...

وقوله: "دخنها من تحت قدمي رجل من أهل بيتي" فإن الدخن الدخان يريد أنه سبب إثارتها وهيجها!

وأما قوله: "كورك على ضلع" فإنه مثل يريد -والله أعلم- أنهم يجتمعون على رجل غير خليق للملك، ولا مستقل به، وذلك لأن الورك لا يستقر على الضلع، ولا يلائمها، وإنما يقال في باب المشاكلة والملاءمة هو كرأس في جسد، أو كف في ذراع أو نحوهما من الكلام.

والدهيماء تصغير الدهماء وأحسبه صغرها على طريق المذمة لها)[1].

وقال عنها ابن الأثير: (هي تصغير الدهماء، يريد الفتنة المظلمة، والتصغير فيها للتعظيم. وقيل: أراد بالدهيماء: الداهية، ومن أسمائها الدهيم، زعموا أن الدهيم اسم ناقة كان غزا عليها سبعة إخوة فقتلوا عن آخرهم، وحملوا عليها حتى رجعت بهم، فصارت مثلا في كل داهية)![2]

وقال: (السرّاء: البطحاء، وقال بعضهم: هي التي تدخل الباطن وتزلزله، ولا أدري ما وجهه)[3].

---

(١) غريب الحديث ١/ ٢٨٧

(٢) النهاية في غريب الحديث ٢/ ١٤٦

(٣) النهاية في غريب الحديث ٢/ ٣٦١

وقال أيضا: (أي: يصطلحون على أمر واه، لا نظام له، ولا استقامة؛ لأن الورك لا يستقيم على الضلع ولا يتركب عليه؛ لاختلاف ما بينهما وبعده)[1].

ففتنة الأحلاس والحَرَب والهَرَب هو ما حلّ بالأمة كلها قبيل الحرب العالمية الأولى؛ حيث اجتاحت جيوش أوربا منذ قرنين أكثر بلدان العالم الإسلامي، واشتعلت الحروب وذهبت بها الأنفس والأموال، وحدث الهروب منها في كل مكان، فاحتلت الجيوش الروسية بلدان آسيا الوسطى الإسلامية، واحتلت بريطانيا الممالك الإسلامية في القارة الهندية وماليزيا ومصر والسودان، واحتلّت هولندا: أندونيسيا، وأسبانيا الفلبين والمملكة الإسلامية فيها، وفرنسا: الجزائر والمغرب، وإيطاليا: الأقاليم الإسلامية في الحبشة وأرتيريا والصومال وليبيا، حتى إذا بدأت الحرب العالمية الأولى سنة١٩١٤م-١٣٣٢هـ؛ أكملت الحملات الصليبية هجومها على القلب وهي الخلافة العثمانية وولاياتها؛ فاجتاحت بريطانيا وفرنسا جزيرة العرب والعراق والشام، وسقطت القدس والمدينة النبوية، حتى احتلّت جيوشهم إسطنبول نفسها عاصمة الخلافة!

---

(١) النهاية في غريب الحديث ٥/ ١٧٦

فلم يبق شعب مسلم على وجه الأرض لم يعش حالة الحرب والهرب وذهبت الأموال والأنفس والأوطان!

ثم فتنة السرى أو السراء ومن معاني السراء البطحاء، والمشهور بها بطحاء مكة! ومن معانيها -كما قال ابن الأثير- التي تدخل البطن وتزلزله!

ووصف النبي ﷺ مصدرها والقائم بها وأن (دخنها من تحت قدمي رجل من أهل بيتي يزعم أنه مني وليس مني) ودخنها وهو دخانها والمراد من يثيرها ويهيجها، وفي رواية: "دخلها" والدخل الفساد والغش والخيانة!

وهي تصدق تماما على ثورة الشريف حسين بن علي أمير مكة -البطحاء- على الخلافة العثمانية الأولى سنة ١٩١٦م-١٣٣٤ه في أثناء الحرب العالمية والحملة الصليبية على الأمة، وهو ما كسر ظهر الخلافة العثمانية التي استطاعت مدة سنتين من بدء الحرب من ١٩١٤م-١٣٣٢ه حتى ١٩١٦م-١٣٣٤ه هزيمة جيوش الحلفاء في كل الجبهات، حتى استطاعت بريطانيا جر الشريف حسين وأعراب الجزيرة إلى صفها؛ بدعوى إعادة الخلافة إلى العرب!

فلم يحدث في تاريخ الإسلام أن حدثت فتنة في بطحاء مكة؛ ظهر فيها من الخيانة لله ولرسوله وللإسلام وللأمة وأثارها رجل من آل بيت النبي ﷺ وعمّت فتنتها الأمة كلها، وما زالت تعيش تداعياتها؛ كمثل ثورة الشريف مع بريطانيا ضد الخلافة العثمانية!

وهي السراء والفتنة الداخلية كالمرض الباطني الذي يزلزل الجسم من الداخل!

والرجل الذي اصطلح الناس عليه، مع ضعفه -بعد خلع السلطان عبدالحميد آخر خليفة فعلي- والذي يمثل عهده نهاية الخلافة هو: السلطان محمد الخامس رشاد بن عبد المجيد الأول، بعد عزل أخيه السلطان عبدالحميد سنة ١٩٠٩م-١٣٢٧هـ، واصطلح الناس عليه، مع ضعف (كورك على ضلع)؛ فلم يكن له من الأمر شيء، ولا مستقلا بالأمر -كما قال الخطابي- فقد كانت السلطة للاتحاد والترقي، وفي عهده تتابعت الحروب الصليبية والهزائم!

وهي حرب البلقان والحرب الليبية مع إيطاليا، ووقعت في عهده اتفاقية الصلح في لندن ١٩١٣م-١٣٣١هـ، وتخلّت الدولة العثمانية عن ولاياتها في

أوربا، ثم اندلعت الحرب العالمية وقام السلطان بإعلان الجهاد، وسقطت بعد سنتين ولايات الخلافة العثمانية كلها، وتوفي سنة ١٩١٨م-١٣٣٦هـ قبيل انتهاء الحرب بأشهر.

ثم تولى بعده آخر خليفة عثماني إسلامي وهو السلطان محمد السادس وحيدالدين بن عبدالمجيد الأول، ووقّع اتفاقية الاستسلام مع دول الحلفاء في فترة ولايته، وقد اجتمع عليه الناس أيضا في حرب التحرير؛ كما جاء في رسالة مصطفى كمال أتاتورك إليه: "إمبراطورنا وخليفتنا المعظم، إننا سوف نستمر في جهادنا طالما أن الجنود الأجانب ما زالوا يعيشون على أرضنا، والأعداء يسيرون حول مساجد إسطنبول، والتي تعتبر كل زاوية فيها بمثابة رمز مضيء لحب إمبراطورنا للدين والإسلام. سلطاننا، قلوبنا مليئة بالولاء والخضوع، ونحن متجمعون حول عرشك ومرتبطون به بشكل أكبر من أي وقت مضى، الولاء إلى السلطان والخليفة هو الوعد الأول من الجمعية الوطنية الكبرى [البرلمان في أنقرة] وهي تعلن كذلك [يقصد بها الجمعية الوطنية] باحترام كبير وسرور أن كلمتها الأخيرة سوف تكون نفسها [الكلمة الأولى]".

ثم بدأت فتنة الدهيماء التي عمّت العالم الإسلامي منذ تلك اللحظة وإلى اليوم؛ وذلك بقيام أتاتورك نفسه بتنفيذ شروط الصلح مع الحلفاء بإلغاء السلطنة بعدها بعامين في ١ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٢٢م - ١١ربيع الأول١٣٤١هـ، وتم طرد السلطان نفسه، ثم بعدها بعام وأشهر في ٣آذار/مارس ١٩٢٤م – ٢٦ رجب ١٣٤٢هـ، تم إلغاء الخلافة الإسلامية نفسها تماما!

وبدأت فتنة الدهيماء العامة بعد هذا الحدث المفصلي في تاريخ الأمة، والعالم الإسلامي؛ بل العالم كله؛ كما عبر عن ذلك برهان غليون في كتابه "نقد السياسة: الدولة والدين" بقوله: (من المؤكد أن الدولة العثمانية، بما كانت تشكله من رمز لاستمرارية تاريخية ترجع بنفسها لبدء الإسلام، أي لحقبة التأسيس الأولى، كانت لا تزال تقدم، بالرغم من تفسخها، غطاء مقبولًا، وإن كان واهيًا، لمسائل كبرى ليس من السهل إيجاد الحلول السريعة أو النظرية لها، والتي لا تقوم بدونها دولة ولا سياسة. ومن هذه المشاكل: مشكلة الشرعية التي تستند أو ينبغي أن تستند إليها السلطة، والقيم التي يمكن أن يمارس باسمها الحكم، وإطار السيادة والقوة التي كانت موروثة عن زمن الفتح والانتصارات العسكرية التاريخية... فما كان من الممكن إذن

لانهيار هذه السلطنة إلا أن يحدث فراغًا حقيقيًا في عالم العرب السياسي، والفكري، والعملي).

وما تزال فتنة الدهيماء -بعد سقوط الخلافة وإقامة الدول الوظيفية على أنقاضها- تعصف بالأمة كلها منذ تلك اللحظة، فتتابع على حكم بلدانها صنائع العدو المحتل، من أعراب الجاهلية، وطغاة العسكر، والأحزاب العلمانية، والإلحادية الشيوعية، والقومية، والبعثية، والليبرالية الإباحية؛ كما جاء في وصفهم في الحديث الصحيح: (دعاة على أبواب جهنم من بني جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا.. شياطين في جثامين إنس)، ولم يبق مسلم لم يتعرض لفتنة في دينه أو دنياه على نحو غير مسبوق في تاريخ الأمة، وما تزال الفتنة تمحّصهم، وتبتليهم، حتى انقسم الناس -بعد الثورة العربية والنهضة التركية- إلى فسطاطين كما ورد في الحديث!

فدخلت الأمة بعد الخلافة العامة الجامعة في الفرقة العامة تحت حكم أنظمة الملك الجبري والطاغوتي الذي أقامها العدو المحتل؛ فكانوا له دعاة على أبواب جهنم من أطاعهم قذفوه فيها! وكان المخرج منها هو ما أخبر عنه النبي ﷺ في الحديث نفسه: (الزم جماعة المسلمين وإمامهم)، وفي رواية: (إن كان لله في الأرض خليفة؛ فالزمه)!

ولم يعرف المسلمون الملوك والملكيات والتوريث بالاستحقاق الجيني الأسري إلا بعد سقوط الخلافة، واستنساخ النموذج الملكي البريطاني الذي احتل المنطقة وأقام ملكيات وأنظمة حكم وراثية على نمطه في محمياته ومستعمراته، حيث جعل منها دولا وطنية قطرية تحت نفوذه، وفرض عليها نُظمه وقوانينه؛ فكان الشريف حسين بن علي أول ملك على الحجاز، وفؤاد أول ملك على مصر، وفيصل أول ملك على العراق، وعبدالله أول ملك على الأردن، وابن سعود أول ملك على نجد والحجاز معا بعد تسميتها بالسعودية، ومحمد الخامس أول ملك على المغرب، والسنوسي أول ملك على ليبيا. وهذا الواقع لا علاقة له بخلافة الإسلام ونظامه السياسي؛ بل هو واقع تشكل في ظل الاحتلال الغربي للعالم العربي والإسلامي، وجاءت بعدها الأنظمة الجمهورية الدكتاتورية بالانقلابات العسكرية، والأنظمة الشمولية الطاغوتية الشيوعية والناصرية والبعثية المدعومة من الغرب والشرق؛ وهو الواقع الذي يصدق عليه حديث: (ثم تكون ملكا وجبرية)، وحديث أنس في مصنف ابن أبي شيبة بإسناد صحيح موقوفا له حكم الرفع: (يكون الملوك، ثم الجبابرة، ثم الطواغيت)، فمعرفة ذلك مهم لمن أراد دراسة تاريخ الإسلام، وتاريخ الأمة السياسي؛ ولهذا جاء في الصحيحين الدعوة إلى وحدة

الأمة ولزوم الخلافة الواحدة؛ كمخرج من هذه الفتن العامة؛ فقال ﷺ: (الزم جماعة المسلمين وإمامهم)!

وهو كل ما تحتاجه الأمة اليوم للتحرر من هيمنة الحملة الصليبية الأمريكية الروسية الأوربية عليها!

لقد اجتهد الصحابة في تنزيل النبوءات على الوقائع في عصرهم؛ كما نزّلت أسماء بنت أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا النبوءات في حديث النبي ﷺ: «سيكون في ثقيف كذاب ومبير» على المختار الثقفي والحجاج بن يوسف!

قالت للحجاج: (إن رسول الله ﷺ حدثنا إن في ثقيف كذابا ومبيرا؛ فأما الكذاب فرأيناه، وأما المبير فلا إخالك إلا إياه) -قال النووي- أما (أخالك) فبفتح الهمزة وكسرها، وهو أشهر، ومعناه: أظنك. والمبير المهلك. وقولها في الكذاب: (فرأيناه تعني به: المختار بن أبي عبيد الثقفي، كان شديد الكذب، ومن أقبحه ادعى أن جبريل ﷺ يأتيه. واتفق العلماء على أن المراد بالكذاب هنا المختار بن أبي عبيد، وبالمبير الحجاج بن يوسف. والله أعلم)[1].

(١) شرح النووي على مسلم (١٦/ ١٠٠).

ونزّل عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نبوءة الدجال وصفته على ابن الصائد؛ ولم ينكر النبي ﷺ ذلك عليه! عن محمد بن المنكدر؛ قال: (رأيت جابر بن عبد الله يحلف بالله أن بن صائد الدجال فقلت أتحلف بالله؟ قال: إني سمعت عمر يحلف على ذلك عند النبي ﷺ؛ فلم ينكره النبي ﷺ)[1].

كما نزل الأئمة كثيرا من النبوءات على وقائع في عصرهم، ومن ذلك؛ تعيينهم للمجددين في عصورهم بحديث: «إن الله يبعث على كل رأس مئة سنة من يجدد لهذه الأمة أمر دينها».

قال الملا علي القاري في شرح الحديث: (قوله: «إن الله عز وجل يبعث لهذه الأمة» "أي: أمة الإجابة"، ويحتمل أمة الدعوة "على رأس كل مائة سنة": أي: انتهائه أو ابتدائه إذا قل العلم والسنة وكثر الجهل والبدعة "من يجدد": مفعول يبعث "لها" أي: لهذه الأمة "دينها" أي: يبين السنة من البدعة...

قال صاحب جامع الأصول: وقد تكلم العلماء في تأويله، وكل واحد أشار إلى العالم الذي هو في مذهبه، وحمل الحديث عليه، والأولى الحمل على العموم فإن لفظة "من" تقع على الواحد والجمع، ولا يختص أيضا بالفقهاء فإن انتفاع

(١) البخاري ح ٧٣٥٥

الأمة بهم، وإن كان كثيرا فانتفاعهم بأولي الأمر وأصحاب الحديث والقراء والوعاظ والزهاد أيضا كثير، إذ حفظ الدين وقوانين السياسة وبث العدل وظيفة أولي الأمر، وكذا القراء وأصحاب الحديث ينفعون بضبط التنزيل والأحاديث التي هي أصول الشرع وأدلته، والوعاظ ينفعون بالوعظ والحث على لزوم التقوى لكن المبعوث بشرط أن يكون مشارا إليه في كل فن من هذه الفنون، وأغرب ابن حجر وحمل المجددين محصورين على الفقهاء الشافعية، وختمهم بشيخه الشيخ زكريا مع أنه غير معروف بتجديد فن من العلوم الشرعية، وشيخ مشايخنا السيوطي هو الذي أحيا علم التفسير المأثور في الدر المنثور، وجمع جميع الأحاديث المتفرقة في جامعه المشهور، وما ترك فنا إلا وله فيه متن أو شرح مسطور، بل وله زيادات ومخترعات يستحق أن يكون هو المجدد في القرن المذكور، كما ادعاه وهو في دعواه مقبول ومشكور، هذا والأظهر عندي والله أعلم أن المراد بمن يجدد ليس شخصا واحدا، بل المراد به جماعة يجدد كل أحد في بلد في فن أو فنون من العلوم الشرعية ما تيسر له من الأمور التقريرية أو التحريرية، ويكون سببا لبقائه وعدم اندراسه وانقضائه إلى أن يأتي أمر الله)[1].

---

(١) "مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح" للملا علي القاري (١/ ٣٢١)

قال ابن الصلاح: (وعلى الشيخ أبي حامد تأول بعض العلماء حديث: "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها"، فكان الشافعي على رأس المئتين، وابن سريج على رأس الثلاث مائة، وأبو حامد على رأس الأربع مائة)[١].

ونزّل الأئمة كأحمد وابن الصلاح وابن حجر حديث التجديد والخلفاء الراشدين على عمر بن عبد العزيز والشافعي!

ونزّل الأئمة كعبدالرزاق نبوءة "يوشك الناس أن يضرب أكباد الإبل لا يجدون أعلم من عالم المدينة" على مالك؛ لتحقق الوصف فيه!

قال أحمد: (مالك أثبت في كل شيء روى الترمذي من حديث أبي هريرة يرفعه قال: "يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل يطلبون العلم فلا يجدون أحدا أعلم من عالم المدينة" حسنه الترمذي، قال عبد الرزاق وهو مالك)[٢].

ونزّل الأئمة كالواسطي والبرزالي وابن ناصر وابن عبد الهادي حديث التجديد على ابن تيمية في عصره؛ حين رأوا تحقق الوصف فيه!

(١) "سير أعلام النبلاء" للذهبي (١٧/ ١٩٥)
(٢) "طرح التثريب" للعراقي (١/ ٩٤).

قال الحافظ عمر بن علي البزار: (جمع الله له ما خرق بمثله العادة، حتى اتفق كل ذي عقل سليم أنه ممن عني نبينا ﷺ بقوله: "إن الله يبعث على رأس كل مئة سنة من يجدد لهذه الأمة أمر دينها"، فلقد أحيا الله به ما كان قد درس من شرائع الدين، وجعله حجة على أهل عصره أجمعين)[1].

وقال ابن القيم في ترجمته لابن تيمية: (شيخ الاسلام والمسلمين القائم ببيان الحق ونصرة الدين، الداعي إلى الله ورسوله، المجاهد في سبيله، الذي أضحك الله به من الدين ما كان عابسا، وأحيى من السنة ما كان دارسا، والنور الذي أطلعه الله في ليل الشبهات، فكشف به غياهب الظلمات، وفتح به من القلوب مقفلها، وأزاح به عن النفوس عللها، فقمع به زيغ الزائغين، وشك الشاكين، وانتحال المبطلين، وصدقت به بشارة رسول رب العالمين، بقوله "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها"، وبقوله: "يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين" وهو الشيخ العلامة الزاهد، العابد، الخاشع، الناسك، الحافظ، المتبع: تقي الدين أبو العباس أحمد بن الشيخ الامام العلامة شيخ الاسلام أبي المحاسن عبد الحليم بن الشيخ الإسلام ومفتي الفرق علامة

(١) "الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية" (١ / ١٩)

الدنيا مجد الدين عبد السلام ابن الشيخ الامام العلامة الكبير شيخ الاسلام فخر الدين عبد الله بن ابي القاسم بن محمد بن تيمية الحراني قدس الله روحه ونور ضريحه).

ونزّل أبو شامة والقرطبي وغيرهم نبوءة النار التي تخرج من المدينة فتضيء لها أعناق الإبل في الشام على ما وقع في عصرهم!

كما في فتح الباري: (قال القرطبي في "التذكرة": قد خرجت نار بالحجاز بالمدينة، وكان بدؤها زلزلة عظيمة في ليلة الأربعاء بعد العتمة الثالث من جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة واستمرت إلى ضحى النهار يوم الجمعة فسكنت، وظهرت النار بقريظة بطرف الحرة ترى في صورة البلد العظيم عليها سور محيط عليه شراريف وأبراج ومآذن، وترى رجالا يقودونها، لا تمر على جبل إلا دكته وأذابته، ويخرج من مجموع ذلك مثل النهر أحمر وأزرق له دوي كدوي الرعد يأخذ الصخور بين يديه وينتهي إلى محط الركب العراقي، واجتمع من ذلك ردم صار كالجبل العظيم، فانتهت النار إلى قرب المدينة، ومع ذلك فكان يأتي المدينة نسيم بارد، وشوهد لهذه النار غليان كغليان البحر، وقال لي بعض أصحابنا: رأيتها صاعدة في الهواء من نحو خمسة أيام، وسمعت أنها رئيت من مكة ومن جبال بصرى. وقال

النووي: تواتر العلم بخروج هذه النار عند جميع أهل الشام. وقال أبو شامة في "ذيل الروضتين": وردت في أوائل شعبان سنة أربع وخمسين كتب من المدينة الشريفة فيها شرح أمر عظيم حدث بها فيه تصديق لما في الصحيحين، فذكر هذا الحديث)[1].

ونزّل متأخرو الحنابلة حديث التجديد على الشيخ محمد بن عبد الوهاب؛ لما رأوا دخوله في عموم حديث التجديد وتحقق الوصف فيه!

قال سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب عن محمد بن عبد الوهاب: (تصديق بشارة رسول رب الأرض والسماوات في قوله ﷺ: "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها"، على يدي من أقامه هذا المقام، ومنحه جزيل الفضل والإنعام، أعني به الشيخ الإمام، خلف السلف الكرام، المتبع لهدي سيد الأنام، المنافح عن دين الله في كل مقام، شيخ الإسلام، محمد بن عبد الوهاب، أحسن الله له المآب، وضاعف له الثواب)[2].

---

(١) "فتح الباري" لابن حجر (١٣/ ٧٩)

(٢) تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد (١/ ١١)

ونزّل بعض شراح الحديث نبوءة القحطاني "لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان، يسوق الناس بعصاه"[1] على محمد بن رشيد أمير حائل ونجد؛ وهو أول قحطاني يتحقق له هذا الوصف منذ البعثة!

وتوقّع أحمد شاكر في تعليقه على تفسير بن كثير عودة فتح القسطنطينية بعد أن أخرجها أتاتورك من الإسلام!

قال أحمد شاكر في تحقيقه لحاشية عمدة التفسير لابن كثير: (فتح القسطنطينية المبشر به في الحديث سيكون في مستقبل قريب أو بعيد يعلمه الله عز وجل، وهو الفتح الصحيح لها حين يعود المسلمون إلى دينهم الذي أعرضوا عنه، وأما فتح الترك الذي كان قبل عصرنا هذا فإنه كان تمهيدا للفتح الأعظم، ثم هي قد خرجت بعد ذلك من أيدي المسلمين منذ أعلنت حكومتهم هناك أنها حكومة غير إسلامية وغير دينية، وعاهدت الكفار أعداء الإسلام، وحكمت أمتها بأحكام القوانين الوثنية الكافرة، وسيعود الفتح الإسلامي لها إن شاء الله كما بشر به رسول الله ﷺ).

(١) صحيح البخاري (٤/ ١٨٣)

هذا ومن النبوءات ما يتكرر بتكرر الوصف الوارد؛ كما في فتح القسطنطينية بالتكبير بلا قتال وعودة الظهور فيها للإسلام؛ فيعم الخبر كل حادثة ينطبق عليها!

والخلط بين أحاديث الملاحم الكبرى كفتح القسطنطينية وروما، وعلامات الساعة الكبرى خطأ كبير، والاتكاء على نفي الملاحم بمثل هذا الخلط تضليل خطير!

وقد تأوّل ابن تيمية أحاديث الملاحم والبشارات على ما وقع في عصره ونعى على من أنكروها جهلا بالأخبار النبوية أو تعطيلا لها؛ فقال: (وكذا أخبر ﷺ عن أمور معينة مما كان وسيكون وليس شيء من ذلك يمكن معرفته بقياسهم: لا البرهاني ولا غيره فإن أقيستهم لا تفيد إلا أمورا كلية وهذه أمور خاصة وقد أخبر ﷺ بما يكون من الحوادث المعينة حتى أخبر عن التتر الذين جاءوا بعد ستمائة سنة من إخباره وكذلك عن النار التي خرجت قبل مجيء التتر سنة خمس وخمسين وستمائة هـ. فهل يتصور أن

قياسهم وبرهانهم يدل على آدمي معين أو أمة معينة فضلا عن موصوف بالصفات التي ذكرها)[1].

وقال عندما غزا التتار الشام: (وهذا يظن أن ما أخبره به أهل الآثار النبوية وأهل التحديث والمبشرات أماني كاذبة وخرافات لاغية. وهذا قد استولى عليه الرعب والفزع حتى يمر الظن بفؤاده مر السحاب ليس له عقل يتفهم ولا لسان يتكلم. وهذا قد تعارضت عنده الأمارات وتقابلت عنده الإرادات؛ لا سيما وهو لا يفرق من المبشرات بين الصادق والكاذب. ولا يميز في التحديث بين المخطئ والصائب. ولا يعرف النصوص الأثرية معرفة العلماء؛ بل إما أن يكون جاهلا بها وقد سمعها سماع العبر ثم قد لا يتفطن لوجوه دلالتها الخفية ولا يهتدي لدفع ما يتخيل أنه معارض لها في بادئ الروية. فلذلك استولت الحيرة على من كان متسما بالاهتداء وتراجمت به الآراء تراجم الصبيان بالحصباء. ﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾[الأحزاب:١١]. ابتلاهم الله بهذا الابتلاء الذي يكفر به خطيئاتهم ويرفع به درجاتهم وزلزلوا بما يحصل لهم من الرجفات ما استوجبوا به أعلى الدرجات. قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ

(١) مجموع الفتاوى (٩/ ٢٤٨)

﴿وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب:١٢]. وهكذا قالوا في هذه الفتنة فيما وعدهم أهل الوراثة النبوية والخلافة الرسالية وحزب الله المحدثون عنه. حتى حصل لهؤلاء التأسي برسول الله ﷺ كما قال الله تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ﴾[الأحزاب:٢١]. فأما المنافقون فقد مضى التنبيه عليهم)[١].

وقال: (وأقل ما يجب على المسلمين أن يجاهدوا عدوهم في كل عام مرة، وإن تركوه أكثر من ذلك فقد عصوا الله ورسوله، واستحقوا العقوبة، وكذلك إذا تقاعدوا حتى يطأ العدو أرض الإسلام، والتجربة تدل على ذلك، فإنه لما كان المسلمون يقصدونهم في تلك البلاد لم يزالوا منصورين، وفي نوبتي حمص الأولى والثانية لما مكنوهم من دخول البلاد كاد المسلمون في تلك النوبة أن ينكسروا لولا أن ثبت الله، وجرى في هذه المدة ما جرى، وما قصدهم المسلمون قط إلا نصروا، كنوبة عين جالوت والفرات والروم، ونحن نرجو أن يستأصلهم الله تعالى، ولا حول ولا قوة إلا بالله، فإن البشارات متوفرة على ذلك، وقد حدثنا أبي رحمه الله أنه كان عندهم كتاب عتيق وقف عليه من أكثر من خمسين سنة قبل مجيء التتار إلى بغداد، وهو مكتوب من سنين كثيرة، وفي آخره: والتتار يقلعهم المصريون. وقد رأى

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٤٤٦)

المسلمون أنواعا من المبشرات بنصر الله ورسوله، وهذا لا شك منه إن شاء الله)[1].

وعامة النبوءات هي بيان وتفصيل لما ورد في القرآن من أخبار مستقبلية؛ كوعد الله بظهور الإسلام على الأديان كلها ﴿ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾[2] وهو وعد مازال يتحقق ولم يستكمل بدلالة ﴿لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾؛ فهو في طور التحقق!

قال القرطبي في تفسير الآية: (﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ﴾ يعني: محمدا ﷺ ﴿بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ أي: يعليه على كل الأديان. فالدين اسم بمعنى المصدر، ويستوي لفظ الواحد والجمع فيه. وقيل: أي: ليظهر رسوله على الدين كله، أي: على الدين الذي هو شرعه بالحجة ثم باليد والسيف، ونسخ ما عداه.

وقال: في تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾: (﴿لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾

---

(١) جامع المسائل (٥ / ٢٩٥)

(٢) [التوبة:٣٣] - [الفتح:٢٨] - [الصف:٩]

أي: بالحجج. ومن الظهور الغلبة باليد في القتال؛ وليس المراد بالظهور ألا يبقى دين آخر من الأديان، بل المراد يكون أهل الإسلام عالين غالبين. ومن الإظهار ألا يبقى دين سوى الإسلام في آخر الزمان. قال مجاهد: وذلك إذا نزل عيسى لم يكن في الأرض دين إلا دين الإسلام. وقال أبو هريرة: ليظهره على الدين كله بخروج عيسى. وحينئذ لا يبقى كافر إلا أسلم) وقال: (﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ أي بالحجة والبراهين. وقد أظهره على شرائع الدين حتى لا يخفى عليه شيء منها؛ عن ابن عباس وغيره. وقيل: «ليظهره» أي ليظهر الدّين دين الإسلام على كل دين. قال أبو هريرة والضحّاك: هذا عند نزول عيسى عليه السلام. وقال السُّدِّي: ذاك عند خروج المهدِيّ؛ لا يبقى أحد إلا دخل في الإسلام أو أدّى الجزية).

وظهور الإسلام على الدين كله؛ يقتضي ظهوره على عواصم الأديان التي تعلو بها؛ فتحقق في حياته ﷺ فتح مكة عاصمة دين مشركي العرب!

قال تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[1].

(١) الفتح:١٨

قال القرطبي في تفسيره؛ قوله تعالى: ﴿وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا﴾: (قال قتادة وابن أبي ليلى: فتح خيبر. وقيل فتح مكة).

وقال تعالى مصدقا لبشارته جَلَّجَلَالُهُ لرسوله ﷺ والمؤمنين في رؤيا دخولهم المسجد الحرام: ﴿لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّۖ لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمۡ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَۖ فَعَلِمَ مَا لَمۡ تَعۡلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتۡحٗا قَرِيبًا﴾[١]

قال القرطبي في تفسيره؛ قوله تعالى: ﴿فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتۡحٗا قَرِيبًا﴾: (أي: من دون رؤيا النبي ﷺ فتح خيبر؛ قاله ابن زيد والضحاك. وقيل فتح مكة. وقال مجاهد: هو صلح الحديبية؛ وقاله أكثر المفسرين. قال الزهري: ما فتح الله في الإسلام كان أعظم من صلح الحديبية؛ لأنه إنما كان القتال حين تلتقي الناس، فلما كانت الهدنة وضعت الحرب أوزارها وأمن الناس بعضهم بعضا؛ فالتقوا وتفاوضوا الحديث والمناظرة. فلم يُكَلَّم أحد بالإسلام يعقل شيئاً إلا دخل فيه، فلقد دخل في تينك السنتين في الإسلام مثلُ ما كان في الإسلام قبل ذلك وأكثر. يدلّك على ذلك أنهم كانوا سنة ستٍّ

(١) الفتح:٢٧

يوم الحديبية ألفا وأربعمائة، وكانوا بعد عام الحديبية سنة ثمان في عشرة آلاف).

وتحقق الوعد بظهور الإسلام بعد حياة النبي ﷺ كما بشّر؛ فظهر دينه على دين المجوس بفتح فارس، ثم على دين بوذا في أفغانستان، وفتحت القدس عاصمة أهل الكتابين الدينية!

وكما بشّر القرآن بفتح مكة، وأشار لفتح القدس؛ بشّر النبي ﷺ بفتح القسطنطينية وروما؛ وكلها عواصم للأديان العالمية؛ ليتحقق وعده ﴿**لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ**﴾! عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: سُئل -النبي ﷺ- أي المدينتين تفتح أولا القسطنطينية أو الرومية؟ فقال ﷺ: ("مدينة هرقل تفتح أولا "يعني القسطنطينية")[١].

في قوله تعالى: ﴿**لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ**﴾ الفعل المضارع بلام التعليل أو الصيرورة؛ يفيد المستقبل المستمر في الظهور حتى يعم الأرض كلها! عن

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٤/ ٥٩٨)

المقداد بن الأسود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال ﷺ: "لا يبقى على الأرض بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله الإسلام بعز عزيز أو بذل ذليل "[1].

وقد كانت كل الفتوح التي بشر بها النبي ﷺ يسبقها شدة وكرب؛ كما في الخندق قبل فتح مكة، وحروب الردة قبل فتح فارس والقدس، والحروب المغولية قبل فتح القسطنطينية!

والحكمة من كون الفتح يأتي بعد الشدة هي؛ لتمحيص صفوف أهل الإيمان وتمييزهم، واختبار صدقهم ثم تثبيتهم بتحقق وعد الله لهم!

كما قال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴾[2]

وقوله جَلَّجَلَالُهُ: ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾[3].

(١) صحيح ابن حبان ح ٦٦٩٩.
(٢) الأحزاب:٢٢
(٣) آل عمران:١٧٩

وقد كان انهيار المشرق الإسلامي أمام الحملات المغولية ثم الصليبية في القرن السابع زلزالا عظيما عمّت به الردّة والإلحاد!

كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية عن اضطراب أحوال أهل الشام حين غزاهم المغول، فمنهم من قال (إنهم يملكونها العام كما ملكوها عام هولاكو سنة ستمائة وسبع وخمسين، ثم قد يخرج العسكر من مصر فيستنقذها منهم كما خرج ذلك العام، وهذا ظن خيارهم!

وهذا يظن أن ما أخبره به أهل الآثار النبوية وأهل التحديث والمبشرات أماني كاذبة وخرافات لاغية! وهذا قد استولى عليه الرعب والفزع حتى يمر الظن بفؤاده مر السحاب، ليس له عقل يتفهم، ولا لسان يتكلم!

وهكذا لما قدم هذا العدو كان من المنافقين من قال ما بقيت الدولة الإسلامية تقوم، فينبغي الدخول في دولة التتار! وقال بعض الخاصة: ما بقيت أرض الشام تسكن؛ بل ننتقل عنها إما إلى الحجاز واليمن وإما إلى مصر! وقال بعضهم: بل المصلحة الاستسلام لهؤلاء، كما قد استسلم لهم أهل العراق والدخول تحت حكمهم)!

وقال أيضا عن تلك الحوادث وهي مشابهة لما يجري اليوم من محن وفتن وتداع للأمم على هذه الأمة: (وفي هذه الحادثة تحزب هذا العدو من مغول وغيرهم من أنواع الترك ومن فرس ومستعربة ونحوهم من أجناس المرتدة ومن نصارى الأرمن وغيرهم، ونزل هذا العدو بجانب ديار المسلمين وهو بين الإقدام والإحجام مع قلة من بإزائهم من المسلمين، ومقصودهم الاستيلاء على الدار واصطلام أهلها، وهكذا هذا العام، جاء العدو من ناحيتي علو الشام وهو شمال الفرات، وهو قبلي الفرات، فزاغت الأبصار زيغا عظيما وبلغت القلوب الحناجر؛ لعظم البلاء؛ لا سيما لما استفاض الخبر بانصراف العسكر إلى مصر وتقرب العدو وتوجهه إلى دمشق، وظن الناس بالله الظنونا، هذا يظن أنه لا يقف قدامهم أحد من جند الشام حتى يصطلموا أهل الشام، وهذا يظن أنهم لو وقفوا لكسروهم كسرة وأحاطوا بهم إحاطة الهالة بالقمر، وهذا يظن أن أرض الشام ما بقيت تسكن ولا بقيت تكون تحت مملكة الإسلام، وهذا يظن إنهم يأخذونها ثم يذهبون إلى مصر فيستولون عليها، فلا يقف قدامهم أحد فيحدث نفسه بالفرار إلى اليمن ونحوها، وهذا - إذا أحسن ظنه - قال: إنهم يملكونها العام كما ملكوها عام هولاكو سنة سبع وخمسين، ثم قد يخرج العسكر من مصر فيستنقذها منهم

كما خرج ذلك العام، وهذا ظن خيارهم، وهذا يظن أن ما أخبره به أهل الآثار النبوية وأهل التحديث والمبشرات أماني كاذبة وخرافات لاغية، وهذا قد استولى عليه الرعب والفزع حتى يمر الظن بفؤاده مر السحاب ليس له عقل يتفهم ولا لسان يتكلم)[1].

وقد جاء فتح القسطنطينية بعد قرنين من الانهيار العسكري والروحي؛ فتحقق الوعد الحق وتجدد ظهور الإسلام بفتحها خمسة قرون! كما قال ﷺ: «لتفتحن القسطنطينية فلنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش»[2]

وأحاديث البشارة بفتح القسطنطينية مشهورة؛ وتكاد تبلغ حد التواتر، وثبت أنها تفتح أولا عسكريا؛ وأثنى ﷺ على جيش الفتح وأميره؛ ففاز بها محمد الفاتح!

وقد كان فتح القسطنطينية حدثا عالميا غيّر وجه التاريخ الإنساني إلى اليوم؛ ويعدّ بالنسبة للغرب بداية عصر النهضة؛ وبالنسبة للإسلام تحقق الوعد بالظهور!

(١) مجموع الفتاوى - (٢٨ / ٤٤٤ - ٤٦٠)
(٢) رواه أحمد في مسنده (٣١/ ٢٨٧)

وقد حاول بعض العلماء تأويل فتح القسطنطينية على غزوها، وحاول بعضهم نفي أن يكون الفتح قد تحقق! وكل ذلك تعطيل للنبوءة وصرف لها عن وجهها الذي تحقق!

ولا يعرف المسلمون فتحا للقسطنطينية ولا فاتحا لها إلا الفتح المشهور على يد محمد الفاتح، وكل صرف للبشارة عنه؛ تعطيل وتأويل للنصوص عن ظواهرها!

كما ثبت أيضا في الصحيح أن القسطنطينية تُفتح سلما بالتكبير، وجاء في لفظ: (تستفتحون) وهو طلب النصر بالدعاء والتكبير!

كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن النبي ﷺ قال: (سمعتم بمدينة جانب منها في البر وجانب منها في البحر؟ قالوا: نعم يا رسول الله. قال: لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفا من بني إسحق؛ فإذا جاءوها نزلوا فلم يقاتلوا بسلاح ولم يرموا بسهم، قالوا: لا إله إلا الله والله أكبر؛ فيسقط أحد جانبيها. قال ثور: لا أعلمه إلا قال الذي في البحر؛ ثم يقولوا الثانية: لا إله إلا الله والله أكبر؛ فيسقط جانبها الآخر، ثم يقولوا الثالثة: لا إله إلا الله والله أكبر؛ فيفرج لهم فيدخلوها؛ فيغنموا؛ فبينما هم يقتسمون

المغانم؛ إذ جاءهم الصريخ، فقال: إن الدجال قد خرج؛ فيتركون كل شيء، ويرجعون)[1].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: "تغزون القسطنطينية ثلاث غزوات: فأما غزوة واحدة: فتلقون بلاء وشدة، والغزوة الثانية: يكون بينكم وبينهم صلح، حتى يبتني فيها المسلمون المساجد، ويغزون معهم من وراء القسطنطينية، ثم يرجعون إليها، والغزوة الثالثة: يفتحها الله لكم بالتكبير، فتكون على ثلاث أثلاث، يخرب ثلثها، ويحرق ثلثها، ويقسمون الثلث الباقي كيلا "[2].

وعن كثير بن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن أبيه، عن جده، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "ستقاتلون بني الأصفر في عصابة من المسلمين؛ لا تأخذهم في الله لومة لائم حتى تستفتحون القسطنطينية بالتكبير، والتسبيح "[3].

---

(١) رواه مسلم (٤/ ٢٢٣٨)

(٢) الفتن لنعيم بن حماد (٢/ ٤٨٢)

(٣) المعجم الكبير للطبراني (١٧/ ٢١)

ومنذ أن فتح محمد الفاتح القسطنطينية؛ والإسلام فيها ظاهر على الأديان، ثم صارت عاصمة للخلافة؛ فازداد فيها ظهورا؛ حتى سقطت الخلافة وفُرضت العلمانية!

ومنذ هزيمة الأمة في الحرب العالمية الأولى وتركيا تحت نفوذ الغرب عسكريا وسياسيا وثقافيا؛ حتى منع الأذان والحجاب وشعائر الإسلام في دار الخلافة!

ولم يحدث منذ هزيمة تركيا وإلغاء الخلافة سنة ١٩٢٤م-١٣٤٢هـ؛ أن استعاد الأتراك سيادتهم واستعاد الإسلام حضوره وظهوره كما حدث بعد الانقلاب العسكري المدعوم أمريكيا يوم الجمعة ٩شوال ١٤٣٧هـ-١٥يوليو٢٠١٦م!

وقد استفتح الأتراك ليلتها بالتكبير وضج ٨٥ ألف مسجد بالأذان والقرآن فجرا، يستفتحون بالنصر؛ فتنزّل عليهم النصر على نحو معجز أمام مؤامرة دولية للروم!



وقد قص علينا رئيس الشئون الدينية آنذاك د محمد قورماز خبر تلك الليلة -وكنا وفدا من (مؤتمر الأمة) جئنا لمؤازرتهم فيه: الشيخ حسن الدقي والشيخ سيف الهاجري والشيخ حسن سلمان والشيخ فؤاد بن صالح- فقال: لما وقع الانقلاب وعمّ الاضطراب تركيا، لم يخطر في بالي إلا حادثة واحدة حين كنت صغيرا في العاشرة من العمر، ودخل الجيش التركي قبرص سنة ١٩٧٤م فصاح بي والدي، وأمرني أن أرقى إلى منارة الجامع في بلدتنا وأدعو الناس بالتكبير والتهليل، فاجتمع أهل البلدة في الجامع يكبرون ويهللون ويصلون على النبي ﷺ ويدعون بالنصر للجيش، فتذكرت تلك اللحظات؛ فأخذت هاتفي وكتبت رسالة، وكنت عادة أرسل الرسائل للأئمة والمؤذنين بصفتهم موظفين، وكان عددهم نحو ٨٠ ألف موظف،

فأرسلت لهم رسالة وخاطبتهم بصفتهم مواطنين، وقلت فيها: أيها المواطنون الأحرار، وطنكم وأمتكم في حاجتكم؛ فاهرعوا إلى الجوامع والمساجد، وكبروا وهللوا حتى تزول عنهم هذه الغمة! قال: فما هي إلا دقائق، وإذا بمساجد تركيا تضجّ كلها بالتكبير والتهليل والدعاء؛ فأنزل الله السكينة على قلوب الجميع، فهذا بعض ما قصه الشيخ قورماز من خبره، فقلت لوفد (مؤتمر الأمة) بعد خروجنا من اللقاء معه: أرأيتم كيف ادخر الله هذا الرجل الصالح لهذه اللحظة!

وقد أخبرني كثير ممن شهد تلك الليلة في إسطنبول، وقالوا: كادت قلوبنا تطير من الفزع من هول ذلك اليوم حيث كان صوت الطائرات الحربية يهز الأرض من شدته، وكانت تطير بمستوى منخفض تكاد أجنحتها تصافح المباني، وكان الهدف من ذلك إثارة الرعب والذعر في قلوب الناس؛ ليلزموا مساكنهم ويتفرقوا، حتى كان كثير منهم لشدة الفزع قد التصقوا في الأرض وهم في بيوتهم بنسائهم وأطفالهم، فما هو إلا أن سمعوا المساجد تضجّ بذكر الله تكبيرا وتهليلا ودعاء؛ حتى نزلت عليهم السكينة، وزال عنهم الرهب، وخرجوا إلى المساجد، ثم إلى الطرقات يتظاهرون؛ فكانت الطائرة تمر فوق رؤوسهم كمرور الطير لا أثر لها!

وما حدث بخلاف البشارة الأولى بفتح القسطنطينية التي كان الثناء فيها على الأمير والجيش؛ فقد اقتصرت البشارة الثانية على استفتاح المسلمين بالنصر وحدوث الفتح!

كما استفتح المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها بالدعاء والنصر للأتراك؛ وكان حدثا عالميا ونبأ عظيما؛ وسيكون فتحا جديدا على تركيا والعالم الإسلامي!

وكما فرح المسلمون وعدّوا ما حدث فتحا جديدا؛ فقد اغتاظ الغرب حتى صرحت جمعيات مسيحية أنه خسارة كبرى وشبهته بسقوط القسطنطينية الأول بيد المسلمين!

وهذا أوان الشروع في التبويب لهذا الجزء، وبالله التوفيق.

- باب: دعوة النبي ﷺ قيصر القسطنطينية إلى الإسلام ونهيه عن إكراه قومه، ويقين هرقل بنبوته وبظهور الإسلام على مملكته وعلى الأرض كلها:

١- عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (أن رسول الله ﷺ كتب إلى قيصر يدعوه إلى الإسلام، وبعث بكتابه مع دحية الكلبي، وأمره رسول الله ﷺ أن يدفعه إلى عظيم بصرى [الشام] ليدفعه إلى قيصر، فدفعه دحية الكلبي إلى عظيم بصرى، فدفعه عظيم بصرى إلى قيصر، وكان قيصر لما كشف الله عنه جنود فارس مشى من حمص إلى إيلياء شكرا لله عز وجل لما أبلاه الله، فلما جاء قيصر بكتاب رسول الله ﷺ؛ قال حين قرأه: التمسوا لي هٰهنا أحدا من قومه لنسأله عن هذا الرجل!

قال عبد الله بن العباس: فأخبرني أبو سفيان أنه كان جالسا في رجال من قريش قدموا تجارا في المدة [صلح الحديبية] التي بينهم وبين رسول الله ﷺ قال أبو سفيان: فوجدنا رسول قيصر ببعض الشام، فانطلق بي وبأصحابي حتى قدمنا إيلياء [بيت المقدس]، فأدخلنا عليه، فإذا هو جالس في مجلس ملكه، وعليه التاج، وإذا حوله عظماء الروم.

فقال لترجمانه: سلهم أيهم أقرب نسبا من هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ قال أبو سفيان فقلت: أنا أقربهم نسبا إليه.

قال: أي قرابة بينك وبينه؟

قلت: هو ابن عمي وليس في الركب يومئذ من بني عبد مناف غيري.

قال قيصر: ادنوه مني ثم أمر بأصحابي فجعلوا خلف ظهري عند كتفي، ثم قال لترجمانه: قل لأصحابه: إني سائل هذا الرجل عن الرجل الذي يزعم أنه نبي، فإن كذب فكذبوه!

قال أبو سفيان: والله لولا الحياء يومئذ من أن يأثروا عني الكذب لكذبت عليه حين سألني؛ ولكن استحييت أن يأثروا عني الكذب؛ فصدقته عنه.

ثم قال لترجمانه: كيف حسب هذا الرجل فيكم؟

قلت: هو فينا ذو حسب.

قال: فهل قال هذا القول أحد منكم قبله؟

قلت: لا!

قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟

قلت: لا!

قال: فهل في آبائه من ملك؟

قلت: لا!

قال: فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟

قلت: بل ضعفاؤهم.

قال: فيزيدون أو ينقصون؟

قلت: بل يزيدون.

قال: فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن دخل فيه؟

قلت: لا!

قال: فهل يغدر؟

قلت: لا! ونحن الآن منه في مدة نخاف أن يغدر! قال أبو سفيان: ولم تمكني كلمة أدخل فيها شيئا أنتقصه به لا أخاف أن يؤثر غيرها.

قال: فهل قاتلتموه وقاتلكم؟

قلت: نعم.

قال: فكيف كانت حربكم وحربه؟

قلت: كانت دولا وسجالا يدال علينا مرة وندال عليه الأخرى.

قال: فماذا يأمركم به؟

قلت: يأمرنا أن نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئا، وينهانا عما كان يعبد آباؤنا، ويأمرنا بالصلاة، والصدق، والكفاف، والعفاف، والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة.

فقال لترجمانه حين قلت ذلك كله:

قل له: إني سألتك عن نسبه فيكم، فزعمت أنه ذو نسب، وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها.

وسألتك: هل قال هذا القول أحد منكم قبله؟ فزعمت أن لا؛ فقلت: لو كان أحد منكم قال هذا القول قبله؛ قلت: رجل يأتم بقول قيل قبله.

وسألتك: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فزعمت أن لا؛ فعرفت أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله عز وجل!

وسألتك: هل كان من آبائه من ملك، فزعمت أن لا؛ فقلت: لو كان من آبائه ملك؛ لقلت: يطلب ملك آبائه.

وسألتك: أشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ فزعمت أن ضعفاؤهم اتبعوه وهم أتباع الرسل.

وسألتك: هل يزيدون أم ينقصون؟ فزعمت أنهم يزيدون، وكذلك الإيمان حتى يتم.

وسألتك: هل يرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ فزعمت أن لا، وكذلك الإيمان إذا خالطه بشاشته القلوب لا يسخطه أحد.

وسألتك: هل قاتلتموه وقاتلكم؟ فزعمت أن قد فعل، وأن حربكم وحربه دول يدال عليكم مرة ويدال عليه أخرى؛ وكذلك الرسل تبتلى وتكون لها العاقبة.

وسألتك فماذا يأمركم به؟ فزعمت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وينهاكم عما كان يعبد آباؤكم ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف والوفاء بالعهد وأداء الأمانة وهذه صفة نبي، قد كنت أعلم أنه خارج؛ ولكن لم أظن أنه منكم. وإن يكن ما قلت حقا؛ **فيوشك أن يملك موضع قدمي**

هاتين، ولو أرجو أني أخلص إليه لتجشمت حتى ألقاه، ولو كنت عنده لغسلت قدميه!

قال أبو سفيان: ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ فأمر به فقرئ؛ فإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد عبد الله ورسوله، إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام: أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فعليك إثم الإريسيين ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴾.

قال أبو سفيان: فلما قضى مقالته علت أصوات الروم الذين حوله من عظماء الروم، وكثر لغطهم، ولا أدري ما قالوا، وأمر بنا فأخرجنا، فلما أن خرجنا من عنده مع أصحابي وخلوت بهم قلت لهم: لقد أمر أمر ابن أبي كبشة [يعني النبي ﷺ]، هذا ملك بني الأصفر يخافه!

قال أبو سفيان: والله ما زلت متيقنا دليلا أن أمره سيظهر حتى أدخل الله قلبي الإسلام وأنا كاره!

قال أبو سفيان في رواية: وحضرته [هرقل] يتحادر جبينه عرقا من كرب الصحيفة التي كتب إليه النبي ﷺ في رسالته: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [آل عمران: ٦٤] الآية ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ﴾ [التوبة: ٣٣] الآية ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ [التوبة: ٢٩] إلى قوله تعالى: ﴿صَٰغِرُونَ﴾).

رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من طريق الزهري، وهذا سياق أبي نعيم في دلائل النبوة، وزاد البخاري قال الزهري :(فدعا هرقل عظماء الروم فجمعهم في دار له، فقال: يا معشر الروم، هل لكم في الفلاح والرشد آخر الأبد، وأن يثبت لكم ملككم، قال: فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب، فوجدوها قد غلقت، فقال: علي بهم، فدعا بهم؛ فقال: إني إنما اختبرت شدتكم على دينكم، فقد رأيت منكم الذي أحببت فسجدوا له ورضوا عنه).

٢- عن عبد الله بن شداد، قال: (كتب رسول الله ﷺ إلى صاحب الروم: من محمد رسول الله، إلى هرقل صاحب الروم إني أدعوك إلى الإسلام، فإن أسلمت فلك ما للمسلمين، وعليك ما عليهم، فإن أبيت فتخلي عن الفلاحين، فليسلموا أو يؤدوا الجزية.

فلما أتاه الكتاب، قرأه، فقام أخ له؛ فقال: لا تقرأ هذا الكتاب، بدأ بنفسه قبلك، ولم يسمك ملكا، وجعله صاحب الروم، قال: كذبت، أن يكون بدأ بنفسه، فهو كتب إلي، وإن كان سماني صاحب الروم فأنا صاحب الروم، ليس لهم صاحب غيري، فجعل يقرأ الكتاب وهو يعرق جبينه من كرب الكتاب، وفي شدة القر [البرد]، فقال: من يعرف هذا الرجل؟ فأرسل إلى أبي سفيان، فقال: أتعرف هذا الرجل؟ فقال: نعم، قال: ما نسبه فيكم؟ قال: من أوسطنا نسبا، قال: فأين داره من قريتكم؟ قالوا: في وسط قريتنا، قال: هذه من آياته، قال: هل يأتيكم منهم أحد، ويأتيهم منكم أحد، قلت: يأتيهم منا، ولا يأتينا منهم، قال: هل قاتلتموه؟ قال: نعم، قال: فظهرتم عليهم، أو ظهروا عليكم؟ قلت: بل ظهروا علينا، قال: وهذه من آياته. قال: قلت: ألا تسمع أنه يقول: سيظهر على الأرض كلها، قال: **إن كان هو ليظهرن على الأرض حتى يظهر على ما تحت قدمي**، ولو علمت أنه هو لمشيت إليه حتى أقبل رأسه، وأغسل قدميه.

قال أبو سفيان: إنه لأول يوم رعبت من محمد، قلت: هذا في سلطانه، وملكه، وحصونه، يتحادر جبينه عرقا من كرب الصحيفة، فما زلت مرعوبا من محمد حتى أسلمت، وفي الرسالة ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ

بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٦٤] ، ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٣] ، ﴿ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴾ [التوبة: ٢٩]، وكان للروم أسقف لهم يقال له بغاطر على بيعة لهم، يصلي فيها ملوكهم، فلقي بعض أصحاب رسول الله ﷺ: فقال: اكتبوا لي سورة من القرآن، فكتبوا له سورة، فقال: هذا الذي نعرف كتاب الله، فأسلم وأسر ذلك، فلما كان يوم الأحد تمارض فلم يأت بيعتهم، فلما كان الأحد الآخر، لم يجئ، فقيل: ليس به مرض، فأرسل إليه: لتجيئن أو لتحملن، فجاء يمشي، فقال له: ما لك؟ فقال: هذا كتاب الله، وأمر الله، ونعت المسيح، وهو الدين الذي نعرف، فقال: ويحك، لو أقول هذا لقتلتني الروم، قال: لكني أنا أقوله!

قال: أما تسمعون ما يقول هذا؟ قال: فأخذوه حين تكلم بذلك فما زالوا يعذبونه حتى ينزعوا الضلع من أضلاعه بالكلبتين، فأبى أن يرتد عن دينه حتى قتلوه وحرقوه).

رواه سعيد بن منصور في السنن بإسناد صحيح، عن ابن شداد مرسلا، ورواه الطبراني في المعجم الكبير، وأبو نعيم في دلائل النبوة من طريق آخر عن عبد الله بن شداد، عن دحية الكلبي؛ قال: (بعث النبي ﷺ معي بكتاب إلى قيصر فقمت بالباب، وقلت: أنا رسول رسول الله ﷺ! ففزعوا لذلك فدخل عليه الإذن، فقال: هذا رجل بالباب يزعم أنه رسول رسول الله ﷺ! فأذن لي، فدخلت عليه، فأعطيته الكتاب، فقرئ عليه فإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى قيصر صاحب الروم، قال ابن أخ له أحمر) أزرق، سبط الشعر، قد نخر، ثم قال: لمَ لمْ يكتب إلى ملك الروم؟! ولم يبدأ بك؟ فلا تقرأ كتابه اليوم!

فقال لهم: أخرجوه، ودعا بالأسقف، وكانوا يصدرون عن رأيه، فيقبلون قوله، فلما قرأ عليه الكتاب قال: هو والله رسول الله الذي بشرنا به موسى وعيسى عليهما السلام!

قال: فأي شيء ترى؟ قال: أرى أن تتبعوه. قال قيصر: وأنا أعلم ما تقول ولكني لا أستطيع أن أتبعه؛ فيذهب ملكي، فيقتلني الروم.

ثم دعاني فقال: بلغ صاحبك أني أعلم أنه نبي، ولكن لا أترك ملكي.

ثم أخذ الكتاب فوضعه على رأسه وقبله، وطواه في الديباج والحرير، وجعله في سفط.

وأما الأسقف فإن النصارى كانوا يجتمعون إليه في كل أحد فيخرج إليهم ويذكرهم ويقص عليهم ثم يدخل فيقعد إلى يوم الأحد، فكنت أدخل عليه فيسألني، فلما جاء الأحد انتظروه يخرج إليهم، فلم يخرج واعتل عليهم بالمرض، ففعل ذلك مرارا، حتى كان آخر ذلك أن حضروا ثم بعثوا إليه لتخرجن أو لندخلن عليك، فإنا قد أنكرناك منذ قدم هذا العربي!

قال دحية: فبعث الأسقف إلي؛ فقال: اذهب إلى صاحبك فاقرأ عليه السلام وأخبره أني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وأن عيسى عبد الله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم، وأنه ابن العذراء البتول، فقتلوه.

ثم رجع دحية إلى رسول الله ﷺ، فأخبره فوجد عنده رسل عامل كسرى على صنعاء، بعث إليه بكتاب، وقد كان النبي ﷺ بعث إلى كسرى بكتاب وكتب كسرى إلى صاحبه بصنعاء يتوعده، ويقول: ألا تكفيني رجلا بأرضك يدعوني إلى دينه أو أؤدي الجزية وأنا صاغر! فإن لم أفعل قاتلني، فإن ظهر عليّ قتل المقاتلة وسبى الذرية؟ لتكفنيه أو لأفعلن بك! فبعث صاحب

صنعاء إلى النبي ﷺ، فلما قرأ رسول الله ﷺ كتاب صاحبهم تركهم خمس عشرة ليلة لا يكلمهم ولا ينظر إليهم إلا إعراضا، فلما مضت خمس عشرة ليلة تقدموا إليه، فلما رآهم دعاهم، وقال: اذهبوا إلى صاحبكم، فقولوا: إن ربي قتل ربك الليلة فانطلقوا فأخبروه بالذي صنع وبالذي قال لهم رسول الله ﷺ، فقال لهم صاحبهم: تحفظون تلك الليلة؟ قالوا: نعم ليلة كذا وكذا وقال: أخبروني كيف رأيتموه؟ قالوا: ما رأينا ملكا أهيب منه، لا يخاف شيئا، آمنا لا يحرس، ولا يرفع أصحابه أصواتهم عنده. قال دحية: ثم جاء الخبر بأن كسرى قتل تلك الليلة).

٣- وعن سعيد بن المسيب، قال: (كتب رسول الله ﷺ: من محمد رسول الله، إلى قيصر أن ﴿تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءِۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران ١٦٤].

وكتب إلى كسرى والنجاشي بهذه الآية، فأما كسرى، فمزق كتاب الله، ولم ينظر فيه، فقال: مزق ومزقت أمته، وأما قيصر فلما قرأ كتاب - يعني رسول الله - قال: هذا كتاب لم أسمعه بعد سليمان النبي ﷺ، فدعا أبا سفيان،

والمغيرة بن شعبة، وكانا تاجرين هناك، فسألهما عن بعض شأن رسول الله ﷺ فأخبراه، فقال: بأبي وأمي ليملكن ما تحت قدمي، فقال رسول الله ﷺ: إن لهم ملة، وأما النجاشي، فأمر من كان عنده من أصحاب رسول الله ﷺ، فأرسل إليه بكتابه، فقال رسول الله ﷺ: اتركوهم ما تركوكم).

رواه ابن أبي شيبة في المصنف، وسعيد بن منصور في السنن، بإسناد صحيح عن ابن المسيب مرسلا، وكل مراسيله صحيحة.

- باب: فضل فتح القسطنطينية وفضل أول جيش يغزوها من المسلمين:

٤- عن أم حرام الأنصارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أنها سمعت النبي ﷺ يقول: (أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا)، قالت أم حرام: قلت: يا رسول الله أنا فيهم؟ قال: (أنت فيهم)، ثم قال النبي ﷺ: (أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم)، فقلت: أنا فيهم يا رسول الله؟ قال: لا)[(١)].

رواه البخاري في صحيحه. ومدينة قيصر هي القسطنطينية.

---

(١) وهذا الحديث صريح في فضل هذه المدينة وشرفها، وعظيم مكانتها، وحثّ النبي ﷺ على غزوها، حتى كان أول جيش يقصد فتحها مغفورا له؛ فما ظنك بالجيش الذي يفتحها!

وأول جيش غزا البحر كان في خلافة عثمان، وإمارة معاوية على الشام، حيث خرج معاوية في أسطول بحري لفتح قبرص سنة ٢٨ للهجرة، وأول جيش غزا القسطنطينية في خلافة معاوية سنة ٥٢ للهجرة، كما قال القسطلاني في شرحه للبخاري ٥/ ١٠٤: (..."أول جيش من أمتي يغزون=

٥- عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن أم حرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أنها قالت: (بينا رسول الله ﷺ قائلا في بيتي؛ إذ استيقظ وهو يضحك، فقلت: بأبي وأمي،

=البحر" هو جيش معاوية "قد أوجبوا" لأنفسهم المغفرة والرحمة بأعمالهم الصالحة، "قالت أم حرام: قلت يا رسول الله أنا فيهم؟ قال" عليه الصلاة والسلام "أنت فيهم. ثم قال النبي: أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر" ملك الروم يعني القسطنطينية "مغفور لهم". قالت أم حرام "فقلت أنا فيهم يا رسول الله؟ قال: لا" فركبت البحر زمن معاوية لما غزا قبرس سنة ثمان وعشرين، فلما رجعت قربت دابة لتركبها فوقعت فاندقت عنقها فماتت، وكان أول من غزا مدينة قيصر يزيد بن معاوية ومعه جماعة من سادات الصحابة كابن عمر وبن عباس وابن الزبير وأبي أيوب الأنصاري وتوفي بها سنة اثنتين وخمسين من الهجرة).

وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري شرح صحيح البخاري ٦/ ١٠٣: (كان يزيد أمير ذلك الجيش بالاتفاق، وجوز بعضهم أن المراد بمدينة قيصر المدينة التي كان بها يوم قال النبي ﷺ تلك المقالة، وهي حمص، وكانت دار مملكته إذ ذاك، وهذا يندفع بأن في الحديث أن الذين يغزون البحر قبل ذلك، وأن أم حرام فيهم، وحمص كانت قد فتحت قبل الغزوة التي كانت فيها أم حرام والله أعلم، قلت وكانت غزوة يزيد المذكورة في سنة اثنتين وخمسين من الهجرة، وفي تلك الغزاة مات أبو أيوب الأنصاري، فأوصى أن يدفن عند باب القسطنطينية، وأن يعفى قبره، ففعل به ذلك، فيقال إن الروم صاروا بعد ذلك يستسقون به..

وفي الحديث أيضا الترغيب في سكنى الشام، وقوله: "قد أوجبوا" أي: فعلوا فعلا وجبت لهم به الجنة).

وقال العيني في عمدة القاري ١٤/ ١٩٨ (قوله: "يغزون البحر" لأن المراد من غزو البحر هو قتال الروم الساكنين من وراء البحر الملح. وفي قوله: "يغزون مدينة قيصر" لأن المراد بها القسطنطينية، والمشهور عندهم أنها تسمى: اصطنبول...

قوله: "أول جيش من أمتي يغزون البحر" أراد به جيش معاوية، وقال المهلب: معاوية أول من غزا البحر، وقال ابن جرير: قال بعضهم: كان ذلك في سنة سبع وعشرين، وهي غزوة قبرص في زمن عثمان بن عفان، رضي الله تعالى عنه).

ما يضحكك؟ فقال: عرض عليّ ناس من أمتي، يركبون ظهر هذا البحر، كالملوك على الأسرة، فقلت: ادع الله أن يجعلني منهم، قال: اللّهم اجعلها منهم. ثم نام أيضا، فاستيقظ وهو يضحك، فقلت: بأبي وأمي، ما يضحكك؟ قال: عرض عليّ ناس من أمتي، يركبون هذا البحر، كالملوك على الأسرة. فقلت: ادع الله أن يجعلني منهم، قال: أنت من الأولين ولست من الآخرين.

فغزت زمن معاوية، مع عبادة بن الصامت، وكان زوجها، فوقصتها بغلة لها شهباء، فوقعت، فماتت)[(١)]. متفق عليه في الصحيحين.

---

(١) في هذا الحديث ما في الذي قبله من فضيلة الجهاد في البحر، وعظيم أجره وفضله، وشرف أهله، واستبشار النبي ﷺ وفرحه به وبهم، وارتباط ظهور الإسلام على أكمل صوره بالقوة في البحر خاصة؛ ولهذا وصفهم كالملوك على الأسرة؛ لبيان حسن حالهم، وكمال قوتهم، وفيه فضل أمراء بني عثمان وخلفائهم، فهم أكثر من ركبوا البحر جهادا في سبيل الله، وقد كان فتح القسطنطينية بالسفن الحربية التي كان العبور بها برا معجزة عسكرية، قال ابن بطال في شرحه للبخاري ٥/ ١٠ : (وضحكه ﷺ هو سرور منه، بما يدخله الله على أمته من الأجر، وما ينالوه من الخير، وإنما رآهم ملوكا على الأسرة في الجنة في رؤياه، وفيه إباحة الجهاد للنساء في البحر، وقد ترجم له بذلك بعد: باب: جهاد النساء، بعد هذا.

وقالت أم عطية: "كنا نغزوا مع النبي ﷺ فنداوي الكلمى ونقوم على المرضى.

وفيه أن الجهاد تحت راية كل إمام جائز ماض إلى يوم القيامة؛ لأنه رأى الآخرين ملوكا على الأسرة كما رأى الأولين، ولا نهاية للآخرين إلى يوم القيامة، قال تعالى: ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝٣٩ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ﴾، وهذا الحديث من أعلام النبوة وذلك).=

- باب: البشارة بفتح القسطنطينية وتحريرها من طغيان القياصرة وزوال القيصرية البيزنطية الصليبية عنها وصحة ولاية فاتحها وصحة جهاده وصرفه أموالها في سبيل الله:

٦- عن أبي هريرة وجابر بن سمرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قالا: قال رسول الله ﷺ: (إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله). متفق عليه في الصحيحين من حديث أبي هريرة، ومن حديث جابر بن سمرة.

=وقال ابن حجر في الفتح ١١/ ٧٧: (وفيه مشروعية الجهاد مع كل إمام لتضمّنه الثناء على من غزا مدينة قيصر، وكان أمير تلك الغزوة يزيد بن معاوية، ويزيد يزيد! وثبوت فضل الغازي إذا صلحت نيته، وقال بعض الشراح فيه فضل المجاهدين إلى يوم القيامة؛ لقوله فيه "ولست من الآخرين"، ولا نهاية للآخرين إلى يوم القيامة، والذي يظهر أن المراد بالآخرين في الحديث الفرقة الثانية، نعم يؤخذ منه فضل المجاهدين في الجملة لا خصوص الفضل الوارد في حق المذكورين، وفيه ضروب من أخبار النبي ﷺ بما سيقع فوقع، كما قال وذلك معدود من علامات نبوته، منها إعلامه ببقاء أمته بعده، وأن فيهم أصحاب قوة وشوكة ونكاية في العدو، وأنهم يتمكنون من البلاد حتى يغزوا البحر، وأن أم حرام تعيش إلى ذلك الزمان، وأنها تكون مع من يغزو البحر، وأنها لا تدرك زمان الغزوة الثانية، وفيه جواز الفرح بما يحدث من النعم، والضحك عند حصول السرور لضحكه ﷺ إعجابا بما رأى من امتثال أمته أمره لهم بجهاد العدو، وما أثابهم الله تعالى على ذلك).

ورواه مسلم أيضا عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بلفظ: (هلك كسرى ثم لا يكون كسرى بعده، وقيصر ليهلكن ثم لا يكون قيصر بعده، ولتنفقن كنوزهما في سبيل الله عز وجل)[1].

(١) وفي هذا الحديث فضيلة ظاهرة لمحمد الفاتح رَحِمَهُٱللَّهُ؛ فهو الذي أزال سلطان قياصرة الروم من القسطنطينية، وقضى على الإمبراطورية البيزنطية؛ كما أزال عمر الفاروق سلطان كسرى! وفيه صحة ولاية محمد الفاتح وصحة تصرفه بإنفاق كنوز قيصر في سبيل الله وهو ما تحقق فعلا سنة ٨٥٧ هـ على النحو الذي بشّر به النبي ﷺ!

قال البيهقي في دلائل النبوة ٤/ ٣٩٣: (قال الشافعي رَحِمَهُٱللَّهُ: ولما أتي كسرى بكتاب النبي ﷺ مزقه، فقال رسول الله ﷺ: "تمزق ملكه"، وحفظنا أن قيصر أكرم كتاب النبي ﷺ، ووضعه في مسك، فقال النبي ﷺ: "ثبت ملكه"...

وإنما أراد هلاك قيصر الذي كان ملك الشام، وتنحية ملك الأقاصرة عنها، فصدق الله تعالى قول رسوله ﷺ، ونحى عن الشام ملك الأقاصرة، ونحى عن الدنيا ملك الأكاسرة، وبقي للأقاصرة ملك بالروم لقوله: "ثبت ملكه" حين أكرم كتاب النبي ﷺ إلى أن يقضي الله تعالى فتح القسطنطينية، ولم يبق للأكاسرة ملك؛ لقوله: "تمزق ملكه" حين مزق كتابه.

وقد مضى كلام الشافعي رَحِمَهُٱللَّهُ في هذا.

وفي قوله: "لتنفقن كنوزهما في سبيل الله" إشارة إلى صحة خلافة أبي بكر وعمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا؛ لأن كنوزهما نقلت إلى المدينة، بعضها في زمان أبي بكر، وأكثرها في زمان عمر وقد أنفقاها في المسلمين، فعلمنا أن من أنفقها كان له إنفاقها، وكان والي الأمر في ذلك مصيبا فيما فعل من ذلك) انتهى كلام البيهقي.

قلت: وفيه أيضا فضيلة للسلطان محمد الفاتح وصحة ولايته، وصحة جهاده وفتحه للقسطنطينية، وإنفاق أموالها في سبيل الله؛ فهو الذي فتحها وأنفق أموالها في الجهاد في سبيل الله، وكانت القسطنطينية قبله عاصمة القياصرة أكثر من ألف سنة!

بل هو المقصود في البشارة أصلا؛ إذ لم يزل ملك قيصر عنها إلا على يده!=

=وهو ما رجّحه الطحاوي وشيخه ابن أبي عمران في "شرح مشكل الآثار" ١/ ٤٤٥ حيث قال: (فتأملنا هذا الحديث لنقف على المعنى المراد به ما هو؟ فوجدنا المزني قد حكى لنا عن الشافعي في تأويله قال: كانت قريش تنتاب الشام انتيابا كثيرا، وكان كثر معاشهم منه، وتأتي العراق، فلما دخلت في الإسلام ذكرت ذلك للنبي عليه السلام خوفا من انقطاع معاشها بالتجارة من الشام والعراق، وفارقت الكفرة، ودخلت في الإسلام، مع خلاف ملك الشام والعراق لأهل الإسلام، فقال: "إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده " فلم يكن بأرض العراق كسرى يثبت له أمر بعده، وقال: "إذا هلك قيصر فلا قيصر بعده "، فلم يكن بأرض الشام قيصر بعده، فأجابهم النبي عليه السلام على ما قالوا، فكان كما كان إلى اليوم، وقطع الله الأكاسرة عن العراق، وفارس وقيصر ومن قام بعده بالشام، وقال في قيصر: ثبت ملكه ببلاد الروم، وينحى ملكه عن الشام، وكل هذا متفق يصدق بعضه بعضا.

قال أبو جعفر الطحاوي: وسألت أحمد بن أبي عمران عن تأويل هذا الحديث فأجابني بخلاف هذا القول - الذي ذكره الشافعي - وذكر أن معنى قوله عليه السلام: "إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده"، قال فهلك كسرى كما أعلمنا أنه سيهلك فلم يكن بعده كسرى، ولا يكون بعده كسرى إلى يوم القيامة، وكان معنى قوله: "إذا هلك قيصر فلا قيصر بعده" إعلاما منه إياهم أنه سيهلك ولم يهلك إلى الآن، ولكنه هالك قبل يوم القيامة، وخولف بينه وبين كسرى في تعجيل هلاك كسرى، وتأخير هلاك قيصر لاختلاف ما كان منهما عند ورود كتاب رسول الله ﷺ على كل واحد منهما. قال لنا ابن أبي عمران: وروي في ذلك عن رسول الله ﷺ... أن رسول الله ﷺ كتب إلى قيصر يدعوه إلى الإسلام، وبعث بكتابه مع دحية بن خليفة الكلبي، وأمره أن يدفعه إلى عظيم بصرى ليدفعه إلى قيصر، فدفعه عظيم بصرى إلى قيصر، فلما جاءه كتاب رسول الله ﷺ قال حين قرأه: التمسوا لي هاهنا من قومه من أحد أسأله عنه. قال ابن عباس فأخبرني أبو سفيان أنهم أدخلوا عليه، وأنه لما قرأ كتاب رسول الله ﷺ وسأل أبا سفيان عما سأله عنه وأجابه أبو سفيان بما أجابه في ذلك قال: إن يكن ما قلت حقا فيوشك أن يملك موضع قدمي هاتين، والله لو أني أرجو أن أخلص إليه لتجشمت لقاءه ولو كنت عنده لغسلت قدميه...

فكان هذا [التعظيم والإجلال] هو الذي كان من قيصر عند ورود كتاب رسول الله ﷺ يدعوه إلى الإسلام، وكان الذي كان من كسرى عند ورود كتاب رسول الله عليه السلام بمثل ذلك... عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ بعث بكتابه إلى كسرى مع عبد الله بن حذافة السهمي وأمره أن=

=يدفعه إلى عظيم البحرين فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى فلما قرأه خرقه، قال ابن شهاب فحسبت أن ابن المسيب قال فدعا عليهم رسول الله ﷺ: "أن يمزقوا كل ممزق"...

قال ابن أبي عمران: فخولف بين هلاكيهما في تعجيل أحدهما وفي تأخير الآخر، وكان هذا التأويل عندنا أشبه من الأول؛ لأن في التأويل الأول ذكر هلاك قيصر ولم يهلك، إنما كان منه تحوله بملكه من الشام إلى الموضع الذي هو مقيم به الآن.

ومما يحقق أيضا قول رسول الله ﷺ: "والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله" فقد أنفق كنز كسرى في ذلك، ولم ينفق كنز قيصر في مثله إلى الآن، ولكنه سينفق في المستأنف في مثل ذلك؛ لأن قول رسول الله عليه السلام فإنما هو عن الله تعالى، ولا يخلف الميعاد، وقد حقق ذلك أيضا ما قد روي عن رسول الله عليه السلام في هلاك قيصر كما قد حدثنا... عن جابر بن سمرة، عن نافع بن عتبة بن أبي وقاص، عن النبي عليه السلام قال: "تقاتلون جزيرة العرب فيفتحها الله تعالى، ثم تقاتلون فارس فيفتحها الله تعالى، ثم تقاتلون الروم فيفتحها الله، ثم تقاتلون الدجال فيفتحه الله".

قال جابر: "ولا يخرج الدجال حتى يخرج الروم".

فأخبر رسول الله عليه السلام أن فتح الروم المقرون بفتح كسرى لم يكن، وأنه كائن، وأن كونه إذا كان ككون فتح كسرى الذي قد كان. وقد روي عنه عليه السلام في آية ذلك ما قد حدثنا... عن معاذ، قال: قال رسول الله ﷺ: "عمران بيت المقدس خراب ليثرب، وخراب يثرب خروج الملحمة، وخروج الملحمة فتح القسطنطينية، وفتح القسطنطينية خروج الدجال".

فأخبرنا عليه السلام بالمعنى الذي يكون عنده هلاك قيصر حتى يكون هلاكه هلاك كسرى الذي قد كان، فلا يكون بعده قيصر إلى يوم القيامة، كما لا يكون بعد كسرى كسرى إلى يوم القيامة، وتكون البلدان كلها خالية من كل واحد منهما، وتكون كنوزهما قد صرفت إلى ما قال رسول الله ﷺ أنه ينفق فيه) انتهى كلام الطحاوي.

قلت: وهو ما ادّخره الله من فضل للسلطان العادل محمد الفاتح رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فصحح النبي ﷺ ولايته وجهاده وتصرفه في إنفاق كنوزها في سبيل الله؛ وهو ما تواتر عنه، وما زال يبعث الجيوش إلى أوربا حتى كاد يفتح روما رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وسمّى النبي ﷺ غزوه وفتحه لها كما سمّى غزو الصحابة وفتحهم لجزيرة العرب وفارس سواء بسواء، وهو من وعد الله للمؤمنين بالاستخلاف في الأرض وهو مشروط بإيمانهم وتوحيدهم وصلاحهم؛ كما قال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ

لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾ فتحقق الوعد بالاستخلاف في الأرض، وفتح محمد الفاتح وجيشه القسطنطينية؛ فدلّ ذلك على تحقق الشرط منهم وهو الإيمان والعمل الصالح وعدم الإشراك بالله!

وقال الحافظ العراقي في طرح التثريب ٧/ ٢٥٣ في شرح حديث: (إذا هلك كسر فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده): (وحكى القاضي أبو بكر بن العربي في معناه قولين:

أحدهما: أن معناه لا يعود للروم، ولا للفرس ملك قال: وهذا يصح في كسرى، وأما الروم فقد أنبأ النبي ﷺ ببقاء ملكهم إلى نزول عيسى عليه الصلاة والسلام؛ وفي صحيح مسلم عن المستورد القرشي أنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: "تقوم الساعة والروم أكثر الناس".

القول الثاني: أن معناه إذا هلك كسرى وقيصر فلا يكون بعدهما مثلهما، قال: وكذلك كان، وهذا أعم وأتم.

قلت: ومما انقرض، ولم يعد له بقاء اسم قيصر؛ لأن ملوك الروم لا يسمون الآن بالأقاصرة، وذهب ذلك الاسم عن ملكهم؛ فصدق أنه لا قيصر بعد ذلك الأول، وظهر بذلك أن قوله: "لا كسرى" على ظاهره مطلقا، وأما قوله: "لا قيصر"؛ ففيه أربعة احتمالات: لا قيصر بالشام. لا قيصر كما كان. لا قيصر في الاسم. لا قيصر مطلقا. ولا يصح هذا الرابع لمخالفته للواقع، والله أعلم.

الخامسة: قوله: "ولتقسمن كنوزهما في سبيل الله"، وقوله: "لتنفقن كنوزهما في سبيل الله" أمران وقعا كما أخبر ﷺ فقسمت كنوزهما في سبيل الله على المجاهدين ثم أنفقها المجاهدون في سبيل الله، والمراد به الغزو). وقد توفي المؤلف العراقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قبل فتح القسطنطينية بنحو نصف قرن حيث قتل آخر قيصر فيها وهو قسطنطين الحادي عشر؛ فتحقق ما أخبر عنه النبي ﷺ من هلاكه وقتله وزوال ملكه ومملكته بلا حاجة للتأويل للنبوءة!

- باب: البشارة بملك المسلمين كنوز قيصر ومملكته في القسطنطينية:

٧- عن ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أن النبي ﷺ قال: (إن الله زوى لي الأرض حتى رأيت مشارقها ومغاربها، وأعطاني الكنزين: الأحمر والأبيض، وإن ملك أمتي سيبلغ ما زوي لي منها، وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكهم بسنة عامة، وأن لا يسلط عليهم عدوا من غيرهم فيهلكهم، ولا يلبسهم شيعا ويذيق بعضهم بأس بعض، فقال: يا محمد، إني إذا أعطيت عطاء فلا مرد له، إني أعطيتك لأمتك أن لا يهلكوا بسنة عامة، وأن لا أسلط عليهم عدوا من غيرهم فيستبيحهم، ولكن ألبسهم شيعا، ولو اجتمع عليهم من بين أقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضا، وبعضهم يفني بعضا، وبعضهم يسبي بعضا، وإنه سيرجع قبائل من أمتي إلى الشرك، وعبادة الأوثان - وفي رواية: [ولا تقوم الساعة حتى يلحق قبائل من أمتي بالمشركين وحتى تعبد الأوثان] - وإن من أخوف ما أخاف على أمتي الأئمة المضلين، وإنهم إذا وضع السيف فيهم لم يرفع عنهم إلى يوم القيامة، وإنه سيخرج من أمتي كذابون دجالون قريبا من ثلاثين، وإني خاتم الأنبياء، لا نبي بعدي، ولا تزال طائفة من أمتي

على الحق منصورة [ظاهرين لا يضرهم من خالفهم] حتى يأتي أمر الله)[1].

رواه مسلم في صحيحه مختصرا إلى قوله: (ويسبي بعضهم بعضا)، وابن أبي شيبة في المصنف وزاد بعد (وأعطيت الكنزين: الأحمر والأبيض) (فأولتها ملك فارس والروم)، ورواه مطولا أحمد وأبو داود وابن ماجه وابن حبان في صحيحه من طريقين واللفظ له.

(١) هذا الحديث من معجزاته الخبرية ﷺ فقد بلغ ملك أمته وسلطانها وخلافتها المشرق والمغرب، وورثت (الكنزين: الأحمر والأبيض) وهي الفضة كنوز كسرى فارس؛ وهي الدراهم البيضاء، وكنوز قيصر الروم؛ وهي الدنانير الحمراء!

قال النووي في شرحه لصحيح مسلم ١٨/ ١٣: (وهذا الحديث فيه معجزات ظاهرة وقد وقعت كلها بحمد الله، كما أخبر به ﷺ، قال العلماء: المراد بالكنزين: الذهب والفضة، والمراد كنزي كسرى وقيصر ملكي العراق الشام فيه، إشارة إلى أن ملك هذه الأمة يكون معظم امتداده في جهتي المشرق والمغرب وهكذا وقع وأما في جهتي الجنوب والشمال فقليل بالنسبة إلى المشرق والمغرب). ورحم الله النووي فقد قصر البشارة في هذا الحديث على مُلك الروم في الشام ومصر، بينما الحديث يعم ملك الروم كله، وهو ما تحقق بعد وفاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأقل من قرنين! حيث فتح المسلمون بقيادة السلطان محمد الفاتح القسطنطينية عاصمة هرقل الروم، وورثوا الإمبراطورية الرومانية الشرقية كلها؛ وهي مملكة قيصر وكنزه الدينار الأحمر، وسيفتح آخرهم روما، ويرثون الرومانية الغربية أيضا. وعد الله الذي لا يخلف وعده!

وقد تواترت بذلك الأخبار عنه ﷺ كما سيأتي.

٨- عن أبي همام الشعباني، قال: حدثني رجل من خثعم، قال: كنا مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، فوقف ذات ليلة، واجتمع عليه أصحابه؛ فقال: (إن الله أعطاني الليلة الكنزين: كنز فارس والروم، وأمدني بالملوك: ملوك حمير الأحمرين، ولا ملك إلا الله، يأتون يأخذون من مال الله، ويقاتلون في سبيل الله. قالها ثلاثا). رواه معمر في جامعه، كما في مصنف عبد الرزاق، وعنه أحمد في مسنده بإسناد حسن.(١)

(١) قال الهيثمي في المجمع: (وفيه أبو همام الشعباني ولم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح).
قلت: ذكره البخاري في التاريخ الكبير ٩/ ٨١ وقال: (أبو همام الشعباني، روى عنه يحيى بن أبي كثير).
وكذا ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٩/ ٤٥٥ ولم يذكروه بجرح.
وقال ابن حجر في تعجيل المنفعة ٢/ ٥٥٥: (أبو همام الشعباني عن رجل من خثعم له صحبة، وعنه يحيى بن أبي كثير مجهول. قاله الحسيني! قلت: ذكره الحاكم أبو أحمد تبعا للبخاري فيمن لا يعرف اسمه ولم يذكر فيه جرحا).
قلت: ليس مجهولا؛ فقد روى عنه أيضا أبو سلام ممطور الدمشقي، كما رواه عنه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٦٨/ ٩٦ بإسناد صحيح وفيه: (حدثني أبو همام الشعباني أنه كان مرابطا بتورس، وكان فينا رجل من خثعم من أصحاب النبي ﷺ، فقال: إنا أدلجنا مع رسول الله ﷺ مقبلين إلى تبوك فذكر الحديث).
فأبو همام الشعباني شامي، دمشقي، تابعي قديم، من الطبقة الثالثة من أهل الشام، كما قال ابن عساكر في تاريخه ٦٨/ ٥، روى عنه إماما ثقتان: أبو سلام ويحيى بن أبي كثير، ولم يذكر بجرح، ولم يرو منكرا، فهو مقبول الرواية بلا خلاف، وقد توبع على حديثه هذا بلفظه، كما في مغازي الواقدي عن عشرة من شيوخه الثقات في غزوة تبوك ٣/ ١٠١١وفيه: (وقال رسول الله ﷺ لبلال: ألا أبشركم؟ قالوا: بلى يا رسول الله! وهم يسيرون على رواحلهم، فقال: إن الله أعطاني الكنزين: فارس والروم، وأمدني بالملوك ملوك حمير، يجاهدون في سبيل الله، ويأكلون فيء الله).=

٩- عن صفوان بن عمرو، عن راشد بن سعد الحبراني، قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله تعالى وعدني فارس، ثم الروم، ثم نساءهم وأبناءهم ولأمتهم وكنوزهم، وأمدني بحمير أعوانا)[١]. رواه نعيم في الفتن بإسناد صحيح مرفوعا مرسلا.

=وقد كان النبي ﷺ قصد في تبوك غزو الروم، فبشّر أصحابه حين رجعوا ولم يقاتلوا الروم بأن الله أعطاه كنوزهم، وأورثه أرضهم وملكهم، والروم آنذاك تطلق على مملكة قيصر كلها وليس على ملكهم في الشام فقط.

وهو ما تحقق على أكمل صوره وأوضحها بالخلافة العثمانية التي ورثت القسطنطينية، واتّخذتها دار خلافة، وفتحت كل أقاليمها التي كانت تخضع لها في أوربا كلها!

(١) قوله ﷺ: (وعدني فارس ثم الروم)؛ فيه معجزة ظاهرة في تأخر وعد الروم عن فارس، والروم أصلا هم أهل القسطنطينية والدولة البيزنطية؛ وهو ما تحقق فعلا، فقد آلت هذه الإمبراطورية حتى غدت كما فارس؛ جزءا من أرض الإسلام وتحت سلطانه، وورثها المسلمون الموحدون والخلفاء العثمانيون؛ كما ورث الخلفاء الراشدون إمبراطورية كسرى!

ووعده سبحانه تعالى رسوله بهم وبأبنائهم ونسائهم يعني دخولهم في دينه وملته طواعية باختيارهم؛ وهو ما جرى حتى لم يبق في أرضهم إلا الإسلام!

- باب: البشارة باستخلاف الله المسلمين في مملكة فارس والروم وأرضهم كلها:

١٠- عن نصر بن علقمة، عن جبير بن نفير، عن عبد الله بن حوالة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (كنا عند النبي ﷺ فشكونا إليه الفقر والعري وقلة الشيء! فقال: أبشروا فوالله لأنا من كثرة الشيء أخوف عليكم من قلته! والله لا يزال هذا الأمر فيكم حتى تفتح لكم أرض فارس، والروم، وأرض حمير، حتى تكونوا أجنادا ثلاثة: جندا بالشام، وجندا بالعراق، وجندا باليمن، حتى يعطى الرجل المائة الدينار فيتسخطها.

قال ابن حوالة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فقلت يا رسول الله ومن يستطيع الشام وبها الروم ذات القرون؟

فقال رسول الله ﷺ: والله ليستخلفكم الله عز وجل فيها حتى تكون العصابة منهم البيض قمصهم، المحلقة أقفاؤهم، قياما على رأس الرجل الأسود منكم المحلوق ما يأمرهم فعلوا! وإن بها اليوم لرجالا لأنتم أحقر في أعينهم من القردان في أعجاز الإبل!

قال ابن حوالة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: فقلت اختر لي يا رسول الله إن أدركني ذلك؛ قال: أختار لك بالشام، فإنها صفوة الله عز وجل من بلاده، فإليها يجتبي صفوته من عباده، يا أهل الإسلام فعليكم بالشام فإن صفوة الله عز وجل من الأرض الشام، فمن أبى فليستق بغُدر اليمن، فإن الله عز وجل قد تكفل لي بالشام وأهله.

قال نصر: سمعت عبد الرحمن بن جبير يقول: فعرف أصحاب النبي ﷺ نعت هذا الحديث في جزء بن سهيل السلمي، وكان قد ولي الأعاجم، وكان أويدما، قصيرا، وكانوا يرون تلك الأعاجم حوله قياما لا يأمرهم بشيء إلا فعلوه فيتعجبون من هذا الحديث). رواه مطولا ابن أبي عاصم في "الآحاد والمثاني"، والطحاوي في "مشكل الآثار"، والطبراني في مسند الشاميين، والبيهقي في السنن والدلائل، والضياء المقدسي في الصحيحة المختارة، ورواه مختصرا أحمد وأبو داود وابن حبان والحاكم في صحيحهما، وصححه الذهبي.

وهو حديث مشهور عن النبي ﷺ، ومتواتر عن ابن حوالة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ رواه عنه جبير بن نفير وأبو إدريس الخولاني وابن رستم وبسر بن عبيد الله وأبو قتيلة، ورواه البيهقي أيضا عن ابن زغب الأيادي عنه؛ ولفظه: (قال: نزل عبد الله بن حوالة صاحب رسول الله ﷺ وقد بلغنا أنه فرض له في المائتين، فأبى إلا مائة! قال: قلت

له أحق ما بلغنا أنه فرض لك في مائتين فأبيت إلا مائة؟ فو الله ما منعه وهو نازل عليّ أن يقول لا أم لك أو لا يكفي ابن حوالة مائة في كل عام؟ ثم أنشأ يحدثنا عن رسول الله ﷺ، قال: إن رسول الله ﷺ بعثنا على أقدامنا حول المدينة لنغنم فقدمنا ولم نغنم شيئا، فلما رأى رسول الله ﷺ الذي بنا من الجهد؛ قال رسول الله ﷺ: اللّهم لا تكلهم إليّ فأضعف عنهم، ولا تكلهم إلى الناس فيهونوا عليهم، ولا تكلهم إلى أنفسهم فيعجزوا عنها. ولكن توحد بأرزاقهم.

ثم قال: ليفتحن لكم الشام ثم لتقتسمن كنوز فارس والروم، وليكونن لأحدكم من المال كذا وكذا حتى إن أحدكم ليعطى مائة دينار فيسخطها، ثم وضع يده على رأسي، وقال: يا ابن حوالة! إذا رأيت الخلافة قد نزلت الأرض المقدسة فقد أتت الزلازل والبلايا والأمور العظام، والساعة أقرب إلى الناس من يدي هذه من رأسك.

قال البيهقي: قلت: أراد بالساعة انخرام ذلك القرن- والله أعلم.

وأراد بكنوز فارس وبكنوز الروم: ما كان منهم بالشام حين تفتح الشام

تؤخذ كنوزهم بها، وقد وجد ذلك).[1]

- باب: البشارة بفتح الروم والقسطنطينية بعد فتح فارس:

١١- عن عبد الله بن بريدة، عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ قال: (أمر رسول الله ﷺ بالخندق على المدينة، فأتاه قوم؛ فأخبروه أنهم وجدوا صفاة لم يستطيعوا أن ينقبوها، فقام رسول الله ﷺ وقمنا معه، فأخذ المعول فضرب، فلم أسمع ضربة من رجل كانت أكبر صوتا منها، فقال: الله أكبر، فتحت فارس، ثم ضرب أخرى مثلها فقال: الله أكبر، فتحت الروم، ثم ضرب أخرى مثلها فقال: الله أكبر، وجاء الله بحمير أعوانا وأنصارا). رواه الحارث في مسنده بإسناد صحيح عن أبي إسحاق السبيعي عن رجل به، والطبراني وقال الهيثمي في المجمع: (رواه الطبراني بإسنادين في أحدهما حيي بن عبد الله، وثقه ابن معين، وضعفه جماعة، وبقية رجاله رجال الصحيح).

---

(١) **قلت**: تأوّل البيهقي الحديث وقصره على كنوز الروم في الشام، والحديث أصرح من ذلك؛ بل المراد ملك الروم كله؛ ففي لفظه: (تُفتح لكم أرض فارس والروم) وأرض الروم عند الإطلاق يراد بها أصلا القسطنطينية وما يتبعها من بلدان، وليس الشام فقط؛ كما ورث المسلمون ملك فارس كله في عهد عمر وعثمان، وهو ما تحقق بعد عصر البيهقي بثلاثة قرون بفتح القسطنطينية، وبقي فتح روما؛ ليكتمل الوعد الحق بظهور الإسلام على الدين كله!

١٢- عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ قال: (احتفر رسول الله ﷺ الخندق وأصحابه قد شدوا الحجارة على بطونهم من الجوع، فلما رأى ذلك رسول الله ﷺ قال: هل دللتم على أحد يطعمنا أكلة؟، قال رجل: نعم، قال: أما لا فتقدم، فدلنا عليه، فانطلقوا إلى رجل فإذا هو في الخندق يعالج نصيبه منه، فأرسلت امرأته أن جئ فإن رسول الله ﷺ قد أتانا، فجاء الرجل يسعى فقال: بأبي وأمي وله معزة ومعها جديها، فوثب إليها، فقال النبي ﷺ: الجدي من ورائنا، فذبح الجدي، وعمدت امرأته إلى طحينة لها فعجنتها وخبزت وأدركت القدر وثردت قصعتها، فقربتها إلى رسول الله ﷺ وأصحابه، فوضع النبي ﷺ إصبعه فيها، فقال: بسم الله، اللّهم بارك فيها، اللّهم بارك فيها، اطعموا، فأكلوا منها حتى صدروا، ولم يأكلوا منها إلا ثلثها وبقي ثلثاها، فسرح أولئك العشرة الذين كانوا معه: أن اذهبوا وسرحوا إلينا نغديكم، فذهبوا وجاء أولئك العشرة مكانه فأكلوا منها حتى شبعوا، ثم قام ودعا لربة البيت وشمت عليها وعلى أهلها، ثم مشوا إلى الخندق، فقال: اذهبوا بنا إلى سلمان، وإذا صخرة بين يديه قد ضعف عنها، فقال النبي ﷺ لأصحابه : دعوني فأكون أول من ضربها، فقال: بسم الله! فضربها فوقعت فلقة ثلثها، فقال: الله أكبر، **قصور الروم** ورب الكعبة، ثم ضرب أخرى

فوقعت فلقة، فقال: الله أكبر **قصور فارس** ورب الكعبة، فقال عندها المنافقون: نحن بخندق على أنفسنا وهو يعدنا قصور فارس والروم). قال الهيثمي في المجمع: (رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن أحمد بن حنبل، ونعيم العنبري، وهما ثقتان).

- باب تحذير النبي ﷺ أمته من فتنة الدنيا بعد فتح فارس والروم:

١٣- عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن رسول الله ﷺ أنه قال: (إذا فتحت عليكم فارس والروم، أي قوم أنتم؟ قال عبد الرحمن بن عوف: نقول كما أمرنا الله، قال رسول الله ﷺ: أو غير ذلك! تتنافسون، ثم تتحاسدون، ثم تتدابرون، ثم تتباغضون، أو نحو ذلك، ثم تنطلقون في مساكين المهاجرين، فتجعلون بعضهم على رقاب بعض). رواه مسلم في صحيحه.

- باب: البشارة بفتح القسطنطينية ثم فتح روما:

١٤- عن أبي قبيل، قال: كنا عند عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وسئل: أي المدينتين تُفتح أولا: القسطنطينية أو رومية؟ فدعا عبد الله بصندوق له حلق، قال: فأخرج منه كتابا، قال: فقال عبد الله: بينما نحن حول رسول الله ﷺ نكتب [يعني حديثه]، إذ سئل رسول الله ﷺ: أيّ المدينتين تفتح أولا: قسطنطينية أو رومية؟ فقال رسول الله ﷺ: مدينة هرقل تفتح أولا، يعني قسطنطينية).[1] رواه أحمد، وابن أبي شيبة، والدارمي، والحاكم، في صحيحه من طرق، وقال: (صحيح على شرط الشيخين) ووافقه الذهبي، وقال عبد الغني المقدسي في كتاب العلم: (حديث حسن الإسناد)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: (رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح، غير أبي قبيل، وهو ثقة).

(١) هذا الحديث مما كتبه ابن عمرو في صحيفته الصادقة المشهورة المتواترة، وكان قد استأذن النبي ﷺ بالكتابة لحديثه؛ فأذن له، فكان لا يدع شيئا يسمعه من النبي ﷺ إلا كتبه؛ ومن ذلك هذا الحديث في فتح القسطنطينية، وسؤال الصحابة للنبي ﷺ عن أي المدينتين تفتح أولا: القسطنطينية أم رومية؟ يؤكد شيوع خبر البشارة بفتحها بينهم واستفاضة العلم به في عمومهم، وإنما اختلفوا في أي الفتحين أسبق!

❊ وعن عمير بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: كنا عند عبد الله بن عمرو بن العاص بالإسكندرية يوما، فذكروا فتح القسطنطينية ورومية، فقال بعض القوم: تفتح القسطنطينية قبل رومية، وقال بعضهم: تفتح رومية قبل القسطنطينية، فدعا عبد الله بن عمرو بصندوق له فيه كتاب، فقال: (تفتح القسطنطينية قبل رومية، ثم تغزون رومية بعد القسطنطينية فتفتحونها، وإلا فأنا عبد الله من الكاذبين، يقولها ثلاث مرات). رواه نعيم في الفتن عن ابن وهب بإسناد حسن.

- باب: البشارة بتوحيد مصر والشام والعراق واليمن قبيل فتح القسطنطينية وكثرة بناء المساجد فيها بعد فتحها:

❊ عن خثيم الزبادي عن تبيع اليماني، يقول: وسألته عن [فتح] رومية، فقال: (إذا رأيت الجزيرة التي بالفسطاط بني فيها سفن، أو قال: سفينة، خشبها من لبنان، وحبالها من ميسان، ومساميرها من مريس، ثم أمر بجيش فغزوا فيها، لا ينقطع لهم حبل، ولا ينكسر لهم عمود، فإنهم يفتتحون رومية، ويأخذون تابوت السكينة، فيتنازع التابوت أهل الشام وأهل مصر، أيهم

يردها إلى إيلياء، ثم يستهموا عليها، فيصيب أهل مصر بسهمهم، فيردونها إلى إيلياء.

قال: وسألته عن القسطنطينية؛ فقال: يغزونها رجال يبكون، ويتضرعون إلى الله تعالى، فإذا نزلوا بها صاموا ثلاثة أيام، ويدعون الله، ويتضرعون إليه، فيهدم الله جانبها الشرقي، فيدخلها المسلمون ويبنون فيها المساجد).[1] رواه نعيم في الفتن بإسناد حسن.

---

(١) في هذا الأثر ثناء على جيش محمد الفاتح وعلى تقواهم وصلاحهم، وأن الفتح كان باسم الله وفي سبيله، وفيه البشارة بكثرة بناء مساجد القسطنطينية بعد فتحها، حتى لا يكاد يوجد اليوم في مدن الإسلام أكثر منها مسجدا!

وهذا الوصف عن حال الجيش وتضرعهم بالدعاء وصومهم مذكور في أحداث الفتح، فقد طال الحصار مدة ٥٣ يوما، واشتد الخطب عليهم بتتابع السفن الأوربية مشكونة بالقوات الصليبية للدفاع عن القسطنطينية، وكاد المسلمون يرجعون عنها، حتى كان الهجوم الأخير عليها، والذي استغرق ثلاثة أيام حتى استكمل فتحها كلها، وقتل أثناءه قسطنطين آخر إمبراطور روماني بيزنطي، وقد ذكر مؤرخ الدولة العثمانية محمد فريد في كتابه "تاريخ الدولة العلية" ١/ ١٦٤ حال الجنود العثمانيين تلك الليلة؛ فقال: (وفي الليلة السابقة لليوم المحدد اشعلت الجنود العثمانية الأنوار أمام خيامها للاحتفال بالنصر المحقق لديهم، وظلوا طول ليلهم يهللون ويكبرون، حتى إذا لاح الفجر صدرت إليهم الأوامر بالهجوم، فهجم مائة وخمسون ألف جندي، وتسلقوا الأسوار حتى دخلوا المدينة من كل فج).

ويقول المؤرخ البيزنطي جورج سفرانتيس الذي كان في المدينة وشهد سقوطها في وصف ما حدث في نهاية اليوم الثالث لفتح القسطنطينية:

"في اليوم الثالث بعد سقوط مدينتنا، احتفل السلطان بنصره الكبير، وأصدر إعلانًا: كل من هرب من المواطنين من جميع الأعمار يمكنهم الخروج من مخابئهم، حيث إنهم سيبقون أحرارًا=

=دون أي سؤال، ثم أعلن عن إعادة المنازل والأملاك لمن ترك مدينتنا قبل الحصار إذا هم عادوا إليها، وأنهم سيعاملون باعتبار مكانتهم ودينهم وكأن شيئًا لم يحدث".

وأما تضرع المجاهدين بالدعاء والبكاء لفتحها؛ فقد ذكر بعضه الإمام الشوكاني في كتابه "البدر الطالع" ٢/ ١٦٦ في ترجمة الشيخ العابد الزاهد محمد بن حمزة الدمشقي ثم الرومي المعروف بابن شمس الدين المشهور عند الأتراك بالشيخ "آق شمس الدين"، فقد ذكر فيها عنه: (ثم اشتهرت بركته، وظهر فضله، حتى إن السلطان محمد خان سلطان الروم لما أراد فتح القسطنطينية دعاه للجهاد، فقال صاحب الترجمة للسلطان: سيدخل المسلمون القلعة في يوم كذا، فجاء ذلك الوقت الذي عينه لفتح القلعة فحصل مع بعض أصحابه فزع شديد من السلطان على الشيخ إذا لم يصح الخبر، فذهب إليه في تلك الحال فوجده في خيمته ساجدا على التراب مكشوف الرأس وهو يتضرع ويبكي، فرفع رأسه وقام على رجليه وكبر وقال: الحمد لله منحنا فتح القلعة!

قال الراوي: فنظرت إلى القلعة فإذا العسكر قد دخلوا بأجمعهم، ففرح السلطان بذلك وقال: ليس فرحي لفتح القلعة إنما فرحي بوجود مثل هذا الرجل في زمني!

ثم بعد يوم جاء السلطان إلى خيمة صاحب الترجمة وهو مضطجع فلم يقم له!

فقبل السلطان يده، وقال له: جئتك لحاجة!

قال: وما هي؟

قال: أن أدخل الخلوة عندك!

فأبى فأبرم عليه السلطان مرارا وهو يقول لا!

فغضب السلطان، وقال: إنه يأتي إليك واحد من الأتراك فتدخله الخلوة بكلمة واحدة، وأنا تأبى علي!؟

فقال الشيخ: إنك إذا دخلت الخلوة تجد لذة تسقط عندها السلطنة من عينيك، فتختل أمورها، فيمقت الله علينا ذلك، والغرض من الخلوة تحصيل العدالة فعليك أن تفعل كذا وكذا وذكر له شيئا من النصائح.

ثم أرسل إليه ألف دينار، فلم يقبل.

ولما خرج السلطان محمد خان قال لبعض من معه: ما قام الشيخ لي؟!

فقال له: لعله شاهد فيك من الزهو بسبب هذا الفتح الذي لم يتيسر مثله للسلاطين العظام فأراد بذلك أن يدفع عنك بعض الزهو!=

- باب: حرص الصحابة والتابعين على فتح القسطنطينية وفضائل أبي أيوب الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

١٥- عن أبي عمران أسلم الكندي، قال: (غزونا من المدينة، نريد القسطنطينية، وعلى الجماعة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، والروم ملصقو ظهورهم بحائط المدينة، فحمل رجل على العدو، فقال الناس: مه! مه! لا إله إلا الله، يلقي بيديه إلى التهلكة، فقال أبو أيوب - خالد بن زيد الأنصاري- : إنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار لما نصر الله نبيه ﷺ وأظهر الإسلام، قلنا: هلم نقيم في أموالنا ونصلحها؛ فأنزل الله عز وجل: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾، فالإلقاء بالأيدي إلى التهلكة: أن نقيم في أموالنا ونصلحها وندع الجهاد، قال أبو عمران: فلم يزل أبو أيوب

=ثم إن السلطان دعا صاحب الترجمة في الثلث الأخير من الليل فخاف عليه أصحابه، فذهب إليه فلما وصل تبادر الأمراء يقبلون يده، وجاء السلطان يلقاه والليل مظلم، فعانقه بالقلب لا بالبصر، فعانقه الشيخ وضمه إليه ضما شديدا حتى ارتعد، وكاد [السلطان] يسقط من الهيبة. وتحدث السلطان بعد ذلك أنه كان في قلبه شيء في حق الشيخ، فلما ضمه زال ذلك، ثم إن الشيخ جلس مع السلطان في خيمته إلى أن صلى به الفجر، والسلطان جالس أمامه على ركبته، يسمع الأوراد، فلما أتمها التمس منه السلطان أن يعين قبر أبي أيوب لأنه كان يرى في التواريخ أن قبره قريب سور قسطنطينية..).

يجاهد في سبيل الله حتى دفن بالقسطنطينية). رواه أبو داود والترمذي وابن حبان والحاكم في صحيحيهما، وقال الحاكم: (على شرط الشيخين) ووافقه الذهبي.

❊ عن أبي عمران التجيبي، قال: (غزونا القسطنطينية، ومعنا أبو أيوب الأنصاري، فصففنا صفين ما رأيت صفين قط أطول منهما، ومات أبو أيوب الأنصاري في هذه الغزاة، وكان أوصى أن يدفن في أصل سور القسطنطينية، وأن يقضى دين عليه ففعل). رواه الحاكم في صحيحه.

❊ ورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق مختصرا بإسناد صحيح من طريق وليد بن مسلم، نا عبد الله بن لهيعة، والليث بن سعد، عن يزيد عن أبي عمران التجيبي: (قال غزونا القسطنطينية وعلى أهل مصر عقبة بن عامر الجهني، وعلى الجماعة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد).

❊ ورواه ابن عساكر أيضا بإسناد صحيح عن محمد بن إسحاق، عن بكير بن عبد الله بن الأشج، عن أبيه، عن عبيد بن يعلى؛ قال: (أدربنا مع عبد الرحمن بن خالد بن الوليد وهو أمير الناس يومئذ على الدروب، فنزلنا منزلا بأرض الروم، قال

فأقمنا به قال – وكان أبو أيوب قد اتخذ مسجدا – قال: فكنا نروح ونجلس إليه، ويصلي لنا ونستمع من حديثه، قال: فوالله إنا لعشية معه؛ إذ جاء رجل، فقال: أتي الأمير الآن بأربعة أعلاج من الروم فأمر بهم أن يصبروا، فرموا بالنبل حتى قتلوا! فقام أبو أيوب فزعا، حتى أتى عبد الرحمن بن خالد، فقال: أصبرتهم؟ لقد سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن صبر الدابة، وما أحب أن لي كذا وكذا وأني صبرت دجاجة!

قال فدعا عبد الرحمن بن خالد بغلمان له أربعة؛ فأعتقهم مكانهم).

❁ وعن محمد بن عمر، قال: (آخى رسول الله ﷺ بين أبي أيوب، وبين مصعب بن عمير، وشهد أبو أيوب بدرا، وأحدا، والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وتوفي عام غزا يزيد بن معاوية القسطنطينية في خلافة أبيه معاوية سنة اثنتين وخمسين، وقبره بأصل حصن القسطنطينية بأرض الروم فيما ذكر يتعاهدون قبره، ويزورونه ويستسقون به إذا قحطوا).[1] رواه الحاكم في صحيحه.

(١) وقد ظل قبره مشهورا معروفا منذ دفنه، وشاهده كثير ممن زاروا القسطنطينية من أهل الإسلام؛ كما ذكر ذلك المؤرخون المسلمون الذين ينتابونها، فقد روى الخطيب البغدادي في تاريخه ١/ ٤٦٥ بإسناد صحيح من تاريخ يعقوب بن سفيان البسوي إلى الوليد بن مسلم، قال:

(حدثنا ابن جابر، أن أبا أيوب لم يقعد عن الغزو في زمان عمر، وعثمان، ومعاوية، وأنه توفي في غزاة يزيد بن معاوية بالقسطنطينية، قال الوليد فحدثني شيخ من أهل فلسطين أنه رأى بنية بيضاء دون حائط القسطنطينية، فقالوا: هذا قبر أبي أيوب الأنصاري صاحب النبي ﷺ، فأتيت تلك البنية، فرأيت قبره في تلك البنية، وعليه قنديل معلق بسلسلة).

وقد بدأ الإسلام يظهر في القسطنطينية منذ العهد الأموي بمن أسلم من أهلها، وبمن استوطنها من المسلمين، حتى بني فيها جامع يصلى فيه الجمع والجماعات في القرن الهجري الرابع!

قال ابن كثير في البداية ٩/ ٨٨: (حتى وصلوا إلى القسطنطينية، وبنى بها مسلمة جامعا يعبد الله فيه).

كما أرسل طغرابك السلجوقي سنة ٤٤٧هـ-١٠٥٥م رسوله من العراق -كما في خطط المقريزي المواعظ والاعتبار ٢/ ١٥٨- (بكتابه يأمر متملك الروم بأن يمكن الرسول من الصلاة في جامع القسطنطينية، فأذن له في ذلك، فدخل إليه وصلى فيه صلاة الجمعة.

وخطب للخليفة القائم بأمر الله العباسي).

فلما فتح محمد الفاتح القسطنطينية، عُثر على قبر أبي أيوب، وبنى عنده جامعا، لا يتقلد أحد من بني عثمان سيف الخلافة والسلطنة حتى يزوره، ويصلي فيه ركعتين، تكريما له، ولجهاده، واعترافا بسابقته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال محمد فريد في "تاريخ الدولة العلية" ١/ ١٦١: (وفي اثناء الحصار اكتشف قبر أبي أيوب الأنصاري الذي استشهد حين حصار القسطنطينية في سنة ٥٢هـ في خلافة معاوية بن أبي سفيان الأموي، وبعد الفتح بنى له مسجد جامع، وجرت العادة بعد ذلك أن كل سلطان يتولى يتقلد سيف عثمان الغازي الأول بهذا المسجد، وهذا الاحتفال يعد بمثابة التتويج عند ملوك الافرنج، ولم تزل هذه العادة متبعة حتى الآن).

ولا يبعد أن يكون هناك مسجد قديم عند القبر، قد اندثر، ثم بني عليه الجامع الجديد بعد فتحها؛ جمعا بين الروايات التي تؤكد وجود مسجد قبل الفتح!

وقد يكون هو مسجد أبي أيوب نفسه الذي بناه في تلك الغزوة، وكان يصلي فيه ويعظ الناس ويحدثهم فيه، كما في رواية ابن عساكر السابقة، ثم بقيت آثار ذلك المسجد حتى بناه محمد الفاتح جامعا بعد فتح القسطنطينية.

- باب: فضل نزول القسطنطينية ومن أوصى أن يدفن تحت أسوارها:

١٦- عن أبي ظبيان، عن أبي أيوب الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أنه خرج غازيا الروم في زمن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعن أبي أيوب، قال: فمرض فلما ثقل قال لأصحابه: إن أنا مت فاحملوني، فإذا صاففتم العدو فادفنوني تحت أقدامكم، وسأحدثكم بحديث سمعته من رسول الله ﷺ لولا ما حضرني لم أحدثكم، سمعت رسول الله ﷺ يقول: من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة). رواه أحمد وابن سعد في الطبقات عن أبي ظبيان بإسناد صحيح.

❋ وعن أبي ظبيان؛ قال: (أوصى أبو أيوب أن يدفن إلى جانب القسطنطينية، فناهضنا المدينة حتى دنونا منها، ثم دفناه حتى أقدامنا).

وقد ذكر ابن كثير في النهاية ١/ ٩٧ أن مسلمة بن عبد الملك صالح أهل القسطنطينية على بناء مسجد فيها؛ فقال: (وحاصرها مسلمة بن عبد الملك بن مروان في زمان دولتهم، ولم تفتح أيضا، ولكن صالحهم على بناء مسجد بها كما قدمنا ذلك مبسوطا).

وقد كان مسلمة حاصرها نحو سنتين وبنى هناك مسجدا، وكانوا يصلون فيه، ولهم فيه واعظ يقص عليهم؛ كما في ترجمة (عبد الله بن زيد الأزرق كان قاصا لمسلمة بن عبد الملك بالقسطنطينية) في تاريخ البخاري الكبير ٣/ ٩٣، وتهذيب التهذيب ٥/ ٢٢٦.

❋ وقال أبو سعيد المعيطي: (إن أهل القسطنطينية قالوا ليزيد ومن معه: ما هذا ننبشه غدا! قال يزيد: ذا صاحب نبينا ﷺ أوصى بهذا؛ لئلا يكون أحد من المجاهدين ومن مات في سبيل الله أقرب إليكم منه، لئن فعلتم لأنزلن كل جيش بأرض العرب ولأهدمن كل كنيسة! قالوا: إنما أردنا أن نعرف مكانه منكم لنكرمنه لصحبته ومكانه.

قال: فبنوا عليه قبة بيضاء وأسرجوا عليه قنديلا.

قال أبو سعيد: وأنا دخلت عليه القبة في سنة مائة، ورأيت قنديلها، فعرفنا أنه لم يزل يسرج حتى نزلنا بهم). رواهما ابن عساكر من طريق الوليد بن مسلم بأسانيد حسنة.

١٧- عن عمارة بن غزية يقول: (دخل أبو أيوب على معاوية ومعه رجلان من قريش؛ فأمر لهما بجائزة، وفضل القرشيين على أبي أيوب، فلما خرجت جوائزهم؛ قال أبو أيوب: ما هذا؟ قالوا: أخواك القرشيان فضلهما في جوائزهما، فقال: صدق رسول الله ﷺ، سمعت رسول الله ﷺ يقول: يا معشر الأنصار، إنكم سترون بعدي أثرة؛ فعليكم بالصبر، فبلغت معاوية فقال: صدق رسول الله ﷺ، أنا أول من صدقه، قال أبو أيوب: أجرأة على

الله وعلى رسوله؟! وهجرت مجلسه لله لا أكلمه أبدا، ولا يأويني وإياه سقف بيت، ثم خرج من فوره إلى الصائفة، فمرض فأتاه يزيد بن معاوية يعوده وهو على الجيش، فقال له: هل من حاجة أو توصيني بشيء؟ فقال: ما ازددت عنك وعن أبيك إلا غنى! إلا إنك إن شئت أن تجعل قبري فيما يلي العدو من غير أن تشق على المسلمين، فلما قبض كان يزيد كأنه كان على رِجْل حتى فرغ من غسله، فناداه أهل القسطنطينية أنا قد علمنا أنكم إنما صنعتم هذا لقس كان فيكم أراد أن يجاهدنا حيا وميتا، فلو قد فعلتم نبشناه ثم أحرقناه ثم ذريناه في الريح، فقال يزيد: والذي نفسي بيده لئن فعلتم لا أمر بكنيسة فيما بيني وبين الشام إلا حرقتها، قالوا: فالمتاركة قال: ما شئتم). رواه الحارث بن أبي أسامة في مسنده، وابن عساكر في تاريخه بإسناد صحيح من طريق أبي إسحاق الفزازي، عن إبراهيم بن كثير، عن عمارة بن غزية، وقيل لم يسمع عمارة من أبي أيوب، وهو حسن بشواهده.

❊ عن محمد بن سيرين، قال: شهد أبو أيوب مع رسول الله ﷺ بدرا، ثم لم يتخلف عن غزاة للمسلمين إلا هو فيها، إلا عاما واحدا، فإنه استعمل على الجيش رجل شاب فقعد ذلك العام، فجعل بعد ذلك يتلهف ويقول: ما عليّ

من استعمل!؟ فمرض وعلى الجيش يزيد بن معاوية فدخل عليه يعوده؛ فقال: ما حاجتك؟ فقال: حاجتي إذا أنا مت فاركب، ثم اسع في أرض العدو ما وجدت مساغا، فإذا لم تجد مساغا، فادفني ثم ارجع. قال: وكان أبو أيوب يقول: قال الله عز وجل: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾[التوبة: ٤١]، فلا أجدني إلا خفيفا أو ثقيلا). رواه ابن سعد في الطبقات والحاكم في صحيحه بإسناد صحيح.

ولفظ ابن سعد عن محمد بن سيرين؛ قال: (شهد أبو أيوب بدرا ثم لم يتخلف عن غزاة للمسلمين إلا هو في أخرى، إلا عاما واحدا فإنه استعمل على الجيش رجل شاب فقعد ذلك العام، فجعل بعد ذاك العام يتلهف ويقول: ما علي من استعمل علي! وما علي من استعمل علي! وما علي من استعمل علي! قال: فمرض وعلى الجيش يزيد بن معاوية، فأتاه يعوده؛ فقال: حاجتك، قال: نعم، حاجتي إذا أنا مت فاركب بي، ثم سغ بي في أرض العدو ما وجدت مساغا، فإذا لم تجد مساغا فادفني ثم ارجع، فلما مات ركب به ثم سار به في أرض العدو وما وجد مساغا ثم دفنه ثم رجع، قال: وكان أبو أيوب رحمة الله عليه يقول: قال الله تعالى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾، لا أجدني إلا خفيفا وثقيلا).

❊ وعن عاصم ابن بهدلة، عن رجل من أهل مكة: أن أبا أيوب قال ليزيد بن معاوية حين دخل عليه: (أقرئ الناس مني السلام، ولينطلقوا بي فليبعدوا ما استطاعوا، قال: فحدث يزيد الناس بما قال أبو أيوب؛ فاستلأم الناس فانطلقوا بجنازته ما استطاعوا). رواه ابن سعد بإسناد صحيح عن عاصم.

واستلأم الناس: يعني لبسوا لأمة الحرب وهي الخوذة والطاسة على الرأس.

❊ وعن مصعب بن عبد الله الزبيري، قال: (أبو أيوب خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة بن عبد عوف من بني تميم بن مالك بن النجار شهد العقبة، وبدرا، والمشاهد كلها، وفتوح العراق، وشهد مع علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ صفين ثم صار إلى الشام، فدخل أرض الروم غازيا، ونزل القسطنطينية). رواه الحاكم في صحيحه.

❊ عن إبراهيم بن ميسرة، قال: (غزا أبو أيوب المدينة، قال: قلت: القسطنطينية؟ قال: نعم ، قال: فمر بقاص يقص، وهو يقول: إذا عمل العبد العمل في صدر النهار عرض على أهل معارفه من أهل الآخرة من آخر النهار، وإذا عمل العمل في آخر النهار عرض على أهل معارفه من أهل الآخرة في صدر النهار ، قال: فقال أبو أيوب: انظر ما يقول؟ قال: فقال:

والله إنه لكما أقول، قال: فقال أبو أيوب: اللّٰهم إني أعوذ بك أن تفضحني عند عبادة بن الصامت وسعيد بن عبادة بما عملت بعدهما، قال: فقال القاص: والله لا يكتب الله ولايته لعبد إلا ستر عوراته وأثنى عليه بأحسن عمله). رواه ابن أبي شيبة في المصنف بإسناد حسن.

- باب: فضل سكنى القسطنطينية والهجرة إليها بعد فتحها:

❊ عن بشر بن عبد الله بن يسار، قال: كان عبد الله بن بسر صاحب النبي ﷺ يأخذ بأذني، ويقول: (يا ابن أخي إن أدركت فتح القسطنطينية؛ فلا تدع أن تأخذ بحظك منها). رواه ابن أبي عاصم في "الآحاد والمثاني"، والداني في "السنن الواردة في الفتن" عن إسماعيل بن عياش بإسناد شامي حسن.

❊ وقال ابن عساكر في ترجمة الحسين بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (ووفد على معاوية وتوجه غازيا إلى القسطنطينية في الجيش الذي كان أميره يزيد بن معاوية).

- باب: فضل الأمير والجيش الذي يفتح القسطنطينية الفتح الأول عسكريا:

١٨- عن بشر الخثعمي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أنه سمع النبي ﷺ يقول: (لتفتحن القسطنطينية؛ فلنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش).

قال: فدعاني مسلمة بن عبد الملك فسألني، فحدثته، فغزا القسطنطينية.[١]

رواه أحمد وابن خزيمة والحاكم في صحيحيهما، قال الحاكم: (صحيح الإسناد)، وافقه

---

(١) وهذه فضيلة خاصة بالترك، وبالسلطان العادل محمد الفاتح، وبالجيش العثماني الذي فتحها، لا يشاركهم فيها أحد!

ولا يلتفت لقول من ضعف الحديث من المعاصرين؛ فليس لهم سلف في تضعيفه إلا الأوهام!

فقد صححه ابن خزيمة والحاكم والذهبي والهيثمي والسيوطي والمناوي!

وذكر الحافظ ابن حجر هذا الحديث في الإصابة ١/ ٤٣٩ في ترجمة بشر الغنوي وذكر الاختلاف في اسمه ونسبه ولم يجزم فيه بشيء، ولم يقدح في صحته!

وكذا ذكره في تعجيل المنفعة ولم يتكلم فيه بقدح؛ فهو عنده حسن على أقل أحواله!

وقد كان هذا الفتح نصرا عظيما غيّر وجه التاريخ العالمي، وأعاد للإسلام شبابه بعد أن كاد يضمحل في القرون المتأخرة، وكانت خطبة محمد الفاتح في جنوده واستحضاره للبشارة النبوية بفتحها أحد أسباب الثبات والنصر بعد أن طال حصارهم للمدينة نحو شهرين، وجاءت أمداد الجيوش الصليبية من كل أوربا لمنع محمد الفاتح من دخولها؛ حيث خطب في جنوده: (إذا تم لنا بمشيئة الله فتح القسطنطينية، تحقق فينا حديث من أحاديث رسول الله، ومعجزة من معجزاته، وسيكون من حظنا ما أشاد به هذا الحديث من التمجيد والتقدير، فأبلغوا أبناءنا الجنود فردًا فردًا، أن الظفر العظيم الذي سنحرزه سيزيد الإسلام قدرًا وشرفًا، ويجب على كل جندي أن يجعل تعاليم شريعتنا الغراء نصب عينيه، فلا يصدر عن أحد منهم ما يجافي هذه=

=التعاليم، وليتجنبوا الكنائس والمعابد ولا يمسوها بأذى، وليتركوا القسس والضعفاء والعجزة وكل الذين لا يقاتلون في أمان).
وقال وهو على فراش موته: (لقد فتحت القسطنطينية، وصليت في آيا صوفيا، وانقلبت أكبر كنائسها إلى أروع مساجدها. ولكني ظللت أحب الصلاة في مسجد أبي أيوب الأنصاري، أتبارك بأعتاب الصحابة، وتبلل دموعي لحيتي وأنا أرسل الصلاة والسلام للمصطفى الهادي، ممن حظي [يقصد نفسه] بشرف أن يأتي ذكره على لسانه الشريف قبل أن يرى النور، وبشّر به وأنعم عليه بالرضا من الله، عسى الله أن يقبل صالح أعمالي ويتجاوز عن خاطئ اجتهادي).
وقد أجمع المؤرخون على أنه الفتح الذي أنهى العصور الوسطى، وافتتح العصور الحديثة، وقال عنه المؤرخ البيزنطي المعاصر لفتح القسطنطينية "ميخائيل دوكاس" - وهو واحد من أربعة مؤرخين بيزنطيين عاصروا فتح المدينة، عن حادثة نقل جيش الفتح للسفن العثمانية من اليابسة إلى داخل المضيق الذي أغلقته السلاسل البيزنطية: "لم ير أحد أو يسمع حركة كهذه، وكان ملك الفرس "كيخسرو" قد أنشأ جسرًا فوق مياه البحر، وعبر بجنوده إلى الشاطئ المقابل وكأنه يسير على اليابسة، وأما السلطان مُحمد، الإسكندر الجديد أو أعظم سلاطين زمانه في رأيي، فقد حول اليابسة إلى بحر، واستطاع تسيير السفن من على تلال الجبال بدلًا من الأمواج، وعليه فإن هذا السلطان العثماني تفوق حتى على كيخسرو، ودمّر حصون البيزنطيين، واستطاع السيطرة على القسطنطينية ملكة مدن العالم، والتي كانت تلمع كالذهب الحقيقي)!
وقد عزم السلطان محمد الفاتح على فتح روما نفسها فادّخرها الله لولي من أوليائه مثله، فقد جاء في "تاريخ الدولة العلية" ١/ ١٧٥ في فتوحات محمد الفاتح في أوربا: (وفي سنة ١٤٨٠م فتحت جزائر اليونان الواقعة بين بلاد اليونان وايطاليا، وبعدها سار القائد كدك أحمد باشا بمراكبه لفتح مدينة أوترانت بإيطاليا التي كان عزم السلطان على فتحها جميعها، ويقال إنه أقسم بأن يربط حصانه في كنيسة القديس بطرس بمدينة رومه مقر البابا، ففتحت مدينة أوترانت عنوة في يوم ٤ جمادي الثانية سنة ٨٥٥ هج - ١١ اغسطس سنة ١٤٨٠م).
وقد أعزّ الله الإسلام وأمته بالترك سبع مرات:
الأولى: حين كادت الدعوة الشعوبية الفارسية الباطنية التي قادها بابك الخرمي تعصف بالخلافة العباسية في مطلع القرن الثالث الهجري؛ فاستعان الخليفة المعتصم ومن بعده بالترك، فصاروا قادة جيشه وعساكره؛ حتى قضوا على فتنة بابك الخرمي، وكان لهم دور في فتح عمورية من أرض الروم، فحفظ الله بهم خلافة الإسلام من السقوط.=

=**الثانية:** حين كاد البويهيون الفرس يقضون على الخلافة العباسية، ويطمسون معالمها، وينقضون بنيانها، في مطلع الرابع الهجري، حتى وقعت فتنة البساسيري الباطني ببغداد وعزم على إلغاء الخلافة وضمّها للدولة الفاطمية الباطنية في القاهرة؛ فاستعان الخليفة العباسي ببغداد القائم بأمر الله بالسلطان السلجوقي التركي طغر لبك، فاستعادت الخلافة العباسية بالسلاجقة الأتراك رونقها وأبهتها من جديد في نصف القرن الخامس.

والثالثة: حين سقط المشرق الإسلامي والخلافة العباسية ببغداد سنة ٦٥٦هـ-١٢٥٨م، أمام جيوش الغزو المغولي، فتصدى لهم المماليك الأتراك في القاهرة بقيادة الظاهر بيبرس، وأقاموا الخلافة العباسية بمصر من جديد ببيعة المستنصر أحمد بن الظاهر العباسي سنة ٦٥٩هـ-١٢٦١م، فوحدوا الأمة، وقادوا معركة تحرير الشام وسواحله من السيطرة الصليبية الفرنجية، والعراق والمشرق من السيطرة المغولية.

والرابعة: حين فتح السلطان محمد الفاتح بالجيوش العثمانية التركية القسطنطينية سنة ٨٥٧هـ-١٤٥٣م، وأسقط الإمبراطورية البيزنطية وأوقف الحملات الصليبية التي طالما هددت العالم الإسلامي.

والخامسة: حين أنقذ حفيده السلطان سليم الأول المشرق الإسلامي من خطر الدولة الإيرانية الصفوية التي تحالفت مع الجيوش البرتغالية التي هددت سواحل البحر الأحمر، واحتلت سواحل عمان والبحرين في الخليج العربي، وتحالفت مع المماليك في مصر ضد الدولة العثمانية، وقد هزم سليم الأول -قبل توليه الخلافة- إسماعيل الصفوي في معركة جالديران سنة ٩٢٠هـ-١٤١٦م، ثم أحبط بعد توليه الخلافة المؤامرة الصفوية المصرية ضده، وحرر الشام والقدس ومصر ووحّدها مع الحجاز وجزيرة العرب، وقضى على السلطان الغوري قانصوه الذي قتل في مرج دابق ثم اختار المماليك بعده طومان باي الذي قتل على باب زويلة، وتنازل له الخليفة العباسية المتوكل على الله الثالث؛ فصار السلطان سليم أول خليفة للمسلمين وأمير للمؤمنين من غير قريش بعد أن عجزوا عن القيام بها، وحرر العراق وبغداد من الاحتلال الصفوي سنة ٩٣١هـ- ١٥٢٥م، ودان المسلمون له قاطبة وللخلفاء العثمانيين من بعده بالطاعة ولم ينازعهم أحد الخلافة حتى سقوطها.

والسادسة: حين تصدى السلطان مراد الرابع للشاه عباس الأول الصفوي الذي تحالف مع القوى الصليبية ضد الخلافة العثمانية، واحتل بغداد واقترف المذابح والفظائع بحق أهلها=

الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: (رواه أحمد، والبزار، والطبراني، ورجاله ثقات)، وقال السيوطي في الجامع الصغير: (رواه أحمد والحاكم بإسناد صحيح) ووافقه المناوي.

=السُّنة، فدخلها الجيش العثماني بقيادة مراد الرابع فاتحا ومحررا لها سنة ١٠٤٨ هـ-١٦٣٨م، بعد ١٥ سنة من الاحتلال الصفوي الثاني لها.

والسابعة: حين احتلت جيوش الشاه نادر الصفوي شمال العراق، واحتل كريم خان بعده جنوب العراق والبصرة، وهدد الخليج العربي بالتحالف مع البريطانيين سنة١١٨٩هـ- ١٧٧٥م، حتى حررتها منه الجيوش العثمانية، وبسطت سلطانها من جديد على العراق والخليج العربي.

وقد كان الترك منذ أسلموا حملة الإسلام وحماته؛ كما قال ابن خلدون في تاريخه ٥/ ٤٢٨: (حتى إذا استغرقت الدولة في الحضارة والترف، ولبست أثواب البلاء والعجز، ورميت الدولة بكفرة التتر الذين أزالوا كرسي الخلافة، وطمسوا رونق البلاد، وأدالوا بالكفر من الإيمان، بما أخذ أهلها عند الاستغراق في التنعم والتشاغل في اللذات والاسترسال في الترف من تكاسل الهمم والقعود عن المناصرة والانسلاخ من جلدة الرأس وشعار الرجولية، فكان من لطف الله سبحانه أن تدارك الإيمان بأحياء رمقه وتلافى شمل المسلمين بالديار المصرية بحفظ نظامه وحماية سياجه بأن بعث لهم من هذه الطائفة التركية وقبائلها الغزيرة المتوافرة أمراء حامية وأنصارا متوافية).

وها هي الأمة اليوم تشهد عودة الترك من جديد لنصرة شعوبها المضطهدة ودينها للمرة الثامنة! بعد أن تداعت عليها أمم الشرك والصليب واليهود وتحالف معهم العرب الجاهليون والصفويون الباطنيون ورموا الإسلام وأهله عن قوس واحدة!

- باب: مقدمات فتح القسطنطينية وأنها لا تفتح حتى تفتح قبلها عمورية ونيقية وحتى يكون الشام إقليما واحدا:

١٩- عن جبير بن نفير؛ قال: سمعت أبا ثعلبة الخشني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صاحب رسول الله ﷺ، يقول -وهو بالفسطاط في خلافة معاوية، وكان معاوية أغزى الناس القسطنطينية- عن النبي ﷺ قال: (والله لا تعجز هذه الأمة من نصف يوم، إذا رأيت الشام مائدة رجل واحد وأهل بيته، فعند ذلك فتح القسطنطينية). رواه أحمد وأبو داود والحاكم في صحيحه، وقال: (صحيح على شرط الشيخين) ووافقه الذهبي.

ولفظ أبي داود مرفوع: (لن يعجز الله هذه الأمة من نصف يوم).

قال الهيثمي في مجمع الزوائد: (رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح)، وقال السيوطي: (بإسناد صحيح) ووافقه المناوي.

وله شاهد آخر من حديث المقدام بن معد يكرب مرفوعا، رواه الطبراني في المعجم الكبير، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني، ورجاله ثقات، وفيه بقية بن الوليد وهو ثقة مدلس وقد عنعنه، فلا يضر حديث أبي ثعلبة الاختلاف في رفعه ووقفه، فقد صحّ مرفوعا عن النبي ﷺ، كما سيأتي في الذي بعده، ومثله لا يقال بالرأي.

* وعن جبير بن نفير عن أبي ثعلبة الخشني، قال: (إذا كان بين الدرب والعريش مأدبة أهل بيت واحد فقد دنا فتح القسطنطينية). رواه نعيم في الفتن بإسناد صحيح عنه.

* وعن شريح بن عبيد وسعد بن راشد، عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ، قال: (إني لأرجو أن لا تعجز أمتي عند ربها أن يؤخرهم نصف يوم) قيل لسعد: وكم نصف ذلك اليوم؟ قال:(خمس مئة سنة). رواه أبو داود عن شريح به، والحاكم في صحيحه عن ابن راشد به، شاهدا لحديث أبي ثعلبة، وقال: (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه). ولفظه عنده: (لن يعجزني عند ربي أن يؤجل أمتي نصف يوم) قيل: وما نصف يوم؟ قال: (خمس مائة سنة).[1]

---

(١) وقد تحقق ما أخبر به النبي ﷺ وأن الله يمد في زمن أمته حتى تفتح القسطنطينية، وقد كانت اليهود في زمانه ﷺ يتحدثون عن قرب انتهاء العالم، وقرب قيام الساعة، فأخبر النبي ﷺ بأن وعد الله له لن يتخلف بظهور دينه على كل الأديان وعلوه على عواصمها بالفتح والظهور العسكري، ولن يعجز الله أن يمد عمر العالم نصف يوم وهو خمس مئة عام لو اقتضى ذلك، حتى تفتح القسطنطينية، والمعنى: أنه مهما قيل عن قرب قيام الساعة؛ فلن تقوم حتى يتحقق الفتح للقسطنطينية، وهذا يؤكد الارتباط بين فتح هذه المدينة العظيمة وقيام الساعة؛ كما تواترت بذلك الأخبار الصحيحة، وسيأتي بعضها في هذا الجزء.=

=وقوله: "إذا رأيت الشام مائدة رجل واحد وأهل بيته" يعني في اجتماع الشام كله تحت سلطان واحد، وهذا ما تحقق قبل فتح القسطنطينية، فقد أصبحت مصر والشام كلها وجزيرة العرب تحت سلطان الخلافة العباسية والمماليك بمصر، وكان الخليفة آنذاك المستكفي بالله العباسي، والسلطان هو الأشرف إينال العلائي!

وقد أرسل لهما محمد الفاتح بالبشارة بفتح القسطنطينية وفيها اعترافه بالخلافة العباسية؛ قال فيها مخاطبا سلطان مصر الأشرف إينال بعد توليه السلطنة: (ضاعف الله جل جلاله مُلكه وسُلطانه، وأفاض على العالمين برّه وإحسانه، ولا برح في دولةٍ لا تنهدمُ دارُها، ونعمةٌ لا تنفصمُ آثارها، وسعادةٌ لا تصفرُّ أوراقها، وسيادةٌ لا تتغيَّرُ آفاقها، وما انفكَّ بُنودُ الدين بباهر صولته مرفوعة... ونقول **لمَّا تتابعت عندنا الأخبار التي تشتملُ على صعود شمس السلطنة، على أوج سرير الخلافة أدامهُ الله وأعلاه**، وبارك فيه وأبقاه، ببركة نبيِّهِ المُجتبى، ورسولهِ المُصطفى، عليه وعلى من صلة الصلوات أزكاها: مُلئنا بهجةً وسُرورًا وغبطةً وحُبورًا..)، ثم قال: (إن من أحسن سُنن أسلافنا رَحِمَهُمُ اللَّهُ أنهم مُجاهدون في سبيل الله، ولا يخافون لومة لائم، ونحنُ على تلك السُنَّة قائمون، وعلى تلك الأمنية دائمون، ممتثلين بقوله تبارك وتعالى ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾، مُستمسكين بقوله ﷺ : "مَنْ اغْبَرَّتْ قَدَمَاهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ". فهممنا هذا العام، عمَمهُ الله بالبركة والإنعام، مُعتصمين بحبل ذي الجلال والإكرام، ومُستمسكين بفضل الملك العلَّام، إلى أداء فرض العزاء في الإسلام مؤتمرين بأمره ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ﴾، وجهَّزنا عساكر الغُزاة والمُجاهدين من البرّ والبحر، لفتح مدينة مُلئت فُجورًا وكُفرًا. والتي بقيت وسط الممالك الإسلاميَّة تُباهي بكُفرها فخرًا:

وهي مُحصَّنةٌ صعب المرام، شامخة الأركان، راسخة البُنيان، مملوءة من المُشركين الشُجعان، خذلهم الله أينما كانوا، وهم مُستكبرون على أهل الشُرك والطُغيان، وحصنٌ مُحصَّنٌ، مُسددٌ مُشددٌ، مُشيَّدٌ مُنسَّقُ النظام، ما ظفر به أسلافُنا العظام، هؤلاء السلاطين الأساطين الفخام، مع أنهم جاهدوا حقَّ الجهاد، ولم ينالوا بها نيلًا، وهي قلعةٌ عظيمةٌ مُشتهرةٌ في ألسنة الأرض باسم القُسطنطينيَّة، ولا يبعدُ من أن تكون هي التي نطق بها صحاح الأحاديث النبويَّة، والأخبار المصطفويَّة، عليه وعلى آله أتمَّ الصلاة والتحيَّة، "فيفتحون قُسطنطينيَّة فبينما هم يقتسمون الغنايم قد علقوا سيوفهم بالزيتون". الحديث؛ وغير هذا من الصِّحاح المشهورة، هي هذه المدينة الواقع جانب منها في البحر، وجانب منها في البر، فأعددنا لها كما أمرنا الله بقوله: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا

❋ عن عبد الرحمن بن يزيد بن عبيدة، عن أبيه، عن جده، أنه سمعه من حذيفة بن اليمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يقول: (لا تفتح القسطنطينية حتى تفتح القريتان:

ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ كُلُّ أهبةٍ يعتدُّ بها وجميعُ أسلحةٍ يُعتمد من البرق والرعد والمنجنيق والنقب والجحور وغيرها من جانب البر، والفُلك المشحون والجوار المُنشآت في البحر كالأعلام من جانب البحر، ونزلنا عليها في السَّادس والعشرين من ربيع الأول من شهور سنة سبع وخمسين وثمانمائة..). كما أرسل رسالة أخرى إلى أمير مكة الشريف بركات الحسني يبشره بالفتح، وفيها بعد التبجيل والثناء (وبعد فقد أرسلنا هذا الكتاب مُبشرًا بما رزق الله لنا في هذه السنة من الفُتوح التي لا عين رأت، ولا أُذن سمعت، وهي تسخير البلدة المشهورة بقُسطنطينيَّة، المُلاصقة بمرج البحرين، وفي مُقابلتها مدينةٌ أُخرى موسومة بغلطة، وفي جانبها الشرقي بلدةٌ أُخرى معلمة بأُسكدار، أمَّا الأولى: فكأنَّها ثُعبانٌ له سبع رؤوس من قللها المُشتهرة وتلك القلل سبع رواسي شامخاتٌ حصينةٌ رفيعةٌ مهيأةٌ بأمر الله جل جلاله لمقر الخلافة الإسلاميَّة ومرزوقة لنا بتقدير الحكم السُبحانيَّة ولا شك أنها سُلطان البلاد والأخريان من جنبيها يمينًا وشمالًا كخادمين في طرفيّ السُلطان فلمَّا توجهنا وعزمنا عليها هجم علينا الكُفَّار المملوءة فيها خارجًا وداخلًا وحاربوا معنا فقامت المُحاربة بيننا وبينهم قريب شهرين بعد إبائهم عن إعطاء الجزية الشرعيَّة ثم عجزوا عن القتال وهربوا من الجدال فازدحم أهلُ الإسلام وجاهد كلٌّ من المُجاهدين عن البر والبحر حق الجهاد فقربوا من السور وصعد جمٌّ كثيرٌ من الكماه الموحدين فوق منافذ جدرانها المُندرسة من المنجنيق والعرادة فدخلوا في نفس هذه البلدة المُتبركة المنوَّرة بقدوم المُوحدين بالتكبير والتهليل يوم الثُلثاء والعشرين من شهر جمادى الأولى في مبدأ الأوَّل فقُطع رأس هذه الملاعين، أعني التكفور اللعين [التكفور: حاكم القسطنطينية] أو لحق بجهنَّم مع سائر المقتولين من المُشركين، فخربوا دورهم وكسروا صُلبانهم وأغاروا على خزانهم وأموالهم وأسروا ذراريهم وصبيانهم وجعلوا معابدهم القسيسيَّة مساجد الأُمَّة المُحمديَّة وجمع الملة الأحمديَّة وطهَّر تلك المواقع عن الأرجاس الرهبانيَّة والأنجاس النُصرانيَّة ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾...). وقد تحقق ما توقعه هذا السلطان المبارك محمد الفاتح حين قال في رسالته هذه بأن الله هيأ القسطنطينية لتكون دارا للخلافة، فقد آلت بعده وفي عهد حفيده السلطان سليم الأول دار للخلافة الإسلامية ولمدة أربعة قرون!

نيقية وعمورية). رواه البخاري في "التاريخ الكبير" من طريق زائدة، عن الحكم بن المبارك، ثنا عبد الرحمن بن يزيد به.

وابن عساكر في "تاريخ دمشق" بإسناد صحيح إلى الوليد بن مسلم قال حدثني عبد الرحمن به.

وهذا إسناد شامي حسن، وعبد الرحمن وأبوه وجده عبيدة بن أبي المهاجر السكوني، كلهم في عداد الثقات، ولم يذكروا بجرح، والحديث موقوف له حكم الرفع، إذ لا يقال مثله بالرأي، وحذيفة من أعلم الصحابة بأخبار الفتن ولم يعرف عنه أنه كان يحدث عن أهل الكتاب، وهو قديم الوفاة.

❊ عن كعب؛ قال: (في فتح رومية يخرج جيش من المغرب بريح شرقية، لا ينكسر لهم مقذاف، ولا ينقطع لهم حبل، ولا ينحرق لهم قلع، ولا تنتقص لهم قربة، حتى يرسوا برومية فيفتحونها.

قال كعب: إن فيها لشجرة هي في كتاب الله مجلس ثلاثة آلاف، فمن علق فيها سلاحه، أو ربط فيها فرسه؛ فهو عند الله تعالى من أفضل الشهداء.

قال كعب: تفتح عمورية قبل نيقية، ونيقية قبل القسطنطينية، والقسطنطينية قبل رومية).[1] رواه نعيم في الفتن بإسناد حسن عن كعب.

(١) وهذا ما حدث لهذه المدن البيزنطية النصرانية الثلاث المشهورة من فتح على الترتيب المذكور في هذا الأثر عن كعب الأحبار اليماني الحميري العالم اليهودي الذي أدرك عهد النبوة، وأسلم مبكرا، وقدم المدينة في عهد عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأخذ العلم عن الصحابة، وكانوا يسألونه عن علم أهل الكتاب، وهذه النبوءة إما إنه أخذها عن الصحابة كما عن عبد الله بن عمرو بن العاص الذي صحّ عنه أنه كان يحدث بفتح القسطنطينية قبل رومية، وكما صح عن حذيفة في فتح عمورية ونيقية قبل القسطنطينية، أو يكون كعب علم ذلك مما عنده من علم كتب أنبياء بني إسرائيل، وقد كان النبي ﷺ أذن بالتحديث عنهم فيما لا يتعارض مع ما جاء به من الوحيين القرآني عن الله جَلَّجَلَالُهُ، والبياني عنه ﷺ؛ كما في الصحيحين: (حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج)، وقد احتج القرآن على مشركي العرب بما عند أهل الكتاب من العلم بأخبار النبي ﷺ وصفته وبعثته ونبوته وما أنزل الله عليه من الوحي؛ كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾﴾ الشعراء!

وقوله في أول الأثر أنها تفتح بجيش من المغرب -يعني من جهة الغرب حيث تقع روما في الجنوب الغربي من الجزيرة الإيطالية- هو من المأثور عن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فإن الطبري قد روى في تاريخه بإسناده ٤/ ٢٥٥: (وأرسل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عبد الله بن نافع بن الحصين وعبد الله بن نافع بن عبد القيس من فورهما ذلك من إفريقية إلى الأندلس، فأتياها من قبل البحر.

وكتب عثمان إلى من انتدب من أهل الأندلس أما بعد: فإن القسطنطينية إنما تفتح من قبل الأندلس، وإنكم إن افتتحتموها كنتم شركاء من يفتحها في الأجر).

وهذا ما حاوله بعد ذلك الأغالبة العباسيون، ثم العثمانيون في أوج قوتهم، حيث عزم محمد الفاتح بعد فتح القسطنطينية على فتح روما، وتوغل حتى فتح مدينة أوترانت الإيطالية، ثم توفي قبل استكمال الفتح.=

- باب: صفة فاتح القسطنطينية وعدالته:

❋ عن عتبة بن تميم، قال: حدثني الوليد بن عامر اليزني، عن يزيد بن خمير، عن كعب، قال: (أمير الجيش الذي يفتح القسطنطينية ليس بسارق، ولا زان، ولا غال). رواه نعيم في الفتن، والداني في السنن، من طريقين عن عتبة به، وإسناده حسن لغيره.

- باب: اسم من يفتح القسطنطينية محمد:

٢٠- عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - موقوفا له حكم الرفع - قال: (يفتح القسطنطينية رجل اسمه اسمي) يعني اسم النبي محمد ﷺ. رواه نعيم في الفتن بإسناد حسن لغيره.

=ونيقية فتحها أولا الترك السلاجقة سنة ٤٧١هـ- ١٠٧٨م، واتخذوها عاصمة لهم، ثم استولى عليها الصليبيون بعد ذلك سنة ٤٨٨هـ-١٠٩٥م، ثم أعاد فتحها عثمان الأول سنة ٧٣١هـ-١٣٣١م، وكان المعتصم قد فتح عمورية قبلها سنة ٢٢٣هـ -٨٣٨م.

❋ عن أبي قبيل، قال: (الذي يفتح القسطنطينية اسمه اسم نبي).[1] رواه نعيم في الفتن بإسناد حسن.

(١) كل هذه الأخبار تصدق على محمد الفاتح فاسمه يوافق اسم النبي محمد ﷺ، وقد اشتهر بالعدالة والصلاح والتقوى، وقد ذكره ابن العماد الحنبلي في تاريخه "شذرات الذهب" ٥١٦/٩ فقال عنه في وفيات سنة ٨٨٦ هجرية: (وفيها سابع ملوك بني عثمان السلطان محمد بن السلطان مراد خان.

ولد سنة خمس وثلاثين وثمانمائة، وولي السلطنة سنة ست وخمسين، وكانت مدة ولايته إحدى وثلاثين سنة.

قال في "الأعلام": كان من أعاظم سلاطين بني عثمان، وهو الملك الضليل، الفاضل النبيل، العظيم الجليل، أعظم الملوك جهادا، وأقواهم إقداما واجتهادا، وأثبتهم جأشا وفؤادا، وأكثرهم توكلا على الله واعتمادا، وهو الذي أسس ملك بني عثمان، وقنن لهم قوانين صارت كالأطواق في أجياد الزمان، وله مناقب جميلة، ومزايا فاضلة جليلة، وآثار باقية في صفحات الليالي والأيام، ومآثر لا يمحوها تعاقب السنين والأعوام، وغزوات كسر بها أصلاب الصلبان والأصنام، من أعظمها: أنه فتح القسطنطينية الكبرى، وساق إليها السفن تجري رخاء برا وبحرا، وهجم عليها بجنوده وأبطاله، وأقدم عليها بخيوله ورجاله، وحاصرها خمسين يوما أشد الحصار، وضيق على من فيها من الكفار الفجار، وسل على أهلها سيف الله المسلول، وتدرع بدرع الله الحصين المسبول، ودق باب النصر والتأييد ولج، ومن قرع بابا ولج ولج، وثبت على متن الصبر إلى أن أتاه الله تعالى بالفرج، ونزلت عليه ملائكة الله القرب الرقيب بالنصر العزيز من عند الله تعالى والفتح القريب.

ففتح اصطنبول في اليوم الحادي والخمسين من أيام محاصرته وهو يوم الأربعاء العشرون من جمادى الآخرة سنة سبع وخمسين وثمانمائة، وصلى في أكبر كنائس النصارى صلاة الجمعة وهي أيا صوفيا، وهي قبة تسامي قبة السماء، وتحاكي في الاستحكام قبب الأهرام، ولا وهت ولا وهنت كبرا ولا هرما، وقد أسس في اصطنبول للعلم أساسا راسخا لا يخشى على شمسه الأفول، وبنى بها مدارس كالجنان لها ثمانية أبواب، سهلة الدخول، وقنن بها قوانين تطابق المعقول والمنقول، فجزاه الله خيرا عن الطلاب، ومنحه بها أجرا، وأكبر ثواب، فإنه جعل لهم أيام الطلب ما يسد

- باب: وصف النبي ﷺ فاتح القسطنطينية بالغازي وغزوه روما من القسطنطينية ورجوعه عنها ومشاركة أبناء المهاجرين في فتحها:

٢١- عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: (لا تذهب الليالي والأيام حتى يغزو الغازي رومية، فيقفل إلى القسطنطينية، فيرى أن قد قفل، ولا تقوم الساعة حتى

فاقتهم ويكون به من خمار الفقر إفاقتهم، وجعل بعد ذلك مراتب يترقون إليها ويصعدون بالتمكن= =والاعتبار عليها، إلى أن يصلوا إلى سعادة الدنيا، ويتوسلون بها أيضا إلى سعادة العقبى، وأنه ؒ استجلب العلماء الكبار من أقصى الديار وأنعم إليهم وعطف بإحسانه إليهم، كمولانا علي القوشجي، والفاضل الطوسي، والعالم الكوراني، وغيرهم من علماء الإسلام وفضلاء الأنام، فصارت اصطنبول بهم أم الدنيا ومعدن الفخار والعلياء، واجتمع فيها أهل الكمال من كل فن، فعلماؤها إلى الآن أعظم علماء الإسلام، وأهل حرفها أدق الفطناء في الأنام، وأرباب دولتها هم أهل السعادة العظام، فللمرحوم المقدس قلادة منن لا تحصى في أعناق المسلمين، لا سيما العلماء الأكرمين).

وقال عنه الشوكاني في البدر الطالع ٢/ ٢٦٩ واصفا إياه بالغازي فاتح القسطنطينية الكبرى: (محمد خان، بن مراد خان، بن محمد خان، بن بايزيد خان، بن أورخان، ابن عثمان، الغازي سلطان الروم وابن سلاطينها، ولد سنة ٨٣٦ ست وثلاثين وثمان مائة، وهو الذي أسس ملك بني عثمان، وقرر قواعده، ومهد قوانينه، وهو الذي افتتح القسطنطينية الكبرى، وساق إليها السفن برا وبحرا، وكان فتحها في يوم الأربعاء من جمادى الآخرة سنة ٨٥٧، واستقر بها هو ومن بعده من السلاطين، وبنى بها المدارس الثمان المشهورة، وكان مائلا إلى العلماء، مقربا لهم، يخلطهم بنفسه، ويأخذ عنهم في كل علم، ويحسن إليهم، ويستجلبهم من الأقطار النائية، ويراسلهم، ويفرح إذا دخل إلى مملكته واحد منهم، وله معهم أخبار مبسوطة في "الشقائق النعمانية"، عند ذكر علماء دولته وتوفي سنة ٨٨٦ ست وثمانين وثمان مائة).

يسوق الناس رجل من قحطان). [1] رواه معمر في الجامع بإسناد صحيح موقوفا وله حكم الرفع، والشطر الثاني عن القحطاني في الصحيحين.

---

(١) قوله: "حتى يغزو الغازي رومية ثم يقفل إلى القسطنطينية" يصدق على محمد الفاتح رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ فهو الغازي الذي فتح القسطنطينية، ثم غزا قاصدا رومية، ثم قفل ورجع عنها عازما على فتحها، ثم توفاه الله قبل أن يحقق غايته!

وأل التعريف هنا ليست للجنس لتعم كل غاز؛ بل هي عهدية، والمراد بها: الأمير الذي يفتحها وتعريف (الغازي) إشارة إلى شهرته بهذا الوصف، وقد كان هذا من أشهر صفات محمد الفاتح وألقابه، وبه اشتهر؛ فقد قاد بنفسه ٢٥ معركة خلال ثلاثين سنة، وواجه الجيوش الأوربية الصليبية كلها!

وقوله بعده: " لا تقوم الساعة حتى يسوق رجل من قحطان الناس بعصاه" قيل: هو محمد بن عبد الله الرشيد أمير حائل ونجد في أواخر عصور الخلافة العثمانية، وقد ألّف بعض علماء الهند آنذاك رسالة في أنه المقصود بالحديث، ومال إليه صديق حسن خان، فهو أول رجل من قحطان -وابن رشيد من شمر من عبدة ويرجع نسبهم إلى قحطان كما هو مشهور- يكون ذا سلطان واسع على أواسط جزيرة العرب منذ ظهور الإسلام؛ وقد اشتهر بالعدل والصلاح ودام حكمه أكثر من عشرين سنة، وقد ذكر ذلك ابن عتيق في الدرر السنية ١/ ٥٥٨ فقال: (فقد وقع البحث في الحديث، الذي في الصحيحين، حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: " لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان، يسوق الناس بعصاه، فصرح بعض الحاضرين، بأن القحطاني المذكور في هذا الحديث هو: محمد بن رشيد، الذي خرج في أواخر المائة الثالثة بعد الألف من الهجرة، وعظمت شوكته، وانتشرت دولته في أوائل المائة الرابعة، واستولى على كثير من البلدان النجدية، وقهر جماعات من أهل البادية، حتى استسلم لأمره كثير من أهل نجد واليمامة، أو أكثرهم، فسألني بعض الخواص، هل يسوغ القول بما قاله هذا القائل؟ وهل ينبغي الجزم به، أم لا؟

ثم بلغني عن بعض الإخوان: أنه نسب هذا إلى صديق حسن الهندي...).

ثم حاول صرف الحديث عن ظاهره بدعوى عدم التنصيص عليه بعينه! وعدم مطابقة حاله لما ورد في الحديث! وكلاهما استدلال ضعيف بل باطل؛ فلا يشترط في مثل هذه الأخبار التنصيص=

* ورواه نعيم في الفتن بإسناد حسن عن أبي الغيث، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: (يفتتحون رومية حتى يعلق أبناء المهاجرين سيوفهم بلبخات رومية، فيقفل القافل من القسطنطينية؛ فيرى أنه قد قفل)[1].

- باب: البشارة برفع الأذان وكثرة المؤذنين في القسطنطينية بعد فتحها وكثرة الأموال فيها:

٢٢- عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: (لا تقوم الساعة حتى تفتح مدينة قيصر أو هرقل، **ويؤذن فيها المؤذنون،** ويقتسمون الأموال فيها والأترسة، فيقبلون بأكثر مال على الأرض، فيتلقاهم الصريخ: إن الدجال قد خلفكم في

=على الأعيان، بل التوصيف كاف في التعريف، وما زال أهل العلم ينزلون أخبار المستقبل العامة على من صدقت عليهم في أول وقوعها، ولا يتأولونها، ولا يرجئونها، وليس في الحديث إلا ظهور رجل من قحطان، يدين الناس له بالطاعة، والناس هنا من العام الذي قد يراد به الخاص، وهم العرب أو بعضهم، وهذا ما وقع لهم في وسط جزيرة العرب، فقد بلغ سلطان محمد بن عبد الله بن علي بن رشيد خامس أمراء حائل - والذي تولى الإمارة من سنة ١٢٩٠ - ١٣١٥هـ الموافق سنة١٨٧٣ - ١٨٩٧ م - إلى أطراف العراق والشام شمالا، والربع الخالي جنوبا، وتحقق للناس في عصره من الأمن ما لم يكن لهم منذ أزمان، بعد الفتن والاضطرابات فيها.

(١) قوله: "يفتتحون رومية حتى يعلق أبناء المهاجرين سيوفهم بلبخات رومية"؛ فيه إشارة إلى أنه سيشارك في فتحها أبناء مهاجرين من بلدانهم مع الجيش الفاتح لها، واللبخات شجر عظيم تصنع من أخشابه السفن، وهو في إيطاليا.

أهليكم، فيلقون ما معهم، فيجيئون فيقاتلونه). رواه ابن أبي شيبة في المصنف، ونعيم في الفتن، بإسناد حسن موقوفا، وله حكم المرفوع.

❊ وجاء مرفوعا عنه: (قال رسول الله ﷺ: إنكم ستفتحون مدينة هرقل أو قيصر، وتقتسمون أموالها بالترسة، ويسمعهم الصريخ أن الدجال قد خلفهم في أهاليهم، فيلقون ما معهم ويخرجون فيقاتلون).

قال الهيثمي في المجمع: (رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله ثقات).

❊ عن جبير بن نفير، قال: (تفتحون مدينة الكفر بالتكبير، يضع الله تعالى لهم كل يوم ثلث حائطها، في ثلاثة أيام، فبينا هم كذلك يأتيهم خبر الدجال، فلا يفزعنكم ذلك، فإنه كذب، فاحتملوا من غنيمتها).[1] رواه نعيم في الفتن بإسناد صحيح عن جبير الحضرمي وهو تابعي مخضرم شامي إمام ثقة.

(١) المراد بمدينة الكفر: القسطنطينية، وبالدجال هنا: بابا الكاثوليكية في روما، والأمم النصرانية الصليبية التي حشدت جيوشها بدعوة من البابا نقولا الخامس لاستعادة القسطنطينية بعد فتح محمد الفاتح لها، وقد توفي البابا قبل البدء بالحملة وباءوا بالفشل!
وقد بدأ محمد الفاتح بعد فتحه للقسطنطينية بإرسال الجيوش تلو الجيش يفتح أوربا بالجهاد في سبيل الله، وقد عزم على فتح روما عاصمة النصرانية الكاثوليكية، وتوفي وهو ابن ٤٩ سنة، بعد ٣٠ سنة من الجهاد! ليدخر الله شرف فتح روما لولي من أوليائه في مستقبل الأيام!=

- باب: فضل مسجد محمد الفاتح في القسطنطينية والبشارة ببنائه بعد فتحها:

❋ عن أبي قبيل، قال: اجتمع أبو فراس مولى عمرو بن العاص، وموسى بن نصير، وعياض بن عقبة، وذكروا فتح القسطنطينية، وذكروا المسجد الذي يبنى فيها، فقال أبو فراس: إني لأعرف الموضع الذي يبنى فيه، وقال موسى بن نصير: إني لأعرف ذلك الموضع، فقال عياض بن عقبة: يضع كل واحد منكما حديثه في أذني، فأخبراه فقال: أصبتما كلاكما، فقال أبو فراس: سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يقول: (إنكم ستغزون القسطنطينية ثلاث غزوات، فأما أول غزوة فتكون بلاء، وأما الثانية فتكون صلحا، حتى **يبني المسلمون فيها مسجدا**، ويغزون من وراء القسطنطينية، ثم يرجعون إلى القسطنطينية، وأما الثالثة فيفتحها الله عليكم بالتكبير، فيخرب ثلثها،

=وقد كان لدعوة البابا في روما أمم الصليب لاستعادة القسطنطينية صداها حتى قيل بل هي حملة صليبية لاستئصال الإسلام كله! فأرجف بهذا الخبر المرجفون!

وقد ذكر المؤرخ المصري المعاصر أبو المحاسن ابن تغري بردي هذا النبأ الخطير؛ فقال: (وفي هذا الشهر - ربيع الآخر ٨٦١ هـ /مايو ١٤٥٧م - وردت الأخبار من الإسكندرية وغيرها من بلاد الساحل أن الفرنج عمرت نحو ثلثمائة مركب لغزو سائر سواحل الإسلام من الروم إلى الإسكندرية ودمياط مكافأة لأخذ السلطان محمد بن عثمان إستنبول من الفرنج أخزاهم الله، فلم يلتفت السلطان إلى هذا الخبر لعزة شوكة الإسلام ونصرته إن شاء الله إلى يوم القيامة).

ويحرق الله ثلثها، وتقسمون الثلث الباقي كيلا).[1] رواه نعيم في الفتن عن ابن وهب في جامعه بإسناد حسن.

- باب: فضل المشاركة في فتوح القسطنطينية وملاحمها العظمى وتخلي الأعراب عن الأمة فيها:

* عن صفوان بن عمرو، عن فرج بن محمد الكلاعي، عن كعب، في قوله تعالى: ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾[الفتح: ١٦]، قال: "الروم يوم الملحمة". قال كعب: " قد استفز الله الأعراب في بدء الإسلام، فقالت:

(١) الراجح أن هذا المسجد هو جامع محمد الفاتح، فهو أشهر معالم القسطنطينية بعد فتحها، ومنذ بناء محمد الفاتح له، وقد يكون المراد جامع (أيا صوفيا) الذي كان في الأصل كنيسة ثم حوّله محمد الفاتح إلى مسجد، إلا إن لفظة: (بني المسلمون فيها مسجدا) يرجح الأول فهو المسجد الذي بناه المسلمون فيها بعد الفتح، بخلاف الثاني فقد كان كنيسة قائمة، كما إن ارتباط اسم الجامع باسم الفاتح وكونه هو الذي بناه من أصله يجعل له أفضلية، لثناء النبي ﷺ عليه وتزكيته له بقوله (نعم الأمير) وتبشيره ﷺ بالفتح فيكون تحري مسجده المشهور باسم البشارة (جامع الفاتح)، وكثرة الصلاة فيه، أولى ليكون له من هذا العمل الصالح أجر ونصيب دائم، مع أنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ وكل من شارك في هذا الفتح العظيم لا يزال لهم أجر كل عمل صالح يكون بعدهم فيها، كما في رسالة الخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفان إلى من انتدبهم لفتح الأندلس حيث يقول فيها - كما في سير الأعلام للذهبي -: (أما بعد فإن القسطنطينية إنما تفتح من قبل الأندلس، وإنكم إن افتتحتموها كنتم شركاء في فتحها في الأجر).
وكل من دخل جامع محمد الفاتح وجد من السكينة ما لا يجده في غيره من المساجد فيها، وهذا أمر يكاد يتواتر بين كل من زاره وصلى فيه!

﴿شَغَلَتۡنَآ أَمۡوَٰلُنَا وَأَهۡلُونَا﴾ [الفتح: ١١] فقال: ﴿سَتُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ قَوۡمٍ أُوْلِي بَأۡسٍ شَدِيدٍ﴾ يوم الملحمة، فيقولون كما قالوا في بدء الإسلام: ﴿شَغَلَتۡنَآ أَمۡوَٰلُنَا وَأَهۡلُونَا﴾ فتحل بهم الآية: ﴿يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا﴾[التوبة: ٣٩] فحدثت به عبدالرحمن بن يزيد يومئذ " فقال: صدق، قال بقية في حديثه: "ولولا أن أشهد فتح مدينة الكفر ما أحببت أن أحيا، فإن الله تعالى محرم يومئذ على كل حديدة أن تجبن".

قال: وقال صفوان: حدثنا مشيختنا أن من الأعراب من يرتد يومئذ كافرا، ومنهم من يول على نصرة الإسلام وعسكرهم شاكا، فإذا فتح للمسلمين يومئذ بعثوها غارة على ما ترك الفئة الكافرة المرتدة، والفئة الشاكة الخاذلة، فالخائب من خاب من غنيمتهم يومئذ). رواه نعيم في الفتن مطولا واللفظ له، والطبري في التفسير مختصرا، بإسناد صحيح عنه.

❋ وعن تبيع عن كعب قال: (لولا ثلاث لأحببت أن لا أحيا ساعة، أولها نهبة الأعراب، فإنهم يستنفرون في بعض ما يكون ويحدث من الملاحم، فيقولون كما قالوا في بدء الإسلام أول مرة حين استنصروا: ﴿شَغَلَتۡنَآ أَمۡوَٰلُنَا

﴿وَأَهْلُونَا﴾ [الفتح: ١١] فأجاب من أجاب، وترك من ترك، فإذا استنصروا المرة الثانية في زمن الملاحم فأبوا أحل الله بهم الآية التي وعدهم الله تعالى في كتابه: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ [الفتح: ١٦] الآية، فهي نهبة الأعراب، والخائب من خاب يوم نهبة كلب، والثانية لولا أن أشهد الملحمة العظمى فإن الله تعالى يحرم على كل حديدة أن تجبن، فلو ضرب الرجل يومئذ بسفود لقطع، والثالثة لولا أن أشهد فتح مدينة الكفر، وإن دون فتحها لصغارا كبيرا).(١) رواه نعيم في الفتن عن كعب من قوله بإسناد حسن.

---

(١) الملاحم هي الحروب الأممية بين المسلمين وغيرهم من أمم والروم والعجم؛ بخلاف الفتن وهي الحروب التي تقع بين المسلمين، وهذا الأثر تحقق بأوضح صوره في هذه الملحمة العظمى التي تعيشها الأمة منذ سقوط الخلافة الإسلامية بعد الحملة الصليبية البريطانية الفرنسية الروسية في الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ - ١٩١٨م/١٣٣٢-١٣٣٦هـ التي احتلت العالم الإسلامي كله، وكان للأعراب والقبائل في جزيرة العرب دور كبير في مؤازرة الشريف حسين في قتاله مع الحملة الصليبية ضد الخلافة الإسلامية حتى احتل الجنرال البريطاني اللنبي القدس ودمشق بمؤازرة قوات فيصل بن حسين التي كانت كلها من الأعراب والقبائل الحجازية، وكذا استسلمت المدينة النبوية للضابط غارلند بحصار الأعراب لها مع الإنجليز!

وكذا احتلت بريطانيا بغداد بمؤازرة ابن سعود والأعراب والقبائل النجدية!

وهو ما لم يحدث مثله في تاريخ الإسلام من قبل!

وقد استنصر بهم الأتراك للدفاع عن المدينة وعن القدس وبغداد؛ فأبوا ووقفوا مع بريطانيا وحل بالعرب بعدها من الذل والهوان ما لم يرفع عنهم إلى اليوم!=

❋ وعن المفرج بن محمد، وشريح بن عبيد، عن كعب، قال: (لولا ثلاث لأحببت ألا أحيا: إحداهن الملحمة العظمى، فإن الله تعالى يحرم فيها يومئذ على كل حديدة أن تجبن، ولو ضرب رجل بسفود لقطع، والأخرى لولا **أن أشهد فتح مدينة الكفر، وإن دون فتحها الصغار وهوانا كبيرا**)[1]. رواه نعيم في الفتن بإسناد حسن.

=وأما المرة الأولى التي اعتزل فيها الأعراب ولم يشاركوا فيها؛ فيحتمل أنها الحروب المغولية التي احتلت المشرق الإسلامي كله أو الصليبية الفرنجية التي قبلها!

وقوله: "فتح مدينة الكفر" المراد به فتح القسطنطينية، كما ورد في حديث عوف بن مالك في مصنف ابن أبي شيبة من طريق الثوري بإسناد حسن وفي آخره (وفتح مدينة الكفر، وهدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر، فيأتونكم تحت ثمانين غاية، تحت كل غاية اثنا عشر ألفا فيكونون أولى بالغدر منكم)، وكان الصحابة والمسلمون يسمون القسطنطينية "مدينة الكفر"؛ كما في تاريخ دمشق ٢١/ ٣٥٠: (عن صفوان بن عمرو عن الفرج بن يحمد عن بعض أشياخه قال كنا مع سفيان بن عوف الغامدي شاتين بأرض الروم فلما صفنا دعا سفيان الخيول فاختار ثلاثة آلاف فأغار بنا على باب الذهب حتى فزع أهل القسطنطينية، وضربوا بنواقيسهم، ثم لقونا فقال: ما شأنكم يا معشر العرب؟ وما جاء بكم؟ قلنا جئنا لنخرب "مدينة الكفر" ويخربها الله على أيدينا! فقالوا: ما ندري أخطأتم الحساب أم كذب الكتاب أم استعجلتم القدر؟ والله إنا لنعلم أنها ستفتح يوما ولكننا لا نرى هذا زمانها).

(١) الصغار والهوان الكبير في هذا الأثر هو ما حل بالأمة قبل فتح القسطنطينية، وهو الغزو المغولي الوثني الذي دمر المشرق الإسلامي، حتى احتل هولاكو بغداد عاصمة الخلافة سنة ٦٥٦هـ وقتل فيها الخليفة العباسي ووزراءه ومليوني مسلم، ووقع ما حذر النبي ﷺ العرب منه إذا=

- باب: البشارة بفتح مدينة الدجال رومية بعد فتح القسطنطينية:

٢٣- عن جابر بن سمرة، عن نافع بن عتبة، قال: كنا مع رسول الله ﷺ، في غزوة، قال: فأتى النبي ﷺ، قوم من قبل المغرب، عليهم ثياب الصوف، فوافقوه عند أكمة، فإنهم لقيام ورسول الله ﷺ قاعد، قال: فقالت لي نفسي: ائتهم فقم بينهم وبينه لا يغتالونه، قال: ثم قلت: لعله نجي معهم، فأتيتهم فقمت بينهم وبينه، قال: فحفظت منه أربع كلمات، أعدهن في يدي، قال: تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله، ثم فارس فيفتحها الله، ثم تغزون الروم فيفتحها الله، ثم تغزون الدجال فيفتحه الله. قال: فقال نافع: يا جابر، لا نرى الدجال يخرج، حتى تفتح الروم).[1] رواه مسلم في صحيحه.

=كثر فيهم الخبث؛ كما في الصحيحين: (ويل للعرب من شر قد اقترب)! قالت أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أنهلك وفينا الصالحون يا رسول الله؟ قال: (نعم إذا كثر الخبث)!

وما زال الخبث يزيد في العرب حتى بلغ بهم في هذا العصر أن تحالف أعرابهم مع الحملة الصليبية البريطانية الفرنسية لتحتل بمساعدتهم القدس ودمشق وبغداد والمدينة النبوية!

فأي هوان وصغار أكثر من هذا!

(١) المراد بالروم هنا: دولتهم وعاصمتها القسطنطينية، والدجال هنا الذي يغزوه المسلمون بعدها ويفتحونه: دولة البابا في الفاتيكان في روما الذي ينتحل اسم المسيح عيسى بن مريم كذبا وزورا، وهو غير الدجال الذي يخرج بين يدي الساعة.

- باب: فضل الترك وقيامهم بالإسلام حين غربته وجهادهم للروم وتصديهم لحملاتهم الصليبية وفتحهم القسطنطينية:

٢٤- عن عبد الرحمن بن سنة الأسلمي الأنصاري، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (والذي نفسي بيده ليأرزن الإيمان إلى ما بين المسجدين [مكة والمدينة] كما تأرز الحية إلى حجرها، وليجاوز الإيمان المدينة كما يجوز السيل الدمن، فبينما هم على ذلك استغاثت العرب بأعرابها في مجلبة لهم، كصالح من مضى، وخير من بقي، فاقتتلوا هم والروم، فتتقلب بهم الحروب حتى يردوا عمق أنطاكية فيقتتلون بها ثلاث ليال، فيرفع الله النصر عن كل الفريقين حتى تخوض الخيل في الدم إلى ثنتها، وتقول الملائكة: أي رب، ألا تنصر عبادك؟ فيقول: حتى يكثر شهداؤهم، فيستشهد ثلث، ويصبر ثلث، ويرجع ثلث شاكا فيخسف بهم، قال: فتقول الروم: لن ندعكم إلا أن

وخروج الدجال هنا -الذي يغزوه المسلمون ويفتحونه- هو خروج أممه المسيحية على العالم واحتلالها له، وهو ما جرى بعد فتح القسطنطينية، فخرج البرتغاليون والأسبان والفرنسيون والبريطانيون والأوربيون وما زالوا يستولون على العالم حتى لم يبق أرض لم تطأها أقدامهم! ويرفعوا فيها صليبهم، وينشروا فيها كفرهم وإلحادهم، حتى سادوا وظهروا على جزيرة العرب والحرمين بعد الغربة الثانية للإسلام واستضعاف أهله! وهذا هو الخروج الذي يعقبه بإذن الله ظهور الإسلام من جديد حتى يفتح المسلمون أرضهم وعاصمة دجالهم روما!

تخرجوا إلينا كل من كان أصله منا، فيقول العرب للعجم: الحقوا بالروم، فتقول العجم: أنكفر بعد الإيمان؟ فيغضبون عند ذلك، فيحملون على الروم فيقتتلون، فيغضب الله عند ذلك، فيضرب بسيفه، ويطعن برمحه، "قيل: يا عبد الله بن عمرو، ما سيف الله ورمحه؟" قال: سيف المؤمن ورمحه، حتى يهلكوا الروم جميعا، فما يفلت إلا مخبر، **ثم ينطلقون إلى أرض الروم فيفتتحون حصونها ومدائنها بالتكبير، حتى يأتوا مدينة هرقل فيجدون خليجها بطحاء، ثم يفتتحونها بالتكبير**، يكبرون تكبيرة فيسقط أحد جدرها، ثم يكبرون أخرى فيسقط جدار آخر، ويبقى جدارها البحري لا يسقط، ثم يستجيزون إلى رومية فيفتتحونها بالتكبير، ويتكايلون يومئذ غنائمهم كيلا بالغرائر).[(١)]

رواه نعيم في الفتن واللفظ له بإسناد حسن لغيره بشواهده، ورواه عبد الله بن أحمد في

(١) هذه من المعجزات الخبرية والنبوءات المستقبلية التي وقعت كما أخبر عنها النبي ﷺ، وهي تشير إلى ملاحم الحروب الصليبية، التي اجتمعت جيوشها في القسطنطينية بدعوة من البابا أوربان الثاني من كل أوربا، واحتلت أنطاكية، وقتل فيها من المسلمين عشرات الآلاف، كما سيأتي تفصيله بالأحاديث التالية، وعجز العرب في الشام عن مواجهتها، وتخليهم عن الجهاد، ونهوض الترك السلاجقة به، ثم الشهيد محمود زنكي، ثم صلاح الدين الأيوبي! ثم ما زال الترك المماليك بمصر يتصدون لهم حتى فتح الترك القسطنطينية! تماما على النحو المذكور في هذا الحديث! وقوله: "يجدون خليجها بطحاء" إشارة إلى جر السفن على اليابسة والعبور بها إلى البحر في مضيق القسطنطينية، وتجاوز الحاجز الحديدي الذي كان يمنع دخول المضيق بحرا؛ كما فعل محمد الفاتح!

زوائده على المسند مختصرا؛ ولفظه: (أنه سمع النبي ﷺ يقول: بدأ الإسلام غريبا، ثم يعود غريبا كما بدأ، فطوبى للغرباء" قيل: يا رسول الله، ومن الغرباء؟ قال: " الذين يصلحون إذا فسد الناس، والذي نفسي بيده لينحازن الإيمان إلى المدينة كما يحوز السيل، والذي نفسي بيده ليأرزن الإسلام إلى ما بين المسجدين كما تأرز الحية إلى جحرها).

- باب: البشارة بكثرة بناء المساجد في القسطنطينية بعد فتحها حتى تصبح أبرز مظاهر عمرانها:

٢٥- عن إسحاق بن عبد الله، عن عوف بن مالك الأشجعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أتى رسول الله ﷺ في فتح له فسلم عليه، ثم قال: هنيئا لك يا رسول الله، قد أعز الله نصرك، وأظهر دينك، ووضعت الحرب أوزارها بجرانها، قال: ورسول الله ﷺ في قبة من أدم، فقال: (ادخل يا عوف! فقال: أدخل كلي أو بعضي؟ فقال: ادخل كلك، فقال: إن الحرب لن تضع أوزارها حتى تكون ست أولهن موتي؛ فبكى عوف، قال رسول الله ﷺ: قل: إحدى، والثانية فتح بيت المقدس، والثالثة: فتنة تكون في الناس كعقاص الغنم، والرابعة: فتنة تكون في الناس لا يبقى أهل بيت إلا دخل عليهم نصيبهم منها،

والخامسة: يولد في بني الأصفر غلام من أولاد الملوك يشب في اليوم كما يشب الصبي في الجمعة، ويشب في الجمعة كما يشب الصبي في الشهر، ويشب في الشهر كما يشب الصبي في السنة، فما بلغ اثنتي عشرة سنة ملكوه عليهم، فقام بين أظهرهم، فقال: إلى متى يغلبنا هؤلاء القوم على مكارم أرضنا، إني رأيت أن أسير إليهم حتى أخرجهم منها، فقام الخطباء فحسنوا له رأيه، فبعث في الجزائر والبرية بصنعة السفن، ثم حمل فيها المقاتلة حتى نزل بين أنطاكية والعريش!

قال ابن شريح: فسمعت من يقول: إنهم اثنا عشر غاية تحت كل غاية اثنا عشر ألفا، فيجتمع المسلمون إلى صاحبهم ببيت المقدس، وأجمعوا في رأيهم أن يسيروا إلى مدينة الرسول ﷺ حتى يكون مسالحهم بالسرح وخيبر. قال ابن أبي جعفر: قال رسول الله ﷺ: يخرجوا أمتي من منابت الشيح، قال: أو قال الحارث بن يزيد: إنهم سيقيموا فيها هنالك فيفر منهم الثلث، ويقتل منهم الثلث؛ فيهزمهم الله عز وجل بالثلث الصابر، وقال خالد بن يزيد: يومئذ يضرب والله بسيفه ويطعن برمحه، **ويتبعه المسلمون حتى يبلغوا المضيق الذي عند القسطنطينية، فيجدونه قد يبس ماؤه، فيجيزون إلى المدينة حتى ينزلوا بها، فيهدم الله جدرانهم بالتكبير، ثم يدخلونها فيقسمون أموالهم**

بالأترسة، وقال أبو قبيل المعافري: فبينما هم على ذلك إذا جاءهم راكب، فقال: أنتم هاهنا والدجال قد خالفكم في أهليكم، وإنما كانت كذبة، فمن سمع العلماء في ذلك أقام على ما أصابه، وأما غيرهم فانفضوا، **ويكون المسلمون يبنون المساجد في القسطنطينية ويغزون وراء ذلك** حتى يخرج الدجال السادسة).[1] رواه الحاكم في صحيحه، وقال: (صحيح الإسناد).

(١) في هذا الحديث معجزات خبرية تحققت كما أخبر عنها النبي ﷺ وهي من دلائل نبوته ﷺ، فذكر هنا فتح القسطنطينية، وكثرة بناء المسلمين المساجد فيها، وغزوهم أوربا منها حتى حاصروا فينا عاصمة النمسا، في قلب أوربا، وكل ذلك حدث بعد ثمانية قرون من وفاته ﷺ!

كما فيه خبر إعلان البابا (نقولا الخامس) والدجال في روما بدء الحملة الصليبية لاستعادة القسطنطينية، واستنفار المسلمين للتصدي له، ووفاته قبل بدء الحملة!

كما في أول الحديث النذارة من الحملات الصليبية التي قادها بابوات أوربا وملوكها ضد المسلمين والعرب خاصة قبل فتح القسطنطينية، وكل ذلك لم يحدث إلا بعد نحو خمسة قرون، فقد كانت أول حملة صليبية سنة ٤٩١ هج -١٠٩٧م، التي أطلقها البابا أوربان الثاني سنة ٤٨٨ هج - ١٠٩٥م، وكانت خطبته من أشهر وأخطر ما استثار النصارى، وكان خطيبا مفوها، وذكر فيها العبارة نفسها التي وردت في هذا الحديث: (إلى متى يغلنا هؤلاء القوم على مكارم أرضنا)!

فقد جاء في خطبته المشهورة: (يا شعب الفرنجة، يا شعب الله المحبوب المختار، لقد جاءت من تخوم فلسطين، ومن مدينة القسطنطينية أنباء محزنة تعلن أن جنسًا لعينًا أبعد ما يكون عن الله قد طغى وبغى في تلك البلاد، بلاد المسيحيين في الشرق؛ قلب موائد القرابين المقدسة، ونهب الكنائس وخربها وأحرقها، وساقوا بعض الأسرى إلى بلادهم، وقتلوا بعضهم الآخر بعد أن عذبوهم أشنع تعذيب، ودنسوا الأماكن المقدسة برجسهم، وقطعوا أوصال الإمبراطورية البيزنطية، وانتزعوا منها أقاليم بلغ من سعتها أن المسافر فيها لا يستطيع اجتيازها في شهرين كاملين.. على من إذن تقع تبعة الانتقام لهذه المظالم، واستعادة تلك الأصقاع إذا لم تقع عليكم أنتم).=

=وانطلقت الحملة الصليبية بعد اجتماعها من القسطنطينية حتى احتلت أنطاكية ثم القدس سنة ٤٩٢هـ - ١٠٩٩م، وقتلت في ساحة المسجد الأقصى سبعين ألفا من أهلها من الرجال والنساء والأطفال!

كما جاء دور الخطباء المذكور في الحديث مطابقا لما ذكرته كتب المؤرخين عن دورهم في تجييش الشعوب النصرانية في أوربا فقد أمرهم البابا بقراءة رسالته وخطبته على عموم مدن فرنسا وإيطاليا وألمانيا!

وورد في الحديث: (إني رأيت أن أسير إليهم حتى أخرجهم منها، فقام الخطباء فحسنوا له رأيه، فبعث في الجزائر والبرية بصنعة السفن، ثم حمل فيها المقاتلة حتى نزل بين أنطاكية والعريش)!

وهذا بحذافيره ما وقع فقد كاد المستمعون لخطبة البابا في المجمع الديني في كليرومنت بفرنسا يصابون بالجنون حين سمعوا خطبته - كما يقول جوستاف لوبون - فبايعه ٣٠٠ ألف على القتال في سبيل تخليص القدس!

وقد استجاب الملوك والأمراء لدعوته وخرجت خمسة جيوش من البر والبحر بالسفن الإيطالية! وما زالت تخترق البلدان حتى استولت على سواحل الشام فأقامت أربع إمارات من أنطاكية إلى العريش؛ كما ورد في الحديث تماما!

وقامت مملكة القدس اللاتينية التي تضم إمارة الرها وأنطاكيا شمالا وطرابلس والقدس جنوبا حتى العريش!

كما إن عدد المقاتلين والرايات يكاد يكون مطابقة لما وقع في الحملة الصليبية الأولى!

فالحديث بمجموع إشاراته نبوءة عن الحملات الصليبية التي تخرج من أوربا من الروم حتى تحتل سواحل الشام من أنطاكية حتى العريش، وحتى يحشر العرب في جزيرتهم الداخلية، حيث تكون الملاحم محصورة على السواحل بين الروم والترك، ثم تنتهي هذه الحروب، بفتح القسطنطينية!

وهو ما تحقق فعلا بعد آخر حملة صليبية!

وأما الإشارة إلى كون المضيق يصبح يابسا فيعبره المسلمون فهو إشارة إلى العبور بالسفن برا؛ كما فعل محمد الفاتح حيث جر السفن على اليابسة حتى أنزلها البحر!

وأما الشاب المذكور في الحديث فالأقرب أنه قائد الجيش الإيطالي في الحملة الصليبية الأولى (وهو الجيش الإيطالي القادم من جنوب إيطاليا، والمكون من المقاتلين النورمان الأشداء، وكان على قيادته الأمير الطموح بوهيموند ابن روبرت جويسكارد، وكان هذا الأمير يطمح إلى قيادة=

- باب: فضل الجماعة التي تفتح القسطنطينية الفتح الثاني بالتكبير والدعاء:

٢٦- عن عمرو المزني، أن النبي ﷺ قال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: (ستقاتلون بني الأصفر [هم الروم]، في عصابة من المسلمين، لا تأخذهم في الله لومة لائم، حتى تستفتحون القسطنطينية بالتكبير والتسبيح).[١] رواه

=الجيوش مجتمعة، وكان يؤيِّده في ذلك أن جيشه هو أقوى الجيوش تنظيمًا، وأكفأهم عسكريًّا، وأشدهم قتالاً، ثم إنه ابن روبرت جويسكارد، وكان من أقوى أمراء أوربا مطلقًا، وهو الذي استطاع إخضاع البلقان لسيطرته بعد أن هزم الدولة البيزنطية ذاتها، كما أن لبوهيموند خبرة سابقة في حصار أنطاكية سنة ١٠٨١م، ومواجهة الدولة البيزنطية هناك). انظر قصة الحروب الصليبية - د راغب سرجاني - ص ٧٦

(١) هذه أصح روايات هذا الحديث وأوضحها!
ولم يبشّر النبي ﷺ بفتح مدينة مرارا كما بشّر بفتح القسطنطينية (إسطنبول)؛ وذلك لعظمتها السياسية كعاصمة للإمبراطورية الرومانية، وعاصمة دينية للمسيحية الأرثوذكسية، ولأن فتحها واستعادتها كل مرة يمثل تحوّلا في تاريخ الإسلام والمسيحية؛ لأنها ستظل الثغر الأعظم، والحاجز الأضخم، بين أمة الإسلام من جهة، وأوربا والروم أمم المسيح الدجال من جهة أخرى، إلى يوم القيامة وقد نزلت سورة الروم للإشارة إلى هذا المعنى ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴾، فتارة يفتحها المسلمون حربا أو سلما، وتارة يسيطر عليها الروم الصليبيون سياسيا، وهذا الصراع عليها تارة يكون عسكريا فتُفتح بالغزو والجيوش، وتارة بالنفوذ السياسي فتفتح بالدعوة والدعاء، قال الصنعاني في "التنوير شرح الجامع الصغير" ٩/ ٣٠ عن إسطنبول: (وهي الآن في أيدي المسلمين، ويقال أنها يملكها الكفار مرة أخرى ثم تفتح بالتكبير)!
وهو ما حدث بعد احتلال الحلفاء لها في الحرب العالمية الأولى!=

=وقد تواترت أحاديث فتحها وتنوعت، ومنها: أنها تفتح سلما مرتين، مرة بالاستفتاح بالتكبير، بلا قتال، وهو حديث الطبراني ولفظه مختلف تماما عن فتحها الثاني بالتهليل، ففيه: (ستقاتلون بني الأصفر، في عصابة من المسلمين لا يخافون في الله لومة لائم، فيستفتحون القسطنطينية بالتكبير والتسبيح)، والاستفتاح هو طلب الفتح بالدعاء، ووصفهم بأنهم لا يخافون لومة لائم فيه دلالة على قلتهم وضعفهم أمام عدوهم، وأنهم لا حول لهم بعدوهم ولا قوة، إلا بالدعوة والدعاء، وهذا يقينا فتح غير الفتح العسكري الأول؛ كما في حديث: (لتفتحن القسطنطينية فنعم الأمير ذلك الأمير، ونعم الجيش ذلك الجيش)، وهو الفتح الذي خصّ الله به محمدا الفاتح والذي غيّر وجه التاريخ وعرف بفتح القسطنطينية؛ مما يؤكد أن بني الأصفر سيستعيدونها بعده -كما في حديث الطبراني- وتعود لنفوذهم من جديد، وهو ما حدث في الحرب العالمية الأولى، حتى تصدى لهم عصابة من المسلمين بالدعوة والدعاء والاستفتاح بالتكبير؛ كما يجري لها في وقتنا الحاضر، وهذا الذي سيأتي بعده فتح روما؛ كما في الحديث الصحيح: (أي المدينتين تفتح أولا القسطنطينية أم رومية؟ قال: مدينة هرقل أولا) وهي القسطنطينية، كما سبق تفصيل القول فيه، ثم سيستعيدها الروم مرة ثالثة بالنفوذ السياسي، فيفتحها المسلمون بلا قتال، بين يدي الساعة؛ كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة، أن النبي ﷺ قال:(سمعتم بمدينة جانب منها في البر وجانب منها في البحر؟ قالوا: نعم، يا رسول الله قال: لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفا من بني إسحاق، فإذا جاءوها نزلوا، فلم يقاتلوا بسلاح، ولم يرموا بسهم، قالوا: لا إله إلا الله والله أكبر، فيسقط أحد جانبيها - قال ثور: لا أعلمه إلا قال - الذي في البحر، ثم يقولوا الثانية: لا إله إلا الله والله أكبر، فيسقط جانبها الآخر، ثم يقولوا الثالثة: لا إله إلا الله والله أكبر، فيفرج لهم، فيدخلوها فيغنموا، فبينما هم يقتسمون المغانم، إذ جاءهم الصريخ، فقال: إن الدجال قد خرج، فيتركون كل شيء ويرجعون).

وفي حديث آخر أيضا عنه في صحيح مسلم أنه تفتح عسكريا، وهو آخر فتح لها، ويخرج الدجال ويقتله النبي عيسى، ولفظه: (أن رسول الله ﷺ، قال: لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق، فيخرج إليهم جيش من المدينة، من خيار أهل الأرض يومئذ، فإذا تصافوا، قالت الروم: خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم، فيقول المسلمون: لا، والله لا نخلي بينكم وبين إخواننا، فيقاتلونهم، فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبدا، ويقتل ثلثهم، أفضل الشهداء عند الله، ويفتتح الثلث، لا يفتنون أبدا فيفتتحون قسطنطينية، فبينما هم يقتسمون الغنائم، قد علقوا سيوفهم بالزيتون، إذ صاح فيهم الشيطان: إن المسيح قد خلفكم في أهليكم، فيخرجون،

الطبراني في المعجم الكبير بإسناد صحيح، عن كثير بن عبدالله عن أبيه عن جده، وكثير صحح وحسن الترمذي له حديثا، وحسن حاله البخاري.

قال الهيثمي في مجمع الزوائد: (رواه الطبراني، وفيه كثير بن عبد الله، وقد ضعفه الجمهور، وحسن الترمذي حديثه).

❋ وفي رواية أخرى عن كثير عن أبيه عن جده عمرو بن عوف المزني قال رسول الله ﷺ: (إنكم ستقاتلون بني الأصفر فتقتلونهم، ويقاتلهم من بعدكم من المؤمنين، يخرج إليهم المؤمنون الذين يجاهدون في سبيل الله لا تأخذهم في الله لومة لائم، **حتى يفتح الله عليهم قسطنطينية ورومية بالتسبيح والتكبير**، فيهدم حصنها، فيصيبون فيه مالا عظيما، حتى يقسموا المال بالترسة ويصرخ صارخ: يا أهل الإسلام قد خرج المسيح الدجال في بلادكم وذراريكم؛ فيقولون: من هذا الصارخ؟ فلا يعلمون من هو فيقولون: أبصروا وارشدوا فابعثوا طليعة إلى لد، فإن يكن المسيح قد خرج يأتكم بعلم منه، فيبعثون الطليعة إلى لد ثم يقولون: نسير إليهم، فإن يكن هو نقاتله حتى

وذلك باطل،= =فإذا جاءوا الشأم خرج، فبينما هم يعدون للقتال، يسوون الصفوف، إذ أقيمت الصلاة، فينزل عيسى ابن مريم ﷺ، فأمّهم، فإذا رآه عدو الله، ذاب كما يذوب الملح في الماء)!

يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين، وإن يكن الأخرى فإنها بلادكم وعشائركم رجعتم إليها). رواه الطبراني في المعجم الكبير واللفظ له، والحاكم في صحيحه بإسناد حسن، وفيه ألفاظ شاذة زائدة عن الرواية التي قبلها.

- باب: فضل جهاد الروم والدفاع عن القسطنطينية وأمداد العرب للترك في ملاحمها:

٢٧- عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: (يكون على الروم ملك لا يعصونه -أو لا يكادون يعصونه- فيجيء حتى ينزل بأرض كذا وكذا، ويستمد المؤمنون بعضهم بعضا حتى يمدهم أهل عدن أبين على قلصاتهم.

قال عبد الله: إنه لفي الكتاب مكتوب: فيقتتلون عشرا لا يحجز بينهم إلا الليل، ليس لكم طعام إلا ما في إداويكم، لا تكل سيوفهم، ولا نيازكهم، ولا نشابهم، وأنتم أيضا كذلك، ثم يأمر ملكهم بالسفن فينحرف -يعني ملك الروم- قال: ثم يقول: من شاء الآن فليفر، فيجعل الله الدبرة عليهم، فيقتلون مقتلة لم ير مثلها -أو لا يرى مثلها-حتى إن الطائر ليمر بهم فيقع

ميتا من نتنهم، للشهيد يومئذ كفلان على من مضى قبله من الشهداء، وللمؤمن يومئذ كفلان على من مضى من قبله من المؤمنين، قال: **لا يزلزلهم شيء، ولا يزال بعثهم أبدا، وبقيتهم يقاتل الدجال.**

قال ابن سيرين: فكان عبد الله بن سلام يقول: إن أدركني هذا القتال وأنا مريض فاحملوني على سريري حتى تجعلوني بين الصفين).[1] رواه عبدالرزاق

(١) شارك العرب كغيرهم من المسلمين في الدفاع عن إسطنبول في معركة "جناق قلعة" أو "غاليبولي" التي دامت نحو تسعة أشهر، حاول الحلفاء الأوربيون فيها احتلالها في الحرب العالمية الأولى في أبريل سنة ١٩١٥م/جمادى الآخرة ١٣٣٣هـ حتى هزيمة جيوشهم آخر سنة ١٩١٥م/١٣٣٣هـ، وأوائل سنة ١٩١٦م/١٣٣٤هـ!

وهي مدة حمل المرأة؛ كما ورد ذكر هذه المدة في الحديث الآخر كما سيأتي، وقتل وجرح من الطرفين نحو نصف مليون قتيل، وقد وقفت بنفسي على قبور الشهداء العرب من كل مدنهم من مكة والمدينة وحلب والشام واليمن.

والذي يرجح أن المراد في الحديث هو هذه المعركة كثرة القتلى، واستعانة أهل اسطنبول بالأمة كلها لمواجهة الروم، وبالعرب الذين شاركوا فيها خاصة بلواءين من حلب، وذكر النيازك في الحديث وهي المدافع البحرية الحديث وهي إشارة إلى المدافع البحرية وقنابلها التي كانت تدك القلاع فيها كالنيازك السماوية يرشح أنها هي المقصودة في الحديث!

كما أنها معركة بحرية شاركت فيها السفن، وقوله في الحديث: "تقاتلون عشرا" هي عشرة أشهر بمجموع المعركتين البحرية (الدردنيل)، والبرية (غاليبولي)، حيث بدأت معركة الإنزال البحري البريطاني لمدة شهر في مضيق الدردنيل من ١٩ فبراير سنة ١٩١٥م/ ٤ربيع الأول ١٣٣٣هـ حتى سحقت في ١٨ مارس/٢جمادى الأولى، ثم شن الحلفاء (بريطانيا وفرنسا واستراليا ونيوزيلندا) حربهم البرية تسعة أشهر على جزيرة غاليبولي من ٢٥ أبريل سنة ١٩١٥م/جمادى الآخرة ١٣٣٣هـ حتى انسحاب آخر جندي في يناير ١٩١٦م/ربيع الأول١٣٣٤هـ!=

في المصنف عن جامع معمر، ونعيم في الفتن، بإسناد صحيح موقوفا، وله حكم الرفع، إذ مثله لا يقال بالرأي، وله شواهد مرفوعة صحيحة.

- باب: تكرر فتح المسلمين القسطنطينية حربا وسلما كلما غلب عليها الروم عسكريا أو سياسيا:

* عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قال: (تغزون القسطنطينية ثلاث غزوات، فأما غزوة واحدة: فتلقون بلاء وشدة. والغزوة الثانية: يكون بينكم وبينهم صلح، حتى يبتني فيها المسلمون المساجد، ويغزون معهم من وراء القسطنطينية، ثم يرجعون إليها. والغزوة الثالثة: يفتحها الله لكم بالتكبير، فتكون على ثلاث أثلاث، يخرب ثلثها، ويحرق ثلثها، ويقسمون الثلث الباقي كيلا).(١) رواه نعيم في الفتن بإسناد حسن لغيره.

=وقد وصفها أحد الجنود النيوزلنديين المشاركين فيها فقال: (كان الأمر مميتًا حقًا. من لم يمت في المعركة مات منتحرًا. استغرق الأمر شهورًا من الجحيم لكلا الجانبين).

وقال عنها الباحث الأكاديمي التركي هالوك أورال مفسرا كثرة القتلى: (أمضى الجانبان ثمانية أشهر ونصفًا في الجحيم. حتى أن الرسائل المكتوبة المرسلة من الجنود البريطانيين والأستراليين لمنازلهم تحدثت عن الصعوبات التي واجهوها حتى في الحصول على الغذاء، فضلًا عن المياه التي لم تكن نظيفة).

(١) ليس في هذا الحديث حصر لعدد الغزوات؛ بل إشارة إلى الثلاث غزوات الأشهر منها؛ فقد غزا المسلمون القسطنطينية إحدى عشر مرة؛ كما قال محمد فريد في "تاريخ الدولة العلية"=

=١٦٤/١: (إن المسلمين حاصروا القسطنطينية إحدى عشرة مرة قبل هذه المرة الأخيرة منها سبعة في القرنين الأولين).

وقد غزاها الترك السلاجقة وكذا صالحوا أهلها، ووضعوا حامية فيها، فقد (انتهج معظم الأباطرة البيزنطيين بعد رومانوس الرابع نهجه في الاستعانة بالأتراك كلما واجهتهم محنة، فعندما أعلن روبيل بايليل قائد قوات الفرنج المرتزقة العصيان على الدولة البيزنطية استعان ميخائيل السابع بالقوات التركية لقمع حركته، كما استعان بالأخوين منصور وسليمان، من أقارب السلطان ألب أرسلان، للقضاء على ثورة نقفور بوتانياتسى، على أن الأخوين لم يلبثا أن تخليا عن الإمبراطور ودخلا في خدمة بوتانياتس، فأنزلهما في مدينة نيقية، وعلى هذا النحو استولى الأتراك على مقاطعتي جالايتا في وسط بلاد الأناضول وفريجيا المجاورة). [انظر مقال د. علي الصلابي قادة ومواقف].

كما غزاها العثمانيون وحاصروها مرارا، وصالحوا أهلها مرارا، كما في سنة ١٣٣٣م/٧٣٣هـ حيث عقد قيصرها أندرونيكوس الثالث معاهدة صلح مع السلطان أرخان بن عثمان؛ ليضمن حياده، ويتفرغ للقوى الأخرى كالصرب والبلغار التي تحيط بالإمبراطورية البيزنطية وتهددها، مما ساعد أورخان على الاستفادة من هذه المعاهدة لتعزيز الدولة العثمانية وتوسيع حدودها حتى مضيق البسفور، وهو ما دفع البابا يوحنا الثاني والعشرين لتشكيل تحالف مع القسطنطينية وفرنسا، وشن حملة صليبية بقيادة فيليب السادس ملك فرنسا ضد أورخان بن عثمان، إلا أنها فشلت قبل بدئها بسبب اندلاع حرب المئة عام بين فرنسا وبريطانيا.

وقد دب الصراع الداخلي في العاصمة البيزنطية على العرش من سنة ١٣٤١م/٧٤٠هـ إلى ١٣٤٧م/٧٤٧هـ، بعد وفاة القيصر، بين أم الوريث الصغير الإمبراطورة آنا سافري، والوزير يوحنا كونتاكوزين الذي نصب نفسه إمبراطورا وسمّى نفسه يوحنا السادس؛ فاستعان كلا منهما بالسلطان أورخان الذي أصلح بينهما وتزوج ابنة الوزير وصار له نفوذ سياسي على القسطنطينية.

وقد استغل الصرب هذا الاضطراب فاستولوا بقيادة إستيفان دوشان على مقدونيا ونصب نفسه إمبراطورا على اليونان وألبانيا وقصد القسطنطينية؛ ليكون امبراطورا عليها، مما دفع يوحنا السادس للاستعانة مرة أخرى بالسلطان أورخان سنة ١٣٥٢م/٧٥٣هـ؛ لمواجهة هذا الخطر، واستنجدوا بقواته العسكرية لصد الهجوم إستيفان، فعبر أورخان بجيشه إلى الطرف الأوربي سنة ١٣٥٥م/٧٥٦هـ، وانفتح أمامه الطريق للتمدد في أوربا، وبعده اجتاز ابنه وولي عهده

سليمان سنة ١٣٥٧م/٧٥٨هـ بعشرين ألف مقاتل إلى الطرف الأوربي واستولى على غاليبولي؛ فصاروا يحيطون بالقسطنطينية من كل الجهات!=

=وقد استطاع السلطان مراد -بعد وفاة أخيه ولي عهد أبيه ثم وفاة أبيه سنة ١٣٦٠م/٧٦١هـ- أن يسيطر على البلقان، فازدادت القسطنطينية أمامه ضعفا، واعترف إمبراطورها له بالتبعية وتعهد بالخدمة في جيشه وجعل ابنه رهينة لدى السلطان مرادا! فتحقق ما ورد في هذا الحديث: (والغزوة الثانية يكون بينكم وبينهم صلح، حتى يبتني فيها المسلمون المساجد، ويغزون معهم من وراء القسطنطينية، ثم يرجعون إليها).

فقد كان الصلح بين الطرفين من أجل حماية القسطنطينية من الصرب، فكان العبور العثماني العسكري إلى الطرف الأوربي لغزو العدو المشترك، ثم رجعوا إلى القسطنطينية وقد زاد نفوذ السلطان عليها مراد قوة!

فيترجح أن الغزو الأول في هذا الحديث إما غزو الصحابة لها في خلافة معاوية سنة ٥٢ للهجرة، فقد حاصروها مدة طويلة حتى اشتد عليهم حصارها وهلك منهم خلق كثير، أو هو غزو مسلمة بن عبد الملك في خلافة أخيه سليمان سنة ٩٨ هجرية، وقد حاصرها إلى وفاة سليمان سنة ٩٩هـ وأمره عمر بن عبد العزيز بالرجوع عنها بعد أن جهدهم الحصار؛ كما قال ابن كثير في تاريخه ١٧٥/٩عن هذه الغزوة: (ثم أخذ في تجهيز الجيوش من الشام والجزيرة فجهز في البر مائة وعشرين ألفا، وفي البحر مائة وعشرين ألفا من المقاتلة، وأخرج لهم الأعطية، وأنفق فيهم الأموال الكثيرة، وأعلمهم بغزو القسطنطينية والإقامة إلى أن يفتحوها، ثم سار سليمان من بيت المقدس فدخل دمشق وقد اجتمعت له العساكر فأمّر عليهم أخاه مسلمة، ثم قال: سيروا على بركة الله، وعليكم بتقوى الله والصبر والتناصح والتناصف. ثم سار سليمان حتى نزل مرج دابق، فاجتمع إليه الناس أيضا من المتطوعة المحتسبين أجورهم على الله، فاجتمع له جند عظيم لم ير مثله، ثم أمر مسلمة أن يرحل بالجيوش وأخذ معه إليون الرومي المرعشي، ثم ساروا حتى نزلوا على القسطنطينية فحاصرها إلى أن برح بهم وعرض أهلها الجزية على مسلمة فأبى إلا أن يفتحها عنوة، قالوا: فابعث إلينا إليون نشاوره، فأرسله إليهم، فقالوا له: رد هذه العساكر عنا ونحن نعطيك ونملكك علينا، فرجع إلى مسلمة: فقال: قد أجابوا إلى فتحها غير أنهم لا يفتحونها حتى تتنحى عنهم، فقال مسلمة: إني أخشى غدرك، فحلف له أنه يدفع إليه مفاتيحها وما فيها، فلما تنحى عنهم أخذوا في ترميم ما تهدم من أسوارها واستعدوا للحصار، وغدر إليون بالمسلمين)، وذكر ابن كثير ما لحق الجيش من شدة؛ فقال: (وضاق الحال على المسلمين حتى أكلوا كل شيء

- باب: وقوع الملاحم العظمى بعد هدنة المسلمين مع الروم في القسطنطينية ثم غدر الروم بهم وغزوهم لهم وثورة المسلمين عليهم:

٢٨- عن عوف بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: (أتيت النبي ﷺ في غزوة تبوك وهو في قبة من أدم، فقال: اعدد ستا بين يدي الساعة: موتي، ثم فتح بيت المقدس، ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم، ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطا، ثم **فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته،** ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر، فيغدرون **فيأتونكم تحت ثمانين غاية،** تحت كل غاية اثنا عشر ألفا).[1] رواه البخاري في صحيحه.

إلا التراب، فلم يزل ذلك دأبهم حتى جاءتهم وفاة سليمان بن عبد الملك وتولية عمر بن= =عبدالعزيز، فكروا راجعين إلى الشام، وقد جهدوا جهدا شديدا، لكن لم يرجع مسلمة حتى بنى مسجدا بالقسطنطينية شديد البناء، محكما رحب الفناء، شاهقا في السماء).

والغزو الثاني المذكور في الحديث يحتمل أنه غزو الترك السلاجقة أو العثمانيين لها، فقد حاصروها قبل محمد الفاتح أربع مرات، ثم صالحوا أهلها، وقاتلوا معهم عدوا من ورائهم؛ كما جرى مع أرخان وابنه مراد، ثم الغزو الثالث فتح محمد الفاتح لها.

(١) قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٦/ ٢٧٨ - وقد توفي سنة ٨٥٢ هج - ١٤٥٣ م قبل فتح محمد الفاتح للقسطنطينية بخمس سنين - عن حديث عوف هذا وما فيه من النبوءات المستقبلية: (العقاص داء يأخذ في الصدر كأنه يكسر العنق، ويقال إن هذه الآية ظهرت في طاعون عمواس في خلافة عمر وكان ذلك بعد فتح بيت المقدس، قوله ثم استفاضة المال؛ أي: كثرته، وظهرت في خلافة عثمان عند تلك الفتوح العظيمة.

والفتنة المشار إليها افتتحت بقتل عثمان واستمرت الفتن بعده، والسادسة لم تجيء بعد.=
=قوله هدنة بضم الهاء وسكون المهملة بعدها نون: هي الصلح على ترك القتال بعد التحرك فيه.

قوله "بني الأصفر": هم الروم.

قوله: غاية أي راية، وسميت بذلك؛ لأنها غاية المتبع إذا وقفت وقف ووقع في حديث ذي مخبر بكسر الميم وسكون المعجمة وفتح الموحدة عند أبي داود في نحو هذا الحديث بلفظ راية بدل غاية وفي أوله "ستصالحون الروم صلحا أمنا، ثم تغزون أنتم وهم عدوا فتنصرون، ثم تنزلون مرجا فيرفع رجل من أهل الصليب الصليب؛ فيقول: غلب الصليب، فيغضب رجل من المسلمين فيقوم إليه فيدفعه، فعند ذلك تغدر الروم ويجتمعون للملحمة فيأتون" فذكره.

ولابن ماجه من حديث أبي هريرة مرفوعا: "إذا وقعت الملاحم بعث الله بعثا من الموالي يؤيد الله بهم الدين"، وله من حديث معاذ بن جبل مرفوعا "الملحمة الكبرى وفتح القسطنطينية وخروج الدجال في سبعة أشهر" وله من حديث عبد الله بن بسر رفعه: "بين الملحمة وفتح المدينة ست سنين ويخرج الدجال في السابعة"، وإسناده أصح من إسناد حديث معاذ، قال ابن الجوزي رواه بعضهم غابة بموحدة بدل التحتانية والغابة الأجمة كأنه شبه كثرة الرماح بالأجمة، وقال الخطابي الغابة الغيضة فاستعيرت للرايات ترفع لرؤساء الجيش لما يشرع معها من الرماح وجملة العدد المشار إليه تسعمائة ألف وستون ألفا، ولعل أصله ألف ألف فألغيت كسوره ووقع مثله في رواية ابن ماجه من حديث ذي مخبر ولفظه: "فيجتمعون للملحمة فيأتون تحت ثمانين غاية تحت كل غاية اثنا عشر ألفا". ووقع عند الإسماعيلي من وجه آخر عن الوليد بن مسلم قال تذاكرنا هذا الحديث وشيخا من شيوخ المدينة فقال أخبرني سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أنه كان يقول في هذا الحديث مكان فتح بيت المقدس "عمران بيت المقدس" قال المهلب فيه أن الغدر من أشراط الساعة، وفيه أشياء من علامات النبوة قد ظهر أكثرها.

وقال ابن المنير: أما قصة الروم فلم تجتمع إلى الآن، ولا بلغنا أنهم غزوا في البر في هذا العدد فهي من الأمور التي لم تقع بعد، وفيه بشارة ونذارة وذلك أنه دل على أن العاقبة للمؤمنين مع كثرة ذلك الجيش، وفيه إشارة إلى أن عدد جيوش المسلمين سيكون أضعاف ما هو عليه، ووقع في رواية للحاكم من طريق الشعبي عن عوف بن مالك في هذا الحديث أن عوف بن مالك قال لمعاذ في طاعون عمواس: أن رسول الله ﷺ قال لي: اعدد ستا بين يدي الساعة؛ فقد وقع منهن

٢٩- عن جبير بن نفير، عن ذي مخبر ابن أخي النجاشي، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (تصالحون الروم صلحا آمنا حتى تغزوا أنتم وهم عدوا من ورائهم فتنصرون وتغنمون وتنصرفون، حتى تنزلوا بمرج ذي تلول، فيقول قائل من الروم: غلب الصليب، ويقول قائل من المسلمين: بل الله غلب، فيثور المسلم إلى صليبهم وهو منه غير بعيد فيدقه، وتثور الروم إلى كاسر صليبهم، فيضربون عنقه، **ويثور المسلمون إلى أسلحتهم فيقتتلون، فيكرم الله تلك العصابة من المسلمين بالشهادة**، فتقول الروم لصاحب الروم: كفيناك العرب، فيجتمعون للملحمة، **فيأتونكم تحت ثمانين غاية** تحت كل غاية اثنا عشر ألفا).[(١)] رواه أحمد وأبو داود وابن حبان في صحيحه واللفظ له والحاكم وقال: (صحيح الإسناد).

ثلاث يعني موته ﷺ وفتح بيت المقدس والطاعون، قال: وبقي ثلاث، فقال له معاذ: إن لهذا أهلا..).

قلت: وكل ذلك تحقق بعد وفاة هؤلاء الأئمة وبعد وفاة الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ بخمس سنوات فإنه توفي سنة ٨٥٢ هجرية، وفتحت القسطنطينية سنة ٨٥٧ هجرية، وتجدد شباب الإسلام، وصارت عساكره تملأ الأرض عددا وعدة وتنظيما وقوة!

(١) هذه الأحاديث نبوءة عن الحملة الصليبية الأمريكية التي أطلقها بوش سنة ٢٠٠١م/١٤٢٢هـ، وأتبعها باحتلال أفغانستان والعراق ثم الشام بالتعاون مع روسيا وإيران، ونقضه للمعاهدات التي تمنع الغزو والاحتلال! وإطلاقه الحملة الدولية للقضاء على المجاهدين العرب، الذين رفعوا شعار كسر الصليب وإخراجه من جزيرة العرب، فلما توقع الروم أنهم قضوا على المجاهدين

العرب وكفوا العالم مؤنتهم؛ جاءت ثورة الشعوب العربية عليهم، فجاءوا بجيوشهم الصليبية لقمعها، وما تزال الملاحم بين الفريقين قائمة، حتى يحرر الله أرض الإسلام من رجسهم!=

=وكل الحملات الصليبية الغربية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم كانت في الأصل من أجل السيطرة والعلو في الأرض ومن أجل (السلطة والثروة)، ويتم استخدام الديانة النصرانية لتجييش الشعوب الغربية لتبرير هذه الحروب؛ كما فعل بوش حين صرح قبل غزو أفغانستان والعراق بأن حربه ستكون صليبية؛ ليلهب حماس الكنائس المسيحية التي تمثل من حيث النفوذ والقوة والأتباع في أمريكا ثاني قوة مجتمعية منظمة، وتأتي بعدها القوى الصهيونية، بينما تمثل الأحزاب السياسية والقوى الرأسمالية القوة الأولى، فلا تستغني الرأسمالية الإمبريالية في تحقيق أهدافها عن دعم القوى الصليبية والصهيونية، ومن هنا تتجلى الحقيقة القرآنية ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾ ﴿لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾، وفي الحديث: (فارس نطحة أو نطحتان ثم لا فارس بعدها، ولكن الروم ذات القرون كلما ذهب قرن خلفه قرن)، وكما جاء في هذا الحديث الصحيح: (تصالحون الروم صلحا آمنا حتى تغزوا أنتم وهم عدوا من ورائهم، فتنصرون وتغنمون وتنصرفون، حتى تنزلوا بمرج ذي تلول، فيقول قائل من الروم: غلب الصليب، ويقول قائل من المسلمين: بل الله غلب فيثور المسلم إلى صليبهم وهو منه غير بعيد فيدقه، وتثور الروم إلى كاسر صليبهم، فيضربون عنقه، ويثور المسلمون إلى أسلحتهم فيقتتلون، فيكرم الله تلك العصابة من المسلمين بالشهادة، فتقول الروم لصاحب الروم: كفيناك العرب، فيجتمعون للملحمة، فيأتونكم تحت ثمانين غاية تحت كل غاية اثنا عشر ألفا).

ففيه وفي غيره من الأحاديث الصحيحة المتواترة أن الصراع مع الروم سيظل قائما إلى قيام الساعة، وسيظل رفع الصليب شعارهم؛ مهما كانت الأسباب الحقيقية للصراع، فالصليبية ليست فقط ديانة؛ بل ثقافة وتاريخ وهوية لا تجد الشعوب الغربية نفسها خارجها؛ حتى وإن كانت شيوعية أو علمانية ليبرالية!

ولهذا رفضت دول الاتحاد الأوربي انضمام تركيا العلمانية؛ لتظل أوربا ناديا مسيحيا؛ كما صرح الرؤساء الأوربيون أنفسهم!

وهذا الحديث يشير إلى حوادث تكررت وقد تتكرر في المستقبل؛ ومن ذلك: أن الحملات الصليبية الأولى نجحت في هزيمة العرب في الشام وأقاموا مملكتهم فيها من الرها وأنطاكية شمالا حتى القدس والعريش جنوبا، وظنوا أنهم كفوا من وراءهم مؤونة مواجهة العرب، وقالوا غلب

الصليب، حتى ثار عليهم المسلمون الترك؛ وما زالوا يجاهدونهم حتى طهروا الشام والقدس منهم،= =وظل الترك العثمانيون يحمونها حتى سقطت تحت الاحتلال البريطاني الفرنسي بعد الحرب العالمية الأولى بمساعدة العرب لهم!

كما يحتمل أن يكون المراد ما جرى من صلح وتحالف بين الخلافة العثمانية وبريطانيا وغيرها، والذي دام مدة طويلة، وسمّته أوربا حلف الشر، وقد استطاعت الخلافة العثمانية التمدد في القارة الأوربية، حتى غدرت بريطانيا ومن معها ونقضت معاهدة برلين ١٨٧٨م/١٢٩٥هـ بين الخلافة العثمانية وروسيا وبريطانيا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا والنمسا والمجر على وقف الحرب الروسية العثمانية؛ فغزتها الدول الصليبية واحتلتها في الحرب العالمية الأولى، ثم تصالحت معها على وقف الحرب في مؤتمر فرساي، ثم غدروا بها، وأعانوا اليونان عليها، ثم تصالحوا معها، وظل الصلح قائما، حتى اصطفت تركيا والمسلمون مع أوربا وأمريكا طوال الحرب الباردة لمواجهة الروس والشيوعية، ووقفوا مع الأفغان في جهادهم ضد الاتحاد السوفيتي، ثم لما هزموا الروس الشيوعيين، غدروا بالمسلمين وغزوهم؛ فاحتلوا أفغانستان ثم العراق، بعد إعلان بوش الثاني سنة ٢٠٠١م/١٤٢٢هـ بأنها ستكون حربا صليبية، ثم جاء الروس بمباركة بابا الأرثوذكس لاحتلال سوريا في حرب صليبية.

وقد تصدى لهم المجاهدون العرب تحت شعار كسر الصليب، وإخراج النصارى من جزيرة العرب، وشنت عليهم حرب دولية، حتى إذا ظنوا أنهم فرغوا منهم وقضوا على العرب وشوكتهم وهم المجاهدون، وتوهموا أن الصليب غلب؛ ثار العرب كلهم في الثورة العربية أواخر سنة ٢٠١٠م/١٤٣٢هـ وحملوا سلاحهم؛ فتداعت عليهم الأمم الصليبية والوثنية، وحدثت الملحمة العظمى التي ما تزال قائمة حتى اليوم، حتى إذا كادوا يقضون عليهم؛ نهض المسلمون الترك مرة أخرى فأمدوهم ونصروهم!

ومهما ادعت أوربا العلمانية والليبرالية والشيوعية؛ فستظل نصرانية صليبية!

وهي منذ وحدها قسطنطين بالنصرانية وهي تقوم على أساس (دع ما لله لله وما لقيصر لقيصر)؛ ولهذا صدق فيهم قول ابن تيمية: (تروم النصارى ولم يتنصر الرومان)!

فالنصرانية ومنذ أن أصبحت دينا للإمبراطورية الرومانية في عهد قسطنطين الأول - وبعد مجمع نيقيا سنة ٣٢٥م وفرض قسطنطين عقيدة التثليث الوثنية ونبذ عقيدة آريوس التوحيدية- بهدف توحيد شعوب أوربا الوثنية تحت سلطة القيصر باسم الدين: والنصرانية تفصل بين سلطانها الروحي، وسلطان القيصر الذي تخضع له سياسيا، إلا حين يضعف

الإمبراطور ويزداد نفوذ البابا. والدولة العلمانية الحديثة هي امتداد للعلمانية القيصرية، التي= =تفصل بين سلطة القيصر السياسية، وسلطة البابا الروحية، ويعد قسطنطين وإرثه السياسي النموذج، ونقطة البداية في تاريخ العلمانية الأوربية، وما زالت أوربا حتى اليوم تقوم على هذا الفصل، وما يزال ملك بريطانيا يرأس الكنيسة!

وما زالت أمريكا (تستظل بخيمة الرب) كما يزعم الرئيس الأمريكي نيكسون في كتابه (الفرصة السانحة)، وما يزال إعلان بوش الابن قبل غزوه أفغانستان ثم العراق (سوف تكون حملة صليبية) يشكل الواقع اليوم في العالم العربي حتى جاء ترامب وفرض الصليبية الوثنية على شعوب الخليج والجزيرة العربية!

وعادت الروم من جديد بصلبانها لهدم ملة إبراهيم ونسخ دين محمد ﷺ الحنيفية في أرضها كما فعل أبرهة الحبشي حين غزا مكة لإقامة كنيسته وصليبه!

حتى قال عبد المطلب:

لا هم أن العبـــد يمنع رحله فامنـع حلالك

وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك

لا يغلبن صليبهم ومحالهم أبدا محالك!

وتحقق ما أخبر عنه النبي ﷺ كما في مسند أحمد وأبي داود وصحيح ابن حبان والحاكم: (تصالحون الروم صلحا آمنا حتى تغزوا أنتم وهم عدوا من ورائهم فتنصرون وتغنمون وتنصرفون، حتى تنزلوا بمرج ذي تلول، فيقول قائل من الروم: غلب الصليب، ويقول قائل من المسلمين: بل الله غلب فيثور المسلم إلى صليبهم وهو منه غير بعيد فيدقه، وتثور الروم إلى كاسر صليبهم، فيضربون عنقه، ويثور المسلمون إلى أسلحتهم فيقتتلون، فيكرم الله تلك العصابة من المسلمين بالشهادة، فتقول الروم لصاحب الروم: كفيناك العرب، فيجتمعون للملحمة، فيأتونكم تحت ثمانين غاية تحت كل غاية اثنا عشر ألف).

وهو ما تراه الأمة رأي العين منذ الثورة العربية حتى اليوم!

وقد جاءوا في حملة بوش على أفغانستان ثم العراق في ثمانين راية تحت كل راية اثنا عشر ألف مقاتل، وشارك في حرب احتلال العراق ٣٣ دولة، وبلغ تعداد المقاتلين نحو مليون جندي!

وكانت مدة استعدادهم لشن حربهم الصليبية هذه على العراق منذ قرع طبولها نحو تسعة أشهر مدة حمل المرأة!

❊ ورواه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني ولفظه: (تصالحون الروم عشر سنين صلحا آمنا يفون سنتين، ويغدرون في الثالثة، أو يفون أربعا، ويغدرون في الخامسة، فينزلون جيشا منكم في مدينتهم، فتغزون أنتم وهم عدوا من ورائكم وورائهم، فتقتلون ذلك العدو، فيفتح الله عز وجل لكم فتنصرفون بما أصبتم من أجر وغنيمة، فتنزلون بمرج ذي تلول، فيقول قائلكم: الله عز وجل غلب، ويقول قائلهم: الصليب غلب، فيتقاولونها ساعة فيغضب المسلمون، وصليبهم منهم غير جد بعيد، **فيثور رجل من المسلمين إلى صليبهم فيدقه، ويثبون إلى كاسر صليبهم فيضربون عنقه، فتثور تلك العصابة من المسلمين إلى أسلحتهم، ويثور الروم إلى أسلحتهم، فيقتلون تلك العصابة من المسلمين فيستشهدون**، فيأتون ملكهم فيقولون قد كفيناك حر العرب وبأسهم، فماذا تنتظر، **فيجمع لكم قدر حمل امرأة ثم يأتيكم تحت ثمانين راية** تحت كل راية اثنا عشر ألفا).

وأكرم الله العصابة التي تصدت لهم من المجاهدين العرب بالشهادة حتى لم يبق أحد منهم إلا واستشهد حتى تتبعتهم الحملة الصليبية جماعات وأفرادا بالطائرات بلا طيار في رؤوس الجبال= =من أفغانستان حتى اليمن إلى ليبيا وامتلأت سجونهم منهم! واصطف المنافقون والمخذولون والمخذّلون مع دول الصليب وتحت راية المسيح الدجال بدعوى مكافحة التطرف والإرهاب!

* ورواه أيضا بلفظ: (تصطلحون أنتم والروم صلحا آمنا عشر سنين ثم يغدرونكم في السنة الثالثة أو الخامسة، فينزل في ذلك الصلح جيش منكم في مدينتهم ثم تغزون معهم عدوا من ورائهم، فيرجعون سالمين غانمين، حتى تنزلوا في مرج ذي تلول؛ فيقول قائلهم: غلب الصليب، ويقول قائلكم: غلب الله عز وجل؛ فيتداولونها بينهما والصليب منهم غير بعيد، فيقوم صاحبكم إلى الصليب فيكسره، فيقومون إليه فيقتلونه؛ فتنهضون إلى سلاحكم، وينهضون إلى سلاحهم؛ فيهزم الله عز وجل تلك العصابة من المسلمين فلا ينجو منهم مخبر، فيرجعون إلى ملكهم؛ فيقولون قد كفيناك حرب العرب وبأسهم، **فيجمعون لكم قدر حمل المرأة تسعة أشهر، ثم يقبلون إليكم تحت ثمانين غاية** تحت كل غاية اثنا عشر ألفا. قال رسول الله ﷺ: فتلك الملحمة العظمى)[(١)].

(١) هذه الروايات وهذا الصلح عشر سنين والغدر الذي تلاه واجتماع الجيوش الصليبية حدث مثله في عهد السلطان مراد الثاني؛ كما في تاريخ الدولة التركية - لمؤميد أحمد غازي ص ٧٥ - وفيه: (وأما فيما يتعلق بجبهة المجر، فقد استطاع العثمانيون في (٨٤٢هـ / ١٤٣٨م) أن يهزموا المجريين وأن ويأسروا منهم سبعين ألف جندي ويستولوا على بعض المواقع، ثم تقدم الجيش العثماني لفتح بلغراد عاصمة الصرب؛ ولكنه أخفق في محاولته وسرعان ما تكون حلف صليبي كبير باركه البابا واستهدف هذا الحلف طرد العثمانيين من أوربا كلية. وشمل الحلف البابوية والمجر وبولندا والصرب وبلاد الأفلاق وجنوة والبندقية والإمبراطورية البيزنطية ودوقية برجنديا، وانضمت إلى الحلف أيضاً كتائب من الألمان والتشيك. وأعطيت قيادة قوات الحلف الصليبي إلى

قائد مجري قدير هو يوحنا هنيادي. وقد قاد هنيادي القوات الصليبية البرية وزحف جنوبا واجتاز الدانوب وأوقع بالعثمانيين هزيمتين فادحتين عام (٨٤٦ هج / ١٤٤٢م)، واضطر العثمانيون إلى طلب الصلح وأبرمت معاهدة صلح لمدة عشر سنوات في "سيزجادن" وذلك في= =شهر يوليو عام (١٤٤٤م/ ٨٤٨ هج) تنازل فيها عن الصرب واعترف "بجورج برانكوفيتش" أميرًا عليها، كما تنازل السلطان مراد عن الافلاق للمجر، وافتدى زوج ابنته "محمود شلبي" الذي كان قائدًا عامًّا للجيوش العثمانية، بمبلغ ٦٠ ألف دوقية. وقد حررت هذه المعاهدة باللغتين العثمانية والمجرية وأقسم "لاديسلاسي" ملك المجر على الإنجيل؛ كما اقسم السلطان مراد بالقرآن على أن تراعي شروط المعاهدة بذمة وشرف.

وحين فرغ مراد من عقد الهدنة مع أعدائه الاوروبيين عاد إلى الأناضول وفجع بموت ابنه الأمير علاء واشتد حزنه عليه، وزهد في الدنيا والملك ونزل عن السلطنة لابنه محمد، وكان إذ ذاك في الرابعة عشرة من عمره، ولصغر سنه أحاطه والده ببعض أهل الرأي والنظر من رجال دولته ثم ذهب إلى مغنيسيا في آسيا الصغرى ليقضي بقية حياته في عزلة وطمأنينة ويتفرغ في هذه إلى عبادة الله والتأمل في ملكوته بعد أن أطمأن إلى استتباب الأمن والسلام في أرجاء دولته ولم يستمتع السلطان طويلًا بهذه الخلوة والعبادة، حيث قام الكاردينال سيزاريني وبعض أعوانه بالدعوة إلى نقض العهود مع العثمانيين وطردهم عن أوربا خصوصًا وأن العرش العثماني قد تركه السلطان مراد لابنه الفتى الذي لا خبرة له ولا خطر منه وقد اقتنع البابا أوجين الرابع بهذه الفكرة الشيطانية وطلب من النصارى، نقض العهد، ومهاجمة المسلمين وبين للنصارى أن المعاهدة التي عقدت مع المسلمين باطلة؛ لأنها عقدت بدون إذن البابا وكيل المسيح في الأرض، وكان الكاردينال سيزاريني عظيم النشاط دائم الحركة لا يكل عن العمل، يجد ويسعى للقضاء على العثمانيين؛ ولذلك كان يزور ملوك النصارى وزعمهم ويحرضهم على نقض المعاهدة مع المسلمين ويقنع كل من يعترض عليه نكث المعاهدة، ويقول له أنه باسم البابا يبرئ ذمتهم من نكثها ويبارك جنودهم وأسلحتهم، وعليهم ان يتبعوا طريقه فان طريق المجد والخلاص ومن نازعه ضميره بعد ذلك وخشي الإثم فإنه يحمل عنه وزره وإثمه.

لقد نقض النصارى عهودهم، وحشدوا الجيوش لمحاربة المسلمين، وحاصروا مدينة " فارنا " البلغارية الواقعة على ساحل البحر الأسود، والتي كانت قد تحررت على أيدي المسلمين... وعندما تحرك النصارى وزحفوا نحو الدولة العثمانية وسمع المسلمون في أدرنة بحركة الصليبيين وزحفهم انتابهم الفزع والرعب، وبعث رجال الدولة الى السلطان مراد يستعجلون قدومه لمواجهة

٣٠- عن الشعبي، عن عوف بن مالك الأشجعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال عوف: (بينا نحن مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، ورسول الله ﷺ في قبة من أدم، إذ مررت فسمع صوتي، فقال: يا عوف بن مالك ادخل، فقلت: يا رسول الله، أكلي أم بعضي؟ فقال: بل كلك، قال:

هذا الخطر، وخرج السلطان المجاهد من خلوته ليقود جيوش العثمانيين ضد الخطر الصليبي. واستطاع مراد أن يتفق مع الأسطول الجنوي لينقل أربعين ألفًا من الجيش العثماني من آسيا إلى أوروبا تحت سمع الأسطول الصليبي وبصره في مقابل دينار لكل جندي.=

=وأسرع السلطان مراد في السير فوصل وارنه في نفس اليوم الذي وصل فيه الصليبيون. وفي اليوم التالي نشبت المعركة بين الجيشين النصراني والإسلامي وكانت عنيفة حامية، وقد وضع السلطان مراد المعاهدة التي نقضها أعداؤه على رأس رمح ليشهدهم ويشهد السماء والأرض على الغدر والعدوان وليزيد حماس جنده. واقتتل الفريقان، ودارت بينهما معركة رهيبة كاد يكون فيها النصر للنصارى نتيجة حميتهم الدينية وحماسهم الزائد إلا أن تلك الحمية والحماس الزائد اصطدم بالروح الجهادية لدى العثمانيين، والتقى الملك "لاديسلاس " ناقض العهود مع السلطان مراد الوفي بالعهود وجها لوجه واقتتلا، ودارت بينهما معركة رهيبة، تمكن السلطان المسلم من قتل الملك المجري النصراني، فقد عاجله بضربة قوية من رمحه اسقطته من على ظهر جواده فأسرع بعض المجاهدين وجزوا راسه ورفعوه على رمح مهللين مكبرين وفرحين وصاح أحد المجاهدين في العدو " أيها الكفار هذا رأس ملككم" وكان لذلك المنظر أثر شديد على جموع النصارى، فاستحوذ عليهم الفزع والهلع، فحمل عليهم المسلمون حملة قوية؛ بددت شملهم وهزموهم شر هزيمة، وولى النصارى مدبرين يدفع بعضهم ولم يطارد السلطان مراد عدوه واكتفى بهذا الحد من النصر وإنه لنصر عظيم)!

وبعد هذا النقض للعهد فُتحت القسطنطينية؛ كما بشّرت بذلك الأحاديث الأخرى وآخر الحديث يتحدث عن العرب خاصة وفراغ الروم منهم، وهو ما حدث منذ سقوط الخلافة حتى هذا اليوم!

فدخلت، فقال: يا عوف، اعدد ستا بين يدي الساعة، فقلت: ما هن يا رسول الله؟ قال: موت رسول الله، فبكى عوف، ثم قال رسول الله ﷺ: قل: إحدى، قلت: إحدى، ثم قال: وفتح بيت المقدس، قل: اثنين " قلت: اثنين، قال: وموت يكون في أمتي كعقاص الغنم، قل: ثلاث ، قلت: ثلاث، قال: وتفتح لهم الدنيا حتى يعطى الرجل المائة فيسخطها، قل: أربع ، قلت: أربع، **وفتنة لا يبقى أحد من المسلمين إلا دخلت عليه بيته**، قل: خمس، قلت: خمس، **وهدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر يأتونكم على ثمانين غاية، كل غاية اثنا عشر ألفا، ثم يغدرون بكم حتى حمل امرأة**، قال: فلما كان عام عمواس زعموا أن عوف بن مالك قال لمعاذ بن جبل: إن رسول الله ﷺ، قال لي: اعدد ستا بين يدي الساعة، فقد كان منهن الثلاث وبقي الثلاث، فقال معاذ: إن لهذا مدة ولكن خمس أظللنكم من أدرك منهن شيئا ثم استطاع أن يموت فليمت: أن يظهر التلاعن على المنابر، ويعطى مال الله على الكذب والبهتان، وسفك الدماء بغير حق، وتقطع الأرحام، ويصبح العبد لا يدري أضال هو أم مهتد). رواه الحاكم، وقال: (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه بهذه السياقة)، ووافقه الذهبي.

❋ ورواه أحمد والبزار بإسناد صحيح من طريق عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه عن عوف وقال في السادسة: (والسادسة: هدنة تكون بينكم، وبين بني الأصفر، **فيجمعون لكم على ثمانين غاية**، قلت: ما الغاية؟ قال: الراية تحت كل راية اثنا عشر ألفا، **فسطاط المسلمين يومئذ بمدينة يقال لها الغوطة في مدينة يقال لها: دمشق**).

❋ وعن أبي إدريس الخولاني، يقول: سمعت عوف بن مالك الأشجعي، وعن المقبري عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال عوف: (أتيت رسول الله ﷺ في غزوة تبوك وهو في قبة من أدم، فقال لي: يا عوف اعدد ستا بين يدي الساعة: موتي، ثم فتح بيت المقدس، ثم موتان يأخذ فيكم كعقاص الغنم، ثم استفاضة المال فيكم حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطا، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته، ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين غاية اثنا عشر ألفا).

قال الوليد بن مسلم: فذاكرنا هذا الحديث شيخا من شيوخ أهل المدينة. قوله: ثم فتح بيت المقدس، فقال الشيخ: أخبرني سعيد المقبري، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه كان يحدث بهذه الستة عن رسول الله ﷺ ويقول بدل

فتح بيت المقدس: (عمران بيت المقدس). رواه الحاكم في صحيحه، وقال: (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه بهذه السياقة) ووافقه الذهبي.

❋ عن أبي قبيل، عن غير واحد، من أصحاب رسول الله ﷺ قال: (يكون بين المسلمين وبين الروم هدنة على أن يبعث المسلمون إليهم جيشا يكون بالقسطنطينية غوثا لهم، فيأتيهم عدو من ورائهم يقاتلونهم، فيخرج إليهم المسلمون والروم معهم، فينصرهم الله عليهم ويهزمونهم ويقتلونهم، فيقول قائل من الروم: غلب الصليب، ويقول قائل من المسلمين: بل الله غلب، فيتراجع القوم ذلك بينهم، فيقوم المسلم إلى الرومي فيضرب عنقه، فتنتكث الروم حتى إذا رجعوا إلى القسطنطينية وأمنوا قتلوهم وهم آمنون، فإذا قتلوهم عرفوا أن المسلمين سيطلبونهم بدمائهم، فيخرج الروم على ثمانين غياية، تحت كل غياية اثنا عشر ألفا " قال أبو قبيل: فإذا جاءت الروم لم يكن للناس بعدهم قوام، ومعهم يومئذ الترك وبرجان والسقالبة). رواه نعيم في الفتن بإسناد حسن لغيره.

- باب: فتح القسطنطينية الأخير بين يدي الساعة ونزول المسيح عيسى بن مريم وقتله المسيح الدجال:

٣١- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ، قال: (لا تقوم الساعة حتى تنزل الروم بالأعماق، أو بدابق [قرب حلب]، فيخرج إليهم جيش من أهل المدينة، هم خيار أهل الأرض يومئذ، فإذا تصافوا، قالت الروم: خلوا بيننا وبين الذين سُبوا منا نقاتلهم، فيقول المسلمون: لا والله لا نخلي بينكم وبين إخواننا، فيقاتلونهم، فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبدا، ثم يقتل ثلثهم وهم أفضل الشهداء عند الله، ويفتتح ثلث **فيفتتحون القسطنطينية،** فبينما هم يقسمون الغنائم، قد علقوا سيوفهم بالزيتون، إذ صاح فيهم الشيطان إن المسيح قد خلفكم في أهاليكم، فيخرجون، وذلك باطل، فإذا جاؤوا الشام خرج -يعني الدجال- فبينما هم يعدون للقتال، ويسوون الصفوف، إذ أقيمت الصلاة، فينزل عيسى ابن مريم، فإذا رآه عدو الله يذوب كما يذوب الملح، ولو تركوه لذاب حتى يهلك، ولكنه يقتله الله بيده، فيريهم دمه بحربته).[(١)] رواه مسلم في صحيحه.

---

(١) هذا الحديث من أشراط الساعة، وفيه بشارات ونذارات؛ ومن بشاراته: عودة المدينة النبوية إلى سابق عهدها؛ لتكون عاصمة للخلافة الراشدة من جديد، تخرج منها جيوش الفتح الإسلامي=

=للدفاع عن الشام. وفيه إشارة لما ستتعرض له إسطنبول مرة أخرى من خطر الروم؛ كما جرى لها في الحرب العالمية الأولى حين تحالف ضدها الروس الأرثوذكس، والإنجليز البروستانت، والفرنسيون الكاثوليك، حتى احتلوها وأسقطوا العالم الإسلامي كله قرنا كاملا!

كما فيه بقاء العلاقة الوثيقة بين العواصم الإسلامية الثلاث: المدينة وإسطنبول ودمشق، إلى قيام الساعة، وضرورة تحريرها وتوحيدها!

وفيه إشارة إلى الظاهرة التي تتكرر في كل عصور الإسلام وفي أحلك الظروف، وهو وجود الطائفة التي تنهض به كلما ضعف عن القيام به الجميع، وهم الثلث الذي يضحون في سبيل الله بأنفسهم وأموالهم، وهم خير الشهداء؛ كما في الصحيح: (لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين، لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى يقاتل آخرهم الدجال).

كما سيكون فيهم دائما طائفة مخذّلة مخذولة تتخلى عن الإسلام أحوج ما يكون إلى التضحية في سبيل الله؛ فينهزمون حين تكون المواجهة، كما انهزم المنافقون يوم أحد، وكانوا ثلث الجيش!

وطائفة ثالثة يفتح الله عليها، ويحقق النصر على يديها!

قال النووي في شرحه لصحيح مسلم ١٨/ ٢١: (والأعماق ودابق موضعان بالشام بقرب حلب قوله ﷺ: "قالت الروم خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا" روي سبوا على وجهين فتح السين والباء وضمهما، قال القاضي في المشارق: الضم رواية الأكثرين، قال: وهو الصواب، قلت: كلاهما صواب، لأنهم سبوا أولا، ثم سبوا الكفار، وهذا موجود في زماننا، بل معظم عساكر الإسلام في بلاد الشام ومصر سبوا ثم هم اليوم بحمدالله يسبون الكفار، وقد سبوهم في زماننا مرارا كثيرة، يسبون في المرة الواحدة من الكفار ألوفا، ولله الحمد على إظهار الإسلام وإعزازه، قوله ﷺ: (فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم) أي: لايلهمهم التوبة، قوله ﷺ: (فيفتتحون قسطنطينية) وهي مدينة مشهورة من أعظم مدائن الروم).

- باب: في فضل جيش القسطنطينية بعد فتحها الأخير وقتالهم الروم وأنهم خير فوارس أهل الأرض:

٣٢- عن أسير بن جابر، هاجت ريح حمراء بالكوفة، فجاء رجل ليس له هجيرى إلا: يا عبد الله بن مسعود جاءت الساعة، قال: فقعد وكان متكئا، فقال: (إن الساعة لا تقوم، حتى لا يقسم ميراث، ولا يفرح بغنيمة، ثم قال: بيده هكذا -ونحاها نحو الشأم- فقال: عدو يجمعون لأهل الإسلام، ويجمع لهم أهل الإسلام، قلت: الروم تعني؟ قال: نعم، وتكون عند ذاكم القتال ردة شديدة، فيشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل، فيفيء هؤلاء وهؤلاء، كل غير غالب، وتفنى الشرطة، ثم يشترط المسلمون شرطة للموت، لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل، فيفيء هؤلاء وهؤلاء، كل غير غالب، وتفنى الشرطة، ثم يشترط المسلمون شرطة للموت، لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون حتى يمسوا، فيفيء هؤلاء وهؤلاء، كل غير غالب، وتفنى الشرطة، فإذا كان يوم الرابع، نهد إليهم بقية أهل الإسلام، فيجعل الله الدبرة عليهم، فيقتلون مقتلة -إما قال لا يرى مثلها، وإما قال لم ير مثلها- حتى إن الطائر ليمر بجنباتهم، فما يخلفهم حتى يخر ميتا، فيتعاد بنو الأب، كانوا مائة، فلا يجدونه

بقي منهم إلا الرجل الواحد، فبأي غنيمة يفرح؟ أو أي ميراث يقاسم، فبينما هم كذلك إذ سمعوا ببأس، هو أكبر من ذلك، فجاءهم الصريخ، إن الدجال قد خلفهم في ذراريهم، فيرفضون ما في أيديهم، ويقبلون، فيبعثون عشرة فوارس طليعة، قال رسول الله ﷺ: إني لأعرف أسماءهم وأسماء آبائهم، وألوان خيولهم، هم خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ - أو من خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ-). رواه مسلم في صحيحه.

❋ ورواه ابن حبان في صحيحه مطولا وفيه ذكر فتح القسطنطينية، ولفظه قال عبد الله: (ويحك، إن الساعة لا تقوم حتى لا يقسم ميراث، ولا يفرح بغنيمة، ثم ضرب بيده إلى الشام وقال: عدو يجتمع للمسلمين من هاهنا فيلتقون، فتشترط شرطة الموت: لا ترجع إلا وهي غالبة، فيقتتلون حتى تغيب الشمس؛ فيفيء هؤلاء وهؤلاء، وكل غير غالب، وتفنى الشرطة ثم تشترط الغد شرطة الموت: لا ترجع إلا وهي غالبة فيقتتلون حتى تغيب الشمس، فيفيء هؤلاء وهؤلاء، وكل غير غالب، وتفنى الشرطة ثم تشترط الغد شرطة الموت في اليوم الثالث: لا ترجع إلا وهي غالبة، فيقتتلون حتى تغيب الشمس فيفيء هؤلاء وهؤلاء، وكل غير غالب وتفنى الشرطة، ثم يلتقون في اليوم الرابع، فيقاتلونهم ويهزمونهم حتى تبلغ الدماء نحر الخيل،

ويقتتلون حتى إن بني الأب، كانوا يتعادون على مائة، فيقتلون حتى لا يبقى منهم رجل واحد، فأي ميراث يقسم بعد هذا وأي غنيمة يفرح بها، ثم يستفتحون القسطنطينية، فبينما هم يقسمون الدنانير بالترسة، إذ أتاهم فزع أكبر من ذلك: إن الدجال قد خرج في ذراريكم، فيرفضون ما في أيديهم ويقبلون، ويبعثون طليعة فوارس، قال رسول الله ﷺ: هم يومئذ خير فوارس الأرض إني لأعلم أسماءهم وأسماء آبائهم وقبائلهم وألوان خيولهم). رواه ابن حبان في صحيحه.

❊ ورواه عبد الرزاق في المصنف عن جامع معمر عن أيوب عن حميد بن هلال عن رجل سماه، عن ابن مسعود، قال: (إنا لجلوس عنده بالكوفة إذ هاجت ريح حمراء، فجعل الناس يقولون: قامت الساعة، حتى جاء رجل ليس له هجيرى، يقول: قد قامت الساعة يا ابن مسعود، قد قامت الساعة يا ابن مسعود! فاستوى جالسا وغضب، وكان متكئا، فقال: والله لا تقوم الساعة حتى لا يقسم ميراث، ولا يفرح بغنيمة، وقال: إنها ستكون بينكم وبين هؤلاء ردة -قال حميد: فقلت للرجل: الروم تعني؟ قال: نعم- ويستمد المؤمنون بعضهم بعضا، فيقتلون، فتشترط شرطة للموت ألا يرجعوا إلا غالبين، فيقتتلون حتى يحول بينهم الليل، فيفيء هؤلاء ويفيء هؤلاء، وكل

غير غالب، وتفنى الشرطة، ثم اليوم الثاني كذلك، ثم اليوم الثالث كذلك، ثم اليوم الرابع ينهد إليهم بقية المسلمين فيقتلون مقتلة لم ير مثلها، حتى إن بني الأب كانوا يتعادون على مائة لا يبقى منهم إلا الرجل، قال ابن مسعود: أفيقسم هاهنا ميراث؟ - قال معمر: وكان قتادة يصل هذا الحديث - قال: فينطلقون حتى يدخلوا قسطنطينية، فيجدون فيها من الصفراء والبيضاء، ما إن الرجل يتحجل حجلا، فبينا هم كذلك إذ جاءهم الصريخ أن الدجال قد خلف في دياركم، فيرفضون ما في أيديهم، قال ابن مسعود: أفيفرح هاهنا بغنيمة؟ فيبعثون منهم طليعة عشرة فوارس، أو اثني عشر، قال ابن مسعود: قال النبي ﷺ: إني لأعرف أسماءهم وقبائلهم، وألوان خيولهم، هم يومئذ خير فوارس في الأرض، فيقاتلهم الدجال فيستشهدون).

- باب: فتح القسطنطينية الأخير بالتهليل والتكبير، بلا قتال ولا رمي:

٣٣- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي ﷺ، قال: (سمعتم بمدينة جانب منها في البر وجانب منها في البحر؟ قالوا: نعم، يا رسول الله قال: لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفا من بني إسحاق، فإذا جاءوها نزلوا، فلم يقاتلوا بسلاح، ولم يرموا بسهم، قالوا: لا إله إلا الله والله أكبر، فيسقط أحد

جانبيها - قال ثور: لا أعلمه إلا قال - الذي في البحر، ثم يقولوا الثانية: لا إله إلا الله والله أكبر، فيسقط جانبها الآخر، ثم يقولوا الثالثة: لا إله إلا الله والله أكبر، فيفرج لهم، فيدخلوها فيغنموا، فبينما هم يقتسمون المغانم، إذ جاءهم الصريخ، فقال: إن الدجال قد خرج، فيتركون كل شيء ويرجعون).[1] رواه مسلم في صحيحه، والحاكم في صحيحه وفي آخره: (يقال إن هذه المدينة هي القسطنطينية قد صحت الرواية أن فتحها مع قيام الساعة).

(١) أحاديث فتح القسطنطينية تواترت عن النبي ﷺ تواترا معنويا، وقد جاء بعضها صريحا بالفتح العسكري، كما في حديث بشر بن ربيعة الغنوي أو الخثعمي في مسند أحمد، وصحيح الحاكم "لتفتحن القسطنطينية، فلنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش"!

وكما فيهما أيضا من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص: "أي المدينتين تفتح أولا يا رسول الله القسطنطينية أم رومية؟ فقال مدينة هرقل أولا"!

وهي القسطنطينية، وهذا ما تم على يد السلطان العادل محمد الفاتح، وهو الفتح الذي غير وجه التاريخ وإلى اليوم!

أما حديث أبي هريرة في صحيح مسلم، في شأن فتح القسطنطينية في آخر الزمان بين يدي خروج الدجال، والذي ورد في لفظه أن من يغزوها سبعون ألفا من (من بني إسحاق)، ولفظه: "لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفا من بني إسحاق، فإذا جاءوها نزلوا، فلم يقاتلوا بسلاح، ولم يرموا بسهم، قالوا: لا إله إلا الله والله أكبر، فيسقط أحد جانبيها، ثم يقولوا الثانية: لا إله إلا الله والله أكبر، فيسقط جانبها الآخر، ثم يقولوا الثالثة: لا إله إلا الله والله أكبر، فيفرج لهم، فيدخلوها فيغنموا، فبينما هم يقتسمون المغانم، إذ جاءهم الصريخ، فقال: إن الدجال قد خرج"!=

=فقد استشكل العلماء فهمه، فقال القاضي عياض: (كذا هو في جميع أصول صحيح مسلم من بني إسحاق)، قال بعضهم المعروف المحفوظ (من بني إسماعيل) وهو الذي يدل عليه الحديث وسياقه؛ لأنه إنما أراد العرب، وهذه المدينة هي القسطنطينية) انتهى كلامه!

قلت: والذي يظهر لي أن الحديث على ظاهره في آخر الزمان، وبنو إسحاق عند نسابة العرب كابن الكلبي، وأهل اللغة كالأزهري: تطلق على طائفة من روم القسطنطينية نفسها، وهم من بني العيص بن إسحاق!

قال ابن كثير في "الملاحم والفتن" عن هذا الحديث: (يدل على أن الروم يسلمون في آخر الزمان، ولعل فتح القسطنطينية يكون على أيدي طائفة منهم، كما نطق به الحديث المتقدم، أنه يغزوها سبعون ألفًا من بني إسحاق، والروم من سلالة العيص بن إسحاق بن إبراهيم الخليل، فهم أولاد عم بني إسرائيل، وهو يعقوب بن إسحاق، فالروم يكونون في آخر الزمان خيرا من بني إسرائيل، فإن الدجال يتبعه سبعون ألفا من يهود أصبهان فهم أنصار الدجال، وهؤلاء أعني الروم قد مدحوا في هذا الحديث؛ فلعلهم يسلمون على يدي المسيح ابن مريم)!

قلت: بل أسلم كثير منهم بعد فتح القسطنطينية، وصاروا جزءا من مواطني الدولة العثمانية، ومن الشعب التركي. وبين الفتح العسكري الأول للقسطنطينية، والفتح الأخير لها بين يدي الساعة، وردت أحاديث كثيرة في فتحها بالاستفتاح بالتكبير؛ كما عند الطبراني من حديث عمرو المزني: (ستقاتلون بني الأصفر، في عصابة من المسلمين، لا تأخذهم في الله لومة لائم، حتى تستفتحون القسطنطينية بالتكبير والتسبيح)، وهذا يصدق على ما جرى سنة ٢٠١٦م في تركيا، فقد كان حقيقة الصراع بين مسلمي تركيا، وبني الأصفر وهم الروم وأوربا وأمريكا النصرانية، فالقسطنطينية منذ احتلالهم إسطنبول في الحرب العالمية الأولى -ثم إلغائهم الخلافة، واشتراطهم تعطيل الشريعة كما نفذه لهم أتاتورك- وهي تحت نفوذهم وسيطرتهم، ولم تتحرر حقيقة إلا بعد ذلك الانقلاب الذي كان آخر سهم رموا فيه تركيا لإعادتها لسيطرتهم ونفوذهم، كما هي عادتهم في انقلاباتهم العسكرية المدعومة منهم، والذي استفتحت فيه الأمة كلها بالدعاء، وضجّت مساجد تركيا كلها بالتكبير، ونزل الشعب إلى الشوارع حتى تحقق النصر، وتحرر الشعب التركي واستعاد الإسلام فيها حضوره من جديد، بعد مئة عام من اضمحلاله وغربته فيها!=

- باب: فتح القسطنطينية الأخير بين يدي الساعة وخروج الدجال:

٣٤- عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: (فتح القسطنطينية مع قيام الساعة).

رواه الترمذي بإسناد صحيح موقوفا، وله حكم الرفع.

٣٥- عن معاذ بن جبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: (عمران بيت المقدس خراب يثرب، وخراب يثرب خروج الملحمة، وخروج الملحمة، فتح قسطنطينية، وفتح القسطنطينية خروج الدجال). ثم ضرب بيده على فخذ الذي حدثه -أو منكبه- ثم قال: إن هذا لحق كما أنك ها هنا -أو كما

=وقد اعترف سياسيو تركيا وكتابها ومفكروها، بل وصرحت جمعيات مسيحية بأن هذا هو الفتح الثاني، بعد الفتح الأول لها على يد محمد الفاتح، ومن تابع الحدث أدرك عالميته حتى كاد العالم كله يقف وهو يحبس أنفاسه، ولم يفرح المسلمون منذ عقود كما فرحوا بذلك النصر، فلا ينبغي صرف ما ورد فيه من البشارة وتعطيلها؛ فهذا من الإرجاء للنصوص إلى المجهول! بينما البشارات تنزل على أول وقوعها، فالبشارة حددت المكان القسطنطينية، وطريقة الفتح بالاستفتاح بالدعاء والتكبير، وحددت طرفي الصراع وأنه بين بني الأصفر وهم أوربا النصرانية، وعصابة من المسلمين لا يخافون في الله لومة لائم!

ولهذا الفتح ما بعده بإذن الله!

هذا ما توقعته آنذاك بعد الانقلاب الذي كانت وراءه أمريكا وأوربا، وما هي إلا أشهر بعده فإذا تركيا تتقدم في المنطقة العربية بأقدار ربانية وبلا تخطيط مسبق، حتى وصلت قواعدها العسكرية من قطر إلى سواكن في السودان ليقضي الله أمرا كان مفعولا!

أنك قاعد- يعني معاذ بن جبل. رواه أبو داود وأحمد والحاكم في صحيحه ووافقه الذهبي، ولفظه: (وخراب يثرب حضور الملحمة، وحضور الملحمة فتح القسطنطينية).[1] وفيه أن معاذا كان يحدث عمر بن الخطاب به. وقال الحافظ

(١) هذا الحديث من المعجزات النبوية فقد تحقق على النحو المذكور بأوضح صوره!

فقد كان تحول الخلافة من المدينة النبوية إلى دمشق الشام في العهد الأموي بداية لعمران القدس والعناية بها بشكل كبير، كما فعل عبد الملك بن مروان الذي بنى مسجد قبة الصخرة سنة ٧٢هـ، ثم ابنه سليمان بن عبد الملك، كما بدأت المدينة النبوية تفقد أهميتها السياسية؛ فهاجر منها أهلها نحو الشام والعراق حيث مراكز الخلافة والسلطة والثروة، حتى كادت المدينة تخرب!

ولا يقتضي خرابها اندثارها بالكلية؛ بل تراجع دورها السياسي وبناء عليه يتراجع تطورها العمراني، بهجرة أهلها منها؛ كما قال ابن كثير في النهاية في الملاحم ١/ ٩٤: (وليس المراد أن المدينة تخرب بالكلية قبل خروج الدجال، وإنما ذلك في آخر الزمان كما سيأتي بيانه في الأحاديث الصحيحة، بل تكون عمارة بيت المقدس سببا في خراب المدينة النبوية، فإنه قد ثبت في الأحاديث الصحيحة أن الدجال لا يقدر على دخولها يمنع من ذلك بما على أبوابها من الملائكة القائمين بأيديهم السيوف المصلتة).

و "حضور الملحمة" أو "خروج الملحمة" يحتمل أنها ملاحم الشام مع الروم، وحملاتهم الصليبية في القرن الخامس حين استولوا على القدس والمسجد الأقصى، إلى أن حرر الشام منهم نور الدين زنكي ثم صلاح الدين الأيوبي في معركة حطين وتحرير القدس سنة ٥٨٣ للهجرة.

ويحتمل وهو الأقرب أن يكون المراد خروج المغول وحملاتهم الوثنية التي اجتاحت المشرق الإسلامي كله ابتداء من أول ظهورهم سنة ٦١٦ هجرية حتى احتلوا بغداد سنة ٦٥٦ هجرية ثم دمشق سنة ٦٩٨ هـ إلى أن توقفت حملاتهم في سنة ٧١٦ هجرية، حيث دخل عامتهم الإسلام.

وقد أعقب هذه الملاحم العظمى -التي كادت تقضي على وجود أمة الإسلام وتزيل كيانها من الأرض- فتح القسطنطينية سنة ٨٥٧هـ؛ فتجدد الإسلام وعاد لقوته من جديد!=

ابن كثير عن هذا الحديث: (هذا إسناد جيد، وحديث حسن، وعليه نور الصدق، وجلالة النبوة).

=وأما خروج الدجال بعد فتح القسطنطينية في هذا الحديث وغيره من الأحاديث المشابهة له؛ فهو أمة الدجال التي أخبر النبي ﷺ بخروجها ثم بغزو المسلمين لها وفتحها؛ كما في الصحيح: (ثم تغزون الروم فيفتحها الله، ثم تغزون الدجال فيفتحه الله)!

فالروم هنا: هي الدولة البيزنطية وعاصمتها القسطنطينية، وأما أمة الدجال التي تفتح بعدها: فهي روما أو رومية حيث كرسي البابا والمسيح الدجال الذي لا يزال يشن الحروب الصليبية على الإسلام باسم المسيح وتحت شعار الصليب، ويحارب الله ورسوله، حتى يتحقق وعد الله بظهور الإسلام وفتح روما كما تواترت بذلك الأخبار عن النبي ﷺ وهو الوعد الحق بظهور الإسلام على الدين كله، كما قال تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾ وهو ما لم يتحقق بعد، وما زال يتحقق شيئا فشيئا منذ هجرته ﷺ حتى يظهر على كل الأديان وعواصمها الدينية كلها قبل قيام الساعة ونزول المسيح الحق عيسى بن مريم وقتله المسيح الدجال الأكبر!

وقد خرجت فعلا أمة الدجال بعد فتح القسطنطينية كما ورد في هذا الحديث، إذ كان فتحها هو بداية خروج أوربا على العالم بعد أن استثارها الفتح الذي أسقط الإمبراطورية البيزنطية، وفتح أوربا أمام المد الإسلامي حتى وصل إلى فينا عاصمة النمسا، فكان ذلك فاتحة عصور أوربا الحديثة التي لم تلبث حتى حشدت حملاتها الصليبية من جديد، وما زالت تصاول الإسلام وأهله يقودها البابا وكنيسة روما حاملا الصليب باسم المسيح كذا وزورا، حتى حلت الفتنة التي لم يحدث في تاريخ العالم كله مثلها، فسادت أمم الدجال على أمم الأرض كلها، وأشاعت فيها الشرك والإلحاد، والحروب والفساد، واستباحت كل المحرمات التي حرمها الأنبياء جميعا وحرمها المسيح عيسى بن مريم!

وما زالوا كذلك حتى أزالوا خلافة الإسلام من الأرض، وعطلوا شريعة النبي الخاتم محمد ﷺ في أرض الإسلام، وفتنوا المسلمين في دينهم بالإلحاد والإباحية، وعاد الإسلام غريبا كما بدأ غريبا! وسيعود كما بدأ ويظهر كما ظهر أول مرة حتى يفتح المسلمون روما!

٣٦- عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال ﷺ: (الملحمة العظمى، وفتح القسطنطينية، وخروج الدجال في سبعة أشهر). رواه أحمد وأبو داود والترمذي وحسنه.

❊ عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: (ملاحم الناس خمس: فثنتان قد مضتا، وثلاث في هذه الأمة: ملحمة الترك، وملحمة الروم، وملحمة الدجال؛ ليس بعد ملحمة الدجال ملحمة).[1] رواه نعيم في الفتن بإسناد حسن موقوفا، وله حكم الرفع. ورواه الداني في "السنن الواردة في الفتن" بإسناد صحيح عنه موقوفا.

(١) ملحمة الروم انتهت بفتح القسطنطينية وسقوط إمبراطوريتهم البيزنطية، وملحمة الدجال هي حروبهم الصليبية منذ فتح القسطنطينية إلى يومنا هذا حتى يفتح المسلمون روما عاصمة المسيح الدجال ولا ملحمة بعدها!

- باب: غزو الروم وأهل الصليب جزيرة العرب وحصارهم المدينة ودفاع العجم الترك عنهم:

٣٧- عن حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: (فتح لرسول الله ﷺ فتح لم يفتح له مثله منذ بعثه الله تعالى، فقلت له: يهنيك الفتح يا رسول الله، قد وضعت الحرب أوزارها، فقال: هيهات هيهات، والذي نفسي بيده إن دونها يا حذيفة لخصالا ستا، أولهن موتي، قال: قلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، ثم يفتح بيت المقدس، ثم يكون بعد ذلك فتنة تقتتل فئتان عظيمتان، يكثر فيهما القتل، ويكثر فيهما الهرج، دعوتهما واحدة، ثم يسلط عليكم موت فيقتلكم قعصا كما تموت الغنم، ثم يكثر المال فيفيض حتى يدعى الرجل إلى مائة دينار فيستنكف أن يأخذها، ثم ينشأ لبني الأصفر غلام من أولاد ملوكهم، قلت: ومن بنو الأصفر يا رسول الله؟ قال: الروم، فيشب في اليوم الواحد كما يشب الصبي في الشهر، ويشب في الشهر كما يشب الصبي في السنة، فإذا بلغ أحبوه واتبعوه، ما لم يحبوا ملكا قبله، ثم يقوم بين ظهرانيهم فيقول: إلى متى نترك هذه العصابة من العرب؟ لا يزالون يصيبون منكم طرفا، ونحن أكثر منهم عددا وعدة في البر والبحر، إلى متى يكون هذا؟ فأشيروا عليّ بما ترون، فيقوم

أشرافهم فيخطبون بين أظهرهم ويقولون: نعم ما رأيت، والأمر أمرك، فيقول: والذي نقسم به لا ندعهم حتى نهلكهم، فيكتب إلى جزائر الروم فيرمونه بثمانين غياية، تحت كل غياية اثنا عشر ألف مقاتل، والغياية الراية، فيجتمعون عنده سبعمائة ألف وستمائة مقاتل، ويكتب إلى كل جزيرة فيبعثون بثلاثمائة سفينة، فيركب هو في سفينة منها، ومقاتلته بحده وحديده، وما كان حتى يرمي بها ما بين أنطاكية إلى العريش، فيبعث الخليفة يومئذ الخيول بالعدد والعدة، وما لا يحصى، فيقوم فيهم خطيب فيقول: كيف ترون؟ أشيروا علي برأيكم، فإني أرى أمرا عظيما، وإني أعلم أن الله تعالى منجز وعده، ومظهر ديننا على كل دين، ولكن هذا بلاء عظيم، فإني قد رأيت من الرأي أن أخرج ومن معي إلى مدينة رسول الله ﷺ، وأبعث إلى اليمن والعرب حيث كانوا، وإلى الأعاريب، فإن الله ناصر من نصره، ولا يضرنا أن نخلي لهم هذه الأرض حتى تروا الذي يتهيأ لكم"، قال رسول الله ﷺ: " فيخرجون حتى ينزلوا مدينتي هذه واسمها طيبة، وهي مساكن المسلمين فينزلون، ثم يكتبون إلى من كان عندهم من العرب، حيث بلغ كتابهم فيجيبونهم حتى تضيق بهم المدينة، ثم يخرجون مجتمعين مجردين، قد بايعوا إمامهم على الموت، فيفتح الله لهم فيكسرون أغماد سيوفهم، ثم يمرون

مجردين، فيقول صاحب الروم: إن القوم قد استماتوا لهذه الأرض، وقد أقبلوا إليكم وهم لا يرجون حياة، فإني كاتب إليهم أن يبعثوا إلي بمن عندهم من العجم، ونخلي لهم أرضهم هذه، فإن لنا عنها غنى، فإن فعلوا فعلنا وإن أبوا قاتلناهم حتى يقضي الله بيننا وبينهم، فإذا بلغ أمرهم والي المسلمين يومئذ قال: لهم: من كان عندنا من العجم أراد أن يسير إلى الروم فليفعل، فيقوم خطيب من الموالي فيقول: معاذ الله أن نبتغي بالإسلام دينا وبدلا، فيبايعون على الموت، كما بايع من قبلهم من المسلمين، ثم يسيرون مجتمعين، فإذا رأوهم أعداء الله طمعوا وأحردوا وجهدوا، ثم يسل المسلمون سيوفهم، ويكسروا أغمادها، ويغضب الجبار على أعدائه، فيقتل المسلمون منهم حتى يبلغ الدم ثنن الخيل، ثم يسير من بقي منهم بريح طيبة يوما وليلة، حتى يظنوا أنهم عجزوا، فيبعث الله عليهم ريحا عاصفا، فتردهم إلى المكان الذي منه خرجوا، فيقتلهم بأيدي المهاجرين، فلا يفلت أحد، ولا مخبر، فعند ذلك يا حذيفة تضع الحرب أوزارها، فيعيشون في ذلك ما شاء الله، ثم يأتيهم من قبل المشرق خبر الدجال أنه قد خرج فينا)[1]. رواه نعيم في الفتن بإسناد حسن لغيره.

(١) هذا الحديث فيه نبوءة عن بدء الحملات الصليبية كما هو واضح، وهو مطابق لحديث عوف بن مالك السابق رقم ٢٥ وفيه زيادات شاذة منكرة معارضة لباقي الروايات، كذكر لجوء الخليفة للمدينة النبوية!=

- باب: بدء الحملات الصليبية من روما على المسلمين واحتلالهم الشام وردة العرب واعتزال روم القسطنطينية القتال ثم فتحها على يد أولياء الله:

٣٨- عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: (يكون بين المسلمين وبين الروم هدنة وصلح حتى يقاتلوا معهم عدوا لهم، فيقاسمونهم غنائمهم، [ثم إن الروم يغزون مع المسلمين فارس فيقتلون مقاتلتهم، ويسبون ذراريهم، فتقول الروم: قاسمونا الغنائم كما قاسمناكم، فيقاسمونهم الأموال وذراري الشرك، فتقول الروم: قاسمونا ما أصبتم من ذراريكم فيقولون: لا نقاسمكم ذراري المسلمين أبدا]، فيقولون: غدرتم بنا، فترجع الروم إلى صاحبهم بالقسطنطينية، فيقولون: إن العرب غدرت بنا، ونحن

=وفيه من النبوءات التي تحققت عجز العرب عن مواجهة الحملات الصليبية وهي الملاحم، وقيام العجم أو الموالي وهم الترك السلاجقة هنا، ثم آل الزنكي وهم من الترك، ثم الأيوبية الكرد، ثم المماليك الترك بمصر، كما في الحديث عند ابن ماجه، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا وقعت الملاحم، بعث الله بعثا من الموالي، هم أكرم العرب فرسا، وأجوده سلاحا، يؤيد الله بهم الدين).

ورواه الطبراني والحاكم في صحيحه بلفظ: (إذا وقعت الملاحم خرج بعث من الموالي من دمشق، هم أكرم العرب فرسا، وأجوده سلاحا، يؤيد الله بهم الدين) قال الحاكم: (هذا حديث صحيح على شرط البخاري) ووافقه الذهبي وقال على شرط مسلم.

ورواه ابن عساكر بأسانيد صحيحة في تاريخ دمشق ١/ ٢٧٠ وفي لفظ بعض رواياته: (إذا كانت الملاحم خرج من دمشق بعث من الموالي هم خيار عباد الله أبعثهم فرسا وأجودهم سلاحا).

أكثر منهم عددا، وأتم منهم عدة، وأشد منهم قوة، فأمدنا نقاتلهم، فيقول: ما كنت لأغدر بهم، قد كانت لهم الغلبة في طول الدهر علينا، **فيأتون صاحب رومية فيخبرونه بذلك، فيوجه ثمانين غاية**، تحت كل غاية اثنا عشر ألفا في البحر، ويقول لهم صاحبهم: إذا رسيتم بسواحل الشام فاحرقوا المراكب لتقاتلوا عن أنفسكم، فيفعلون ذلك، ويأخذون أرض الشام كلها، برها وبحرها، ما خلا مدينة دمشق، والمعنق، ويخربون بيت المقدس"!

[قال: فقال ابن مسعود: وكم تسع دمشق من المسلمين؟ قال: فقال النبيﷺ: والذي نفسي بيده، لتتسعن على من يأتيها من المسلمين كما يتسع الرحم على الولد، قال: قلت: وما المعنق يا نبي الله؟ قال: جبل بأرض الشام من حمص، على نهر يقال له الأرنط، فتكون ذراري المسلمين في أعلى المعنق، والمسلمون على نهر الأرنط، والمشركون خلف نهر الأرنط يقاتلونهم صباحا ومساء، فإذا أبصر ذلك صاحب القسطنطينية وجه في البر إلى قنسرين ستمائة ألف حتى تجيئهم مادة اليمن سبعين ألفا، ألف الله قلوبهم بالإيمان، معهم أربعون ألفا من حمير، حتى يأتوا بيت المقدس].

فيقاتلون الروم فيهزمونهم، ويخرجونهم من جند إلى جند، حتى يأتوا قنسرين وتجيئهم مادة الموالي. قال: قلت: وما مادة الموالي يا رسول الله؟ قال: "هم عتاقتكم".

[وهم منكم قوم يجيئون من قبل فارس، فيقولون: تعصبتم يا معشر العرب، لا نكون مع أحد من الفريقين، أو تجتمع كلمتكم، فتقاتل نزار يوما، واليمن يوما، والموالي يوما، فيخرجون الروم إلى العمق، وينزل المسلمون على نهر يقال له كذا وكذا، يغزى والمشركون على نهر يقال له الرقبة، وهو النهر الأسود]. فيقاتلونهم فيرفع الله تعالى نصره عن العسكرين، وينزل صبره عليهما، حتى يقتل من المسلمين الثلث، ويفر ثلث، ويبقى الثلث، فأما الثلث الذين يقتلون فشهيدهم كشهيد عشرة من شهداء بدر، يشفع الواحد من شهداء بدر لسبعين، وشهيد الملاحم يشفع لسبعمائة، وأما الثلث الذين يفرون؛ **فإنهم يفترقون ثلاثة أثلاث: ثلث يلحقون بالروم، ويقولون: لو كان لله بهذا الدين من حاجة لنصرهم، وهم مسلمة العرب**: بهراء وتنوخ وطيء وسليم، **وثلث يقولون: منازل آبائنا وأجدادنا خير**، لا تنالنا الروم أبدا، مروا بنا إلى البدو، وهم الأعراب، وثلث يقولون: إن كل شيء كاسمه، وأرض الشام كاسمها الشؤم، فسيروا بنا إلى العراق واليمن والحجاز، حيث لا

نخاف الروم، **وأما الثلث الباقي؛ فيمشي بعضهم إلى بعض يقولون: الله الله، دعوا عنكم العصبية، ولتجتمع كلمتكم وقاتلوا عدوكم، فإنكم لن تنصروا ما تعصبتم**، فيجتمعون جميعا ويتبايعون على أن يقاتلوا حتى يلحقوا بإخوانهم الذين قتلوا، فإذا أبصر الروم إلى من قد تحول إليهم، ومن قتل، ورأوا قلة المسلمين، قام رومي بين الصفين معه بند في أعلاه صليب، فينادي: غلب الصليب، غلب الصليب، فيقوم رجل من المسلمين بين الصفين ومعه بند فينادي: بل غلب أنصار الله، بل غلب أنصار الله وأولياؤه، فيغضب الله تعالى على الذين كفروا من قولهم: غلب الصليب.

[فيقول: يا جبريل، أغث عبادي، فينزل جبريل في مائة ألف من الملائكة ويقول: يا ميكائيل، أغث عبادي، فينحدر ميكائيل في مائتي ألف من الملائكة، ويقول: يا إسرافيل، أغث عبادي، فينحدر إسرافيل في ثلاثمائة ألف من الملائكة].

وينزل الله نصره على المؤمنين، وينزل بأسه على الكفار، فيقتلون ويهزمون، ويسير المسلمون في أرض الروم حتى يأتوا عمورية، وعلى سورها خلق كثير، يقولون: ما رأينا شيئا أكثر من الروم، كم قتلنا وهزمنا وما أكثرهم في هذه المدينة وعلى سورها، فيقولون: أمنونا على أن نؤدي إليكم الجزية،

فيأخذون الأمان لهم ولجميع الروم على أداء الجزية، وتجتمع إليهم أطرافهم، فيقولون: يا معشر العرب إن الدجال قد خالفكم إلى دياركم، والخبر باطل، فمن كان فيهم منكم فلا يلقين شيئا مما معه، فإنه قوة لكم على ما بقي، فيخرجون فيجدون الخبر باطلا، وتثب الروم على ما بقي في بلادهم من العرب فيقتلونهم، حتى لا يبقى بأرض الروم عربي ولا عربية، ولا ولد عربي إلا قتل، فيبلغ ذلك المسلمين فيرجعون غضبا لله عز وجل، فيقتلون مقاتلتهم ويسبون الذراري، ويجمعون الأموال، لا ينزلون على مدينة ولا حصن فوق ثلاثة أيام حتى يفتح لهم، وينزلون على الخليج، ويمد الخليج حتى يفيض، **فيصبح أهل القسطنطينية يقولون: الصليب مد لنا بحرنا، والمسيح ناصرنا فيصبحون والخليج يابس، فتضرب فيه الأخبية، ويحسر البحر عن القسطنطينية، ويحيط المسلمون بمدينة الكفر ليلة الجمعة بالتحميد والتكبير والتهليل إلى الصباح، ليس فيهم نائم ولا جالس، فإذا طلع الفجر كبر المسلمون تكبيرة واحدة، فيسقط ما بين البرجين،** فتقول الروم: إنما كنا نقاتل العرب، فالآن نقاتل ربنا وقد هدم لهم مدينتنا وخربها لهم، فيمكثون بأيديهم، ويكيلون الذهب بالأترسة، ويقتسمون الذراري حتى يبلغ سهم

الرجل منهم ثلاثمائة عذراء، ويتمتعوا بها في أيديهم ما شاء الله، ثم يخرج الدجال حقا، ويفتح الله القسطنطينية على يد أقوام هم أولياء الله.

[يرفع الله عنهم الموت والمرض والسقم].

حتى ينزل عليهم عيسى ابن مريم عليه السلام، فيقاتلون معه الدجال)[١].

رواه نعيم في الفتن بإسناد حسن لغيره وفيه ألفاظ ضعيفة منكرة.

---

(١) هذا الحديث في أوله وآخره -باستثناء ما انفرد به من فقرات شاذة منكرة كما بين المعكوفتين- تأكيد لما تواتر من النبوءات التي سبق ذكرها عن الهدنة بين المسلمين وروم القسطنطينية، وبدء الحملات الصليبية، وانطلاقها من روما حيث البابا، وغزوها للعالم الإسلامي برا وبحرا، وما جرى بعدها من احتلال سواحل الشام والقدس، والمذابح التي جرت فيها، وردة بعض العرب الذين لحقوا بالحملات الصليبية، أو فروا وتخلوا عن جهادها، وقيام الموالي بالجهاد وفتح القسطنطينية، وفيها وصف دقيق لفتحها وقيام المسلمين ليلة الفتح بالدعاء والتهليل، وساعة الفتح فجرا، وهو ما ذكره تماما بعد ذلك المؤرخون، وما سجله شاهد العيان الأب ليونارد الخيوسي مبعوث البابا الكاثوليكي نيقولا الخامس إلى القسطنطينية قبل فتحها، حيث ذكر في رسالته للبابا تفاصيل فتح القسطنطينية، وجاء فيها خبر (أمر السلطان الفاتح بإيقاد النيران في الأيام الثلاثة السابقة على الهجوم النهائي. كما أنه أمر رجاله بالصوم والتوجه الى الله بالدعاء من أجل أن يمنّ عليهم بتحقيق النصر. وذكره لصيحات الجنود العثمانيين المسلمين قبيل الهجوم النهائي على القسطنطينية: "... يا إلهي. إنك إذا ما استمعت الى تلك الصيحات ترتفع الى عنان السماء، وهي تردد: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فإن لسانك سينعقد وتصاب بالدهشة والذهول مما يجري".

كما وصف ردود الفعل التي اعترت جميع سكان المدينة إزاء هذا السيل الجارف من الحماسة والمشاعر الدينية فذكر أن السكان المسيحيين جميعًا شعروا بدهشة كبرى، وهو ما دفعهم الى التضرع والتوسل الى الرب بدموع غزيرة كي يشملهم برحمته وعطفه. وهكذا قام كل سكان=

❊ عن كعب، قال: (ذكر رسول الله ﷺ الملحمة فسمى الملحمة من عدد القوم، وأنا أفسرها لكم، إنه يحضرها اثنا عشر ملكا، ملك الروم أصغرهم وأقلهم مقاتلة، ولكنهم كانوا هم الدعاة، وهم دعوا تلك الأمم واستمدوا بهم، وحرام على أحد يرى عليه حقا للإسلام أن لا ينصر الإسلام يومئذ، وليبلغن مدد المسلمين يومئذ صنعاء الجند، وحرام على أحد يرى عليه حقا للنصرانية أن لا ينصرها يومئذ، ولتمدنهم يومئذ الجزيرة بثلاثين ألف نصراني، فيترك الرجل فدانه يقول: أذهب أنصر النصرانية، ويسلط الحديد بعضه على بعض، فما يضر رجلا يومئذ كان معه سيف لا يجدع الأنف ألا يكون مكانه الصمصامة، لا يضع سيفه يومئذ على درع ولا غيره إلا قطعه، وحرام على جيش أن يترك النصر، ويلقى الصبر على هؤلاء وعلى هؤلاء، ويسلط الحديد بعضه على بعض ليشتد البلاء، فيقتل يومئذ من المسلمين ثلث، ويفر ثلث، فيقعون في مهيل من الأرض، يعني هؤلاء لا يرون الجنة ولا يرون أهليهم أبدا، ويصبر ثلث فيحرسونهم ثلاثة أيام، لا يفرون فر أصحابهم، فإذا كان يوم الثالث، قال رجل منهم: يا أهل الإسلام، ما تنتظرون؟ قوموا فادخلوا الجنة كما دخلها إخوانكم، فيومئذ ينزل الله تعالى

=القسطنطينية بحمل الصور والأيقونات المقدسة وهم حفاة الأقدام، في مسيرة جابت أسوار المدينة من الداخل).

نصره، ويغضب لدينه، ويضرب بسيفه، ويطعن برمحه، ويرمي بسهمه، لا يحل لنصراني أن يحمل بعد ذلك اليوم سلاحا حتى تقوم الساعة، ويضرب المسلمون أقفاءهم مدبرين، لا يمرون بحصن إلا فتح، ولا مدينة إلا فتحت، حتى يردوا القسطنطينية، فيكبرون الله ويقدسونه ويحمدونه، فيهدم الله ما بين اثني عشر برجا، ويدخلها المسلمون، فيومئذ يقتل مقاتلتها، وتفتض عذارها، ويأمرها الله فتظهر كنوزها، فآخذ وتارك، فيندم الآخذ، ويندم التارك "، قالوا: وكيف يجتمع ندامتهما؟ قال: يندم الآخذ ألا يكون ازداد، ويندم التارك ألا يكون أخذ، قالوا: إنك لترغبنا في الدنيا في آخر الزمان؟ قال: إنه يكون ما أصابوا منها عونا لهم على سنين شداد، وسنين الدجال، قال: ويأتيهم آت وهم فيها، فيقول: خرج الدجال في بلادكم، قال: فينصرفون حيارى فلا يجدونه خرج، فلا يلبث إلا قليلا حتى يخرج). رواه نعيم في الفتن بإسناد حسن لغيره مرسلا.

❋ وعن السيباني، عن كعب، قال: "إن أمة تدعى بالنصرانية في بعض جزائر البحر تجهز ألف مركب في كل عام، فيقولون: اركبوا إن شاء الله وإن لم يشأ، قال: فإذا وقعوا في البحر بعث الله عز وجل عليهم عاصفا من الريح كسرت

سفنهم، قال: فتصنع ذلك مرارا فإذا أراد الله تعالى أمرا اتخذت سفنا لم يوضع على ظهر البحر مثلها قط ثم تقول: اركبوا إن شاء الله، قال: فيركبون فيمرون بالقسطنطينية، قال: فيفزعون لهم فيقولون: ما أنتم؟ فيقولون: نحن أمة تدعى النصرانية نريد هذه الأمة التي أخرجتنا عن بلادنا وبلاد آبائنا، قال: فيمدونهم سفنا، قال: فينتهون إلى عكا فيخرجون سفنهم ويحرقونها ويقولون: بلادنا وبلاد آبائنا، قال: وأمير المسلمين يومئذ ببيت المقدس، فيبعث إلى مصر فيستمدهم، ويبعث إلى العراق فيستمدهم، ويبعث إلى أهل اليمن فيستمدهم، قال: فيجيئه رسوله من قبل أهل مصر، فيقولون: إنا بحضرة بحر، والبحر حمال، فلا يمدونه، ويأتيه رسوله من قبل أهل العراق فيقولون: نحن بحضرة بحر، والبحر حمال، فلا يمدونه، قال: فيمر الرسول بحمص وقد غلقها أهلها من العجم على من فيها من المسلمين، فيخبر الرسول بذلك أمير المسلمين، قال: ويمده أهل اليمن على قلصانهم، قال: ويكتم الخبر ويقول: أي شيء ننتظر؟ الآن يغلق أهل كل مدينة على من فيها من المسلمين، قال: فينهض إليهم، فيقتل ثلث من المسلمين ويأخذ ثلث بأذناب الإبل ويلحقون بالبرية ويهلكون في مهبل من الأرض، قال: فلا إلى أهليهم يرجعون ولا الجنة يرونها، قال: ويفتح الثلث فيتبعونهم في جبل لبنان

حتى ينتهي أمير المسلمين إلى الخليج ويصير الأمر إلى ما كان الناس عليه، الوالي يحمل الراية فيركز لواءه ويأتي الماء ليتوضأ منه لصلاة الصبح، قال: فيتباعد الماء منه، قال: فيتبعه فيتباعد منه، فإذا رأى ذلك أخذ لواءه واتبع الماء حتى يجوز من تلك الناحية ثم يركزه ثم ينادي: أيها الناس أجيزوا فإن الله قد فرق لكم البحر كما فرقه لبني إسرائيل، قال: فيجوز الناس، قال: فيستقبل القسطنطينية، قال: فيكبرون فيهتز حائطها، ثم يكبرون فيهتز، ثم يكبرون فيسقط منها ما بين اثنى عشر برجا، قال: فيدخلونها فيجدون فيها ثلاثة كنوز من ذهب وفضة وكنز من نحاس فيقتسمون غنائمهم على الترسة)[١] رواه الداني في السنن الواردة في الفتن بإسناد صحيح إلى كعب.

---

(١) وهذا الأثر عن كعب أوضح وأصرح في انطباقه على الحملات الصليبية التي احتلت سواحل الشام، وجاءت عبر القسطنطينية، واستعانت بها في العبور للشام، وقد انطلقت عدة حملات غرق بعضها في البحر، وهلك بعضها في البر، وقد استهدفت أكثر هذه الحملات القسطنطينية نفسها، كما جرى في الحملة الصليبية الرابعة سنة ١٢٠٤م/٦٠٠هـ، القادمة من أوربا والتي استباحتها واحتلتها، وأقامت فيها سلطة لاتينية كاثوليكية، والتي دخل جنودها الفرنسيون والبنادقة كنيسة "أيا صوفيا" واقترفوا فيها الموبقات؛ كما قال مؤرخ الحروب الصليبية ستيفن رنسيمان: (ليس لنهب القسطنطينية مثيل في التاريخ ..اندفعوا كالرعاع المسعورة يجوبون الشوارع...ولم تجر التفرقة بين القصور والأكواخ فيما تعرضت له من الهجوم والتدمير، وأخذ الجرحى من النساء والأطفال يلفظون أنفاسهم في الشوارع، وظلت مناظر النهب وسفك الدماء المريعة مستمرة ثلاثة أيام حتى أضحت المدينة الضخمة الجميلة شبيهة بسوق اللحوم، وهتف المؤرخ نكيتاس في صدق: إن المسلمين لأكثر منهم رحمة لم يرتكب في حق الإنسانية من الجرائم=

* عن علي بن زيد، عن عبد الرحمن بن أبي بكرة، قال: أتيت عبد الله بن عمرو، في بيته وحوله سماطين من الناس وليس على فراشه أحد فجلست على فراشه مما يلي رجليه، فجاء رجل أحمر عظيم البطن فجلس، فقال: من الرجل؟ قلت: عبدالرحمن بن أبي بكرة، قال: من أبو بكرة؟ قلت: وما تذكر الرجل الذي وثب إلى رسول الله ﷺ من سور الطائف؟ فقال: بلى ، فرحب

=ما هو أشد من الحملة الصليبية الرابعة...وفي المجال الفسيح لتاريخ العالم، تعتبر نتائج الحملة الصليبية الرابعة فاجعة في جملتها....وفي تلك الأثناء انغرست بذور الكراهية بين العالمين المسيحي في الشرق والغرب...وما ادعاه الصليبيون من مفاخرات خادعة، بأنهم أنهوا الانشقاق، ووحدوا الكنيستين، كل ذلك لم يتحقق، بل حدث بدلاً من ذلك أن همجيتهم ووحشيتهم خلفت من الذكرى ما لا يغتفر لهم، وقد يدافع الزعماء المسيحيون فيما بعد عن الاتحاد مع روما، وقد تعلقوا بالأمل في أن الاتحاد سوف يؤدي إلى إقامة جبهة متحدة إزاء الترك، غير أن أقوامهم لن يتبعوهم، فليس بوسعهم أن ينسوا الحملة الصليبية الرابعة)!

وظلت مملكتهم فيها إلى سنة١٢٦١م/٦٥٩ه!

ويقول عنهم المؤرخ ول ديورانت في "قصة الحضارة": (وازداد نهمهم لطول ما حُرموا من فريستهم الموعودة، فانقضوا على المدينة الغنية في أسبوع الفصح، وأتوا فيها من ضروب السلب والنهب ما لم تشهده روما نفسها على أيدي الوندال أو القوط، نعم إنه لم يقتل في هذه الحوادث كثيرون من اليونان، فلعل عدد القتلى لم يتجاوز ألفين، أما السلب والنهب فلم يقفا عند حد...وعانت كنيسة أيا صوفيا من النهب ما لم تعانه فيما بعد على يد الأتراك عام ١٤٥٣....وبذلت محاولة ضئيلة للحد من اغتصاب النساء، وقنع الكثيرون من الجنود بالعاهرات، ولكن (البابا) إنوسنت الثالث أخذ يشكو من أن شهوات اللاتين المكبوتة لم ينج منها الكبار أو الصغار، ولا الذكور ولا الإناث، ولا أهل الدنيا أو الدين...ولم تفق الإمبراطورية البيزنطية من هذه الضربة القاصمة، ومهد استيلاء اللاتين على القسطنطينية إلى استيلاء الأتراك عليها بعد مائتي عام من ذلك الوقت)!

بي، ثم أنشأ يحدثنا فقال: يوشك أن يخرج ابن حمل الضأن - ثلاث مرات - قلت: وما حمل الضأن؟ قال رجل: أحد أبويه شيطان يملك الروم يجيء في ألف ألف من الناس، خمس مائة ألف في البر، وخمس مائة ألف في البحر، ينزلون أرضا يقال لها العميق؛ فيقول لأصحابه: إن لي في سفينتكم بقية فتخلف عليها فيحرقها بالنار، ثم يقول: لا رومية ولا قسطنطينية لكم، من شاء أن يفر فليفر، ويستمد المسلمون بعضهم بعضا حتى يمدهم أهل عدن أبين، فيقول لهم المسلمون: الحقوا بهم فكونوا فاجا واحدا، فيقتتلون شهرا حتى أن الخيل لتخوض في سنابكها الدماء، وللمؤمن يومئذ كفلان من الأجر على ما كان قبله إلا من كان من أصحاب محمد ﷺ، فإذا كان آخر يوم من الشهر قال الله تبارك وتعالى: اليوم أسل سيفي وأنصر ديني وأنتقم من عدوي؛ فيجعل الله الدائرة عليهم فيهزمهم الله حتى تستفتح القسطنطينية، فيقول أميرهم: لا غلول اليوم، فبينا هم كذلك يقتسمون بترستهم الذهب والفضة إذ نودي فيهم: ألا إن الدجال قد خلفكم في دياركم فيدعون ما بأيديهم ويقبلون إلى الدجال)[١]. رواه البزار في مسنده بإسناد

(١) هذا الحديث ينطبق تماما على الحملة الصليبية الأولى من حيث نزولها في العميق أو الأعماق قرب أنطاكية، وقد كان تعداد من شارك فيها نحو مليون صليبي، جاءوا بالبر والبحر، ثم ما جرى من ملاحم كبرى بينهم وبين المسلمين، مدة قرنين، مع العرب، ثم الترك السلاجقة، ثم الزنكية ثم =

حسن بالشواهد، قال الهيثمي في المجمع (رواه البزار موقوفا، وفيه علي بن زيد وهو حسن الحديث، وبقية رجاله ثقات).

❋ عن علي بن زيد بن جدعان عن رجلين أحدهما عبد الرحمن بن أبي بكرة عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، أنه سأل أحد الرجلين فقال: أنت عبد الله بن عمرو؟ قال نعم! قال أنت الذي تزعم أن الساعة تقوم إلى مائة سنة؟ قال: سبحان الله وأنا أقول ذلك! قال: ومن يعلم قيام الساعة إلا الله! إنكم يا أهل العراق لترمون أشياء ليست كذلك! إنما قلت ما كانت رأس مائة للخلق يعني منذ خلقت الدنيا إلا كان عند رأس المائة، قال: يوشك أن يخرج ابن حمل الضأن. قال: قلت: وما ابن حمل الضأن؟ قال: رومي أحد أبويه شيطان يسير إلى المسلمين في خمسمائة ألف برا وخمس مائة ألف بحرا حتى ينزل بين عكا وصور، ثم يقول: يا أهل السفن اخرجوا منها، ثم أمر بها؛ فأحرقت.

= الأيبوبية، ثم الترك العثمانية، وفيها تحقق - كما ورد في تاريخ فتح القسطنطينية - قول محمد الفاتح: (لا غلول)!

والزمن المذكور في أحاديث الفتن كاليوم والشهر ليس على ظاهره، بل مجاز يراد به الإشارة إلى طول المدة تارة، وقصرها تارة أخرى!

وهنا قد تتداخل الروايات بسبب أوهام الرواة، وعدم ضبطهم، وأحاديث الفتن كالرؤى لا تأتي في أكثر الأحيان على ظاهرها، بل لها رمز وإشارة وباطن يفقهه أهل التأويل!

قال: ثم يقول لهم: لا قسطنطينية لكم ولا رومية، حتى يفصل بيننا وبين العرب، قال: فيستمد أهل الإسلام بعضهم بعضا حتى يمدهم عدن أبين على قلصانهم، قال: فيجتمعون فيقتتلون، قال: فتكاتبهم النصارى الذين بالشام ويخبرونهم بعورات المسلمين، قال: فيقول المسلمون الحقوا فكلكم لنا عدو حتى يقضي الله بيننا وبينكم، قال: فيقتتلون شهرا لا يكل لهم سلاح ولا لكم ويقذف الصبر عليكم وعليهم، قال: وبلغنا والله أعلم أنه إذا كان رأس الشهر؛ قال ربكم: اليوم أسل سيفي فأنتقم من أعدائي وأنصر أوليائي، قال: فيقتتلون مقتلة ما رأى مثلها قط حتى ما تسير الخيل إلا على الخيل، وما يسير الرجل إلا على الرجل، وما يجدون خلقا لله يحول بينهم وبين القسطنطينية ولا رومية، قال: فيقول أميرهم يومئذ لا غلول اليوم من أخذ شيئا فهو له. قال: فيأخذون ما خف عليهم، ويذبحون ما ثقل عليهم، قال: فبينما هم كذلك؛ إذ جاءهم أن الدجال قد خلفكم في ذراريكم. قال: فيرفضون ما في أيديهم ويقبلون، قال: ويصيب الناس مجاعة شديدة حتى إن الرجل ليحرق وتر قوسه فيأكله، وحتى إن الرجل ليحرق حجفته. قال أبو حفص: هو الترس فيأكلها، حتى إن الرجل ليكلم أخاه فما يسمعه صوته من الجهد، قال: فبينما هم كذلك إذ سمعوا صوتا من السماء، أبشروا فقد أتاكم

الغوث، قال: فيقولون نزل عيسى بن مريم، قال: فيستبشرون ويستبشر بهم، ويقولون: صل يا روح الله، فيقول: إن الله أكرم هذه الأمة فلا ينبغي لأحد أن يؤمهم إلا منهم، قال: فيصلي أمير المؤمنين بالناس، قال: فأمير الناس يومئذ معاوية بن أبي سفيان؟ قال: لا! قال: ويصلي عيسى خلفه، قال: فإذا انصرف عيسى دعا بحربته؛ فأتى الدجال، فقال: رويدك يا دجال يا كذاب، قال: فإذا رأى عيسى عرف صوته ذاب كما يذوب الرصاص إذا أصابته النار، وكما تذوب الألية إذا أصابتها الشمس، قال: ولولا أنه يقول رويدا لذاب حتى لا يبقى منه شيء، قال: فيحمل عليه عيسى، قال: فيطعن بحربته بين يديه فيقتله، قال: وتفر جنده تحت الحجارة والشجر، قال: وعامة جنده اليهود والمنافقون، قال: فينادي الحجر يا روح الله هذا تحتي كافر فاقتله، قال: فيأمر عيسى بالصليب فيكسر، وبالخنزير فيقتل، وتضع الحرب أوزارها، حتى إن الذئب ليرفعن إلى جنبه ما يغمز بها، قال: وحتى أن الصبيان ليلعبون بالحيات ما تنهشم، قال: ويملأ الأرض عدلا، قال: فبينما هم كذلك اسمعوا صوتا، قال: فتحت يأجوج ومأجوج. قال: وهو كما قال الله عز وجل ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾، قال: فيفسدون الأرض كلها حتى إن أوائلهم ليأتي النهر العجاج؛ فيشربونه كله، وإن آخرهم ليقول:

قد كان هٰهنا نهر، قال: ويحاصرون عيسى ومن معه ببيت المقدس، ويقول: ما يعلم في الأرض يعنى أحدا إلا قد أنخناه هلموا نرمى من في السماء، قال: فيرمون حتى ترجع إليهم سهامهم في نصولها الدم للبلاء، فيقولون ما بقي في الأرض ولا في السماء، قال: فيقولون المؤمنون: يا روح الله ادع عليهم بالفناء؛ فيدعو الله عليهم فيبعث النغف في آذانهم، قال: فيقتلهم في ليلة واحدة، قال: فتنتن الأرض كلها من جيفهم، قال: فيقولون: يا روح الله نموت من النتن، قال: فيدعو الله؛ فيبعث وابلا من المطر؛ فجعله سيلا فيقذفهم كلهم في البحر، ثم يسمعون صوتا؛ فيقال: مه! قيل: غزا البيت الحصين، قال: فيسمعون حديثا؛ فيجدون أوائل ذلك الجيش، ويقبض عيسى بن مريم، ووليه المسلمون وغسلوه وحنطوه وكفنوه وصلوا عليه وحفروا له ودفنوه، قال: فيرجع أوائل الجيش والمسلمون ينفضون أيديهم من تراب قبره، قال: فلا يلبثون بعد ذلك إلا يسيرا حتى يبعث الله الريح اليمانية، قال: قلنا: وما الريح اليمانية؟ قال: ريح من قبل اليمن ليس على الأرض مؤمن يجد نسيمها إلا قبضت روحه، قال: ويسري على القرآن في ليلة واحدة، ولا يترك في صدور بني آدم ولا في بيتهم منه شيء إلا رفعه الله، قال: فيبقى الناس ليس فيهم نبي، وليس فيهم قرآن، وليس فيهم مؤمن، قال

عبدالله بن عمرو: فعدهم أخفي علينا قيام الساعة؛ فلا يدري كم يتركون كذلك كانت الصيحة، قال: ولم يكن صيحة قط إلا بغضب من الله على أهل الأرض، قال: وقال الله تعالى: ﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيۡحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾ قال: فلا أدري كم يتركون كذلك). رواه ابن عساكر في تاريخه بإسناد حسن.

- باب: غدر الروم بالمسلمين بعد فتح القسطنطينية ونقضهم لمعاهداتهم:

* عن هشام بن يوسف، عن عوف بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: (استأذنت على النبي ﷺ فقال: ادخل! قلت: فأدخل كلي أو بعضي قال: ادخل كلك! فدخلت عليه وهو يتوضأ وضوءا مكيثا، فقال: يا عوف بن مالك، ست قبل الساعة: موت نبيكم ﷺ، خذ إحدى، فكأنما انتزع قلبي من مكانه، وفتح بيت المقدس، وموت يأخذكم تقعصون به كما تقعص الغنم، وأن يكثر المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيسخطها، وفتح مدينة الكفر، وهدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر، فيأتونكم تحت ثمانين غاية، تحت كل غاية اثنا عشر ألفا فيكونون أولى بالغدر منكم). رواه ابن أبي شيبة في المصنف بإسناد صحيح.

* وعن عبد الرحمن بن جبير، عن أبيه، عن عوف، أن النبي ﷺ، قال: (بين يدي الساعة ست: أولهن موت نبيكم ﷺ، ثم فتح بيت المقدس، ثم فتح مدينة الكفر [القسطنطينية]، ثم موت كقعاص الغنم، ثم يرد الرجل المائة دينار سخطة، ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر يكونون فيه أولى بالغدر منكم).[(١)] رواه الداني في الفتن بإسناد حسن.

- باب: الصراع مع الروم على القسطنطينية إلى قيام الساعة:

٣٩- عن المستورد بن شداد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ صاحب النبي ﷺ قال وهو عند عمرو بن العاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: (سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن أشد الناس عليكم الروم إنما هلكتهم مع الساعة" فقال له عمرو بن العاص: ألم أزجرك عن هذا الحديث!). رواه أحمد والبيهقي في دلائل النبوة بإسناد حسن، كما قال الهيثمي والسيوطي والمناوي، قال الهيثمي في المجمع: (رواه أحمد، وفيه ابن لهيعة وفيه ضعف وحديثه حسن، وبقية رجاله رجال الصحيح).

(١) هذا الحديث والأحاديث التي قبله في شأن الهدنة مع الروم وغدوهم بالمسلمين، حدث عدة مرات، وآخرها الصلح الآمن بين الخلافة العثمانية والدول الأوربية، وغدرهم بها وتآمرهم عليها في الحرب العالمية الأولى، حيث جاءت جيوشهم من كل حدب وصوب؛ فالروس شمالا وبريطانيا جنوبا من العالم العربي، وفرنسا غربا، حتى أسقطوها واحتلوا العالم الإسلامي كله.

قال البيهقي: (لعله إذ كان صحيحا إنما زجره عن روايته لئلا يعرض المسلمون عن قتالهم، فإن الذي تدل عليه الأحاديث إنما أراد القسطنطينية... عن يحيى بن سعيد، عن أنس بن مالك، قال: كان يقال: فتح القسطنطينية مع الساعة).

❋ وروى مسلم في صحيحه: (قال المستورد القرشي، عند عمرو بن العاص: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: "تقوم الساعة والروم أكثر الناس" فقال له عمرو: أبصر ما تقول! قال: أقول ما سمعت من رسول الله ﷺ، قال: لئن قلت ذلك، إن فيهم لخصالا أربعا: إنهم لأحلم الناس عند فتنة، وأسرعهم إفاقة بعد مصيبة، وأوشكهم كرة بعد فرة وخيرهم لمسكين ويتيم وضعيف، وخامسة حسنة جميلة: وأمنعهم من ظلم الملوك).

❋ وفي رواية لمسلم: (فبلغ ذلك عمرو بن العاص فقال: ما هذه الأحاديث التي تذكر عنك أنك تقولها عن رسول الله ﷺ؟ فقال له المستورد: قلت الذي سمعت من رسول الله ﷺ، قال: فقال عمرو: لئن قلت ذلك، إنهم

لأحلم الناس عند فتنة، وأجبر الناس عند مصيبة، وخير الناس لمساكينهم وضعفائهم).[1]

(١) رواية مسلم تؤكد أن المستور بن شداد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان يحدث بأحاديث كثيرة سمعها من النبيﷺ في شأن الروم ومنها أنهم أشد الأمم على أهل الإسلام إلى قيام الساعة في الحروب، وهذا المعنى متواتر كما مر فيما سبقه من أحاديث عن القتال مع الروم، وفيه إشارة إلى كثرة دخولهم الإسلام بعد فتح القسطنطينية، ثم فتح روما، ومن شواهده أيضا ما رواه ابن أبي شيبة في المصنف، والحارث بن أبي أسامة في المسند، بإسناد صحيح إلى ابن محيريز مرسلا مرفوعا (قال رسول الله ﷺ: فارس نطحة أو نطحتان ثم لا فارس بعدها أبدا، والروم ذات القرون، أصحاب بحر وصخر، كلما ذهب قرن خلف قرن مكانه، هيهات إلى آخر الدهر، هم أصحابكم ما كان في العيش خير)!

قال المناوي في "التيسير شرح الجامع الصغير للسيوطي" ٢/ ١٦٦ (يريد أن فارس تقاتل المسلمين مرة أو مرتين ثم يبطل ملكها، (والروم ذات القرون) جمع قرن (كلما هلك قرن خلفه قرن، أهل صبر، وأهله لآخر الدهر هم أصحابكم ما دام في العيش خير) يريد بأصحابكم إن فيهم السلطنة والإمارة على العرب)، فحمل المعنى على الترك الذين آلت لهم إمبراطورية الروم البيزنطية وورثوا أرضهم وديارهم وامتزجوا بهم!

قال العزيزي في شرحه للجامع ٣/ ٣٦٧ معلقا على كلام المناوي :(وهذا لا يعارضه الحديث الآتي "لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي في الناس اثنان" أي إلى يوم القيامة، لأنه مقيد بما إذا أقاموا أمور الدين، فإذا لم يقيموها خرج عنهم بتسليط غيرهم عليهم).

وقال الإمام الصنعاني في "التنوير شرح الجامع الصغير" ٧/ ٤٦٦ (..(ثم لا فارس بعد هذا أبدا) بل يصيرون مسلمين والحكم لدين الإسلام. (والروم) بالضم جيل من ولد الروم بن عيصور. (فكأنه) أنث في قوله(ذات)القرون) نظرا إلى القبيلة. (كلما هلك قرن خلفه قرن) في النهاية في تفسير القرون جمع قرن لم يرد على هذا هنا وتقدم عنه تفسير القرن أنه أهل كل زمان، فالمراد كلما هلك طائفة منه خلفتها طائفة هم (أهل صبر) الجهاد وغيره (وأهله) أي الروم (أهل لآخر الدهر) أي وهم أهل يبقون لآخر الدهر. (هم أصحابكم) أتباعكم ومناصروكم (ما دام في العيش=

- باب: البشارة بعودة الخلافة بعد حصار الروم الشام والعجم العراق:

٤٠- عن أبي نضرة، قال: كنا عند جابر بن عبد الله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فقال: (يوشك أهل العراق أن لا يجبى إليهم قفيز ولا درهم، قلنا: من أين ذاك؟ قال: من قبل العجم، يمنعون ذاك، ثم قال: يوشك أهل الشأم أن لا يجبى إليهم دينار ولا مُدْيٌ، قلنا: من أين ذاك؟ قال: من قبل الروم، ثم سكت هنية، ثم قال: قال رسول الله ﷺ: يكون في آخر أمتي خليفة يحثي المال حثيا، لا يعده عددا).[1] رواه مسلم في صحيحه وابن حبان والحاكم في صحيحيهما.

=خير) فالحديث سيق لبيان قوة الروم، وشرفهم وبقائهم في الإسلام، بخلاف فارس فإنها تنقرض ولا يبقى لها ذكر).

(١) وهذا الحديث من المعجزات النبوية الخبرية التي لم تحدث إلا في هذه المحنة التي يعيشها العراق والشام، منذ احتلالهما وحصارهما من الحملة الأمريكية الروسية الصليبية والإيرانية الصفوية وحتى هذه الأيام!

وقد حدد النبي ﷺ أطراف الحصار (العجم - إيران) و(الروم - أمريكا وروسيا) والبلدين المحاصرين (العراق والشام)، ثم بشر بعد هذه المحن العظيمة بالفتح والفرج وبالخليفة الذي يحثو المال حثوا، بعد الحصار الشديد الذي تعرض له المسلمون في هذين البلدين، وستعود الخلافة من جديد كما بشر بها النبي ﷺ وتواترت بذلك الأخبار !

قال النووي في شرح مسلم ١٨/ ٢٠: (معناه إن العجم والروم يستولون على البلاد في آخر الزمان فيمنعون حصول ذلك للمسلمين، وقد روى مسلم هذا بعد هذا بورقات عن جابر قال "يوشك أن لا يجيء إليهم قفيز ولا درهم قلنا من أين ذلك قال من قبل العجم يمنعون ذاك"، وذكر في منع الروم ذلك بالشام مثله، وهذا قد وجد في زماننا في العراق [بسبب المغول التتار] وهو الآن موجود، وقيل لأنهم يرتدون في آخر الزمان فيمنعون مالزمهم من الزكاة وغيرها، وقيل=

= معناه أن الكفار الذين عليهم الجزية تقوى شوكتهم في آخر الزمان فيمتنعون مما كانوا يؤدونه من الجزية والخراج وغير ذلك، وأما قوله ﷺ "وعدتم من حيث بدأتم" فهو بمعنى الحديث الآخر "بدأ الإسلام غريبا وسيعود كما بدأ"..).

وقال ابن رجب في جامع العلوم ٢/ ٣٧٩ (..قال الحسن: بلغني أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه: "إنما مثلي ومثلكم ومثل الدنيا، كقوم سلكوا مفازة غبراء، حتى إذا لم يدروا ما سلكوا منها أكثر، أو ما بقي، أنفدوا الزاد، وحسروا الظهر، وبقوا بين ظهراني المفازة لا زاد ولا حمولة، فأيقنوا بالهلكة، فبينما هم كذلك، إذ خرج عليهم رجل في حلة يقطر رأسه ماء، فقالوا: إن هذا قريب عهد بريف، وما جاءكم هذا إلا من قريب، فلما انتهى إليهم، قال: علام أنتم؟ قالوا: على ما ترى، قال: أرأيتكم إن هديتكم على ماء رواء، ورياض خضر، ما تعملون؟ قالوا: لا نعصيك شيئا، قال: أعطوني عهودكم ومواثيقكم بالله، قال فأعطوه عهودهم ومواثيقهم بالله لا يعصونه شيئا، قال: فأوردهم ماء، ورياضا خضرا، فمكث فيهم ما شاء الله، ثم قال: يا هؤلاء الرحيل، قالوا: إلى أين؟ قال: إلى ماء ليس كمائكم، وإلى رياض ليست كرياضكم، فقال جل القوم - وهم أكثرهم -: والله ما وجدنا هذا حتى ظننا أن لن نجده، وما نصنع بعيش خير من هذا؟ وقالت طائفة -وهم أقلهم-: ألم تعطوا هذا الرجل عهودكم ومواثيقكم بالله لا تعصونه شيئا وقد صدقكم في أول حديثه، فوالله ليصدقنكم في آخره، قال: فراح فيمن اتبعه، وتخلف بقيتهم، فنزل بهم عدو، فأصبحوا بين أسير وقتيل". خرجه ابن أبي الدنيا، وخرجه الإمام أحمد من حديث علي بن زيد بن جدعان، عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ بمعناه مختصرا.

فهذا المثل في غاية المطابقة بحال النبي ﷺ مع أمته، فإنه أتاهم والعرب إذ ذاك أذل الناس، وأقلهم، وأسوؤهم عيشا في الدنيا وحالا في الآخرة، فدعاهم إلى سلوك طريق النجاة، وظهر لهم من براهين صدقه، كما ظهر من صدق الذي جاء إلى القوم الذين في المفازة، وقد نفد ماؤهم، وهلك ظهرهم، برؤيته في حلة مترجلا يقطر رأسه ماء، ودلهم على الماء والرياض المعشبة، فاستدلوا بهيئته وحاله على صدق مقاله، فاتبعوه، ووعد من اتبعه بفتح بلاد فارس والروم، وأخذ كنوزهما وحذرهم من الاغترار بذلك، والوقوف معه، وأمرهم بالتجزي من الدنيا بالبلاغ، وبالجد والاجتهاد في طلب الآخرة والاستعداد لها، فوجدوا ما وعدهم به كله حقا، فلما فتحت عليهم الدنيا - كما وعدهم - اشتغل أكثر الناس بجمعها واكتنازها، والمنافسة فيها، ورضوا بالإقامة فيها، والتمتع بشهواتها، وتركوا الاستعداد للآخرة التي أمرهم بالجد والاجتهاد في طلبها=

انتهى الجزء بحمد الله ومنّه وكرمه

وصلّ اللّهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

= وقبل قليل من الناس وصيته في الجد في طلب الآخرة والاستعداد لها. فهذه الطائفة القليلة نجت، ولحقت نبيها في الآخرة حيث سلكت طريقه في الدنيا، وقبلت وصيته، وامتثلت ما أمر به. وأما أكثر الناس، فلم يزالوا في سكرة الدنيا والتكاثر فيها، فشغلهم ذلك عن الآخرة حتى فاجأهم الموت بغتة على هذه الغرة، فهلكوا وأصبحوا ما بين قتيل وأسير.

وما أحسن قول يحيى بن معاذ الرازي: الدنيا خمر الشيطان، من سكر منها لم يفق إلا في عسكر الموتى نادما مع الخاسرين)!

الفِهرِس